العرب
الأسبوعي
11 إلى 16

## آخر علم يرفرف

فيلم الأميركي لينكلاتر والكذب من فيتنام إلى العراق

هيثم الزبيدي: خرافة إصلاح العقل العربي
محمد الحمامصي: المثقفون العرب والإرهاب
فريد أبوسعدة: وراء البساطة في كل ملمح شعري
عمار المأمون: تاريخ الصورة في المنطقة العربية
أمين الزاوي: حين كانت المقاهي أهم من مدرجات الجامعة
ممدوح فراج النابي: عاشق مارغريت دوراس

معمر الإرياني

## رجل دولة يمني يجد نفسه في قلب العاصفة

ص8

العرب
alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2017/10/29 الموافق لـ 09 صفر 1439
السنة 40 العدد 10796
Sunday 29/10/2017
40th Year, Issue 10796

# الشيخ تميم يستفز الكويت بالبحث عن قمة بديلة

## ● قطر تمعن في خلط أوراق العلاقة داخل مجلس التعاون وتقترح قمة في كامب ديفيد

ترامب للشيخ تميم: الحل ليس معي

❑ واشنطن – ما تزال قطر تراهن على حلول خارجية لأزمتها مع دول الجوار، خاصة من الولايات المتحدة، وهو ما جدّد التأكيد عليه أمير البلاد الشيخ تميم بن حمد آل ثاني في مقابلة على قناة أميركية، وذلك بالرغم من أن إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب لم تخف صراحة عجزها عن حلحلة الأزمة، معترفة بأنّ لا حلّ أمام قطر إلا بالحوار مع دول المقاطعة.

وقال الشيخ تميم خلال مقابلة مع شارلي روز، مقدم برنامج "60 دقيقة" على قناة "سي بي أس" الأميركية إن "الرئيس (ترامب) بيّن التزامه لإيجاد حل لهذه الأزمة، واقترح أن نلتقي (في كامب ديفيد) وقلت له مباشرة: السيد الرئيس نحن مستعدون جدا، وكنت أدعو للحوار منذ وقت طويل."

وتابع قائلا "كان من المفترض أن يكون (لقاء كامب ديفيد) قريبا جدا، ولكن لم يكن هناك أيّ رد (من الدول الأخرى)" وأضاف أن ترامب لا يقبل استمرار المقاطعة التي تفرضها الدول الأربع على بلاده.

ووصفت أوساط خليجية مطّلعة هذه التصريحات بأنها استمرار لنهج قطري تأكّد فشله مرارا، لكن الدوحة تستمر بالمكابرة لتجنب الاعتراف بخطأ أسلوبها في معالجة الأزمة، لافتة إلى أن هذا الأسلوب لا يحقق شيئا للدوحة سوى مراكمة الخسائر الدبلوماسية والاقتصادية وتوسيع دائرة الخلاف مع عمقها الخليجي.

وتساءلت هذه الأوساط هل اللجوء إلى قمة خليجية في كامب ديفيد بدل قمة الكويت المقرر انعقادها في ديسمبر المقبل سيحلّ المشكل مع السعودية التي تتمسك بأن الحل خليجي ومن بوابة الشروط 13، وأن التدخلات الخارجية لن تجدي نفعا ولن تمكن الدوحة من الإفلات من مراجعة جذرية لسياستها التي تستثمر في الإرهاب تمويلا ودعما وإيواء.

وينتظر أن يثير هذا التصريح غضب الكويت التي تعمل ما في وسعها لترطيب الأجواء بين فرقاء الأزمة على أمل أن تكون القمة الخليجية فرصة للمصالحة، وهو ما جعلها تبدو في بعض الأحيان وكأنها تبحث عن مخرج لقطر دون مراعاة مطالب رباعي المقاطعة.

وتعتبر مراجع خليجية أن تصريح الشيخ تميم عن عقد قمة بديلة لقمة الكويت سيثير استياء أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح الذي لم يخف في تصريح أخير له أن قطر ستواجه تصعيدا في الفترة المقبلة كونها لم تبادر إلى تقديم مبادرة جدية تليّن بها موقف السعودية التي ترفض أيّ وساطة لا تبدأ بإعلان الدوحة التزامها بما جاء في بنود اتفاق الرياض 2013 و2014، والتي تعهد الشيخ تميم خطيا بتنفيذها.

وترى هذه المراجع أن قطر لم تستوعب بعد أن الولايات المتحدة قد رفعت يدها عن الأزمة تماما، واعترفت بعدم قدرتها على حلحلتها، وهو ما يجعل الوعود التي قد يكون حصل عليها الشيخ تميم سرّا أو علانية من مسؤولين أميركيين غير ذات جدوى، ولا تأثير لها على الأرض بعد التصريحات الأخيرة لوزير الخارجية الأميركي ريكس تيلرسون والذي لم يخف فيها عجز وساطته عن حلحلة الأزمة وإقناع السعودية بالحوار.

واستغربت المصادر ذاتها من عودة أمير قطر لفزاعة الخيار العسكري بالرغم من أن الدول الأربع شددت مرارا على أنها لا تفكّر بهذا الخيار، وأن العودة إليه لا تعدو أن تكون محاولة لخلق ذرائع للاستمرار برفض الحوار وليس الهرولة إليه كما جاء في تصريح أمير قطر، وأنه "إذا كانوا يسيرون على مسافة متر فأنا مستعد للسير ضعفهم عشرات المرات" لأجل الحوار.

ووفقا للشيخ تميم، فإنه "يخشى وقوع أيّ عمل عسكري، وفي حال حدث ذلك فإن المنطقة ستقع في الفوضى"، لافتا إلى أن ترامب تعهد بضمان عدم وصول الأزمة إلى حد الحرب.

ويقول مراقبون خليجيون إن وضع قطر تحت مجهر الإرهاب أوروبيا وأميركيا سيجعل إدارة ترامب بمنأى عنها، خاصة مع توالي المؤتمرات والندوات التي تقدم براهين وأرقاما عن تحالف قطري مع جماعات إسلامية متشددة مصنفة إرهابية في دول الجوار.

ويشير المراقبون إلى أن الدوحة فقدت بمرور الوقت حظوظها في حلّ دون تنازلات بالرغم من حصولها على وعود وتصريحات "داعمة لها" من مسؤولين غربيين سرعان ما اختاروا النأي بأنفسهم عن ملفها بعد الحقائق التي ظهرت في مؤتمر المعارضة القطرية بلندن منتصف سبتمبر الماضي، وبعد الأرقام التي صدرت عن ندوة مدريد الأخيرة، ومؤتمر معهد هودسن للعلاقات الاستراتيجية في واشنطن.

وقال متابعون للشأن الخليجي إن الشيخ تميم أثبت أنه لا يمسك بإدارة ملف الحوار وإلا كان قد أقدم على خطوات لمنع تأثير المقاطعة على مصالح بلاده، خاصة أن الوضع الاقتصادي في قطر بات صعبا، وأن مشروع تنظيم كاس العالم لكرة القدم 2022 أصبح مهدّدا في ضوء تأثير المقاطعة ونجاح خطاب السعودية والإمارات ومصر والبحرين في إقناع عواصم كثيرة بأن علاقة قطر بالإرهاب تمثل خطرا جديا على مصالحها.

واعتبر عاطف السعداوي، الباحث في مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية خلال برنامج على قناة الشارقة الفضائية، أن "النظام في الدوحة برأسين، واحد منهما يقول نعم والآخر يقول لا، ولا تعرف من أين يأتي القرار داخل قطر وهناك من يحكمها في العلن ومن يحكمها في الخفاء".

عن مغامرة مسعود البارزاني...
خيرالله خيرالله
ص5

## مصر تغير قائد الجيش بعد هجوم الواحات

❑ القاهرة – أصدر الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، مساء السبت، قرارًا جمهوريًا، بتعيين الفريق محمد فريد حجازي، رئيسًا للأركان خلفًا للفريق محمود حجازي.

واعتبر متابعون للشأن المصري أن هذه الخطوة مرتبطة بشكل مباشر بهجوم الواحات الذي أودى بعشرات الجنود المصريين بين قتلى وجرحى، معتبرين أن التغيير على رأس قيادة الجيش يهدف إلى إكساب العمليات العسكرية الحكومية المزيد من الفعالية في مواجهة المجموعات المتشددة.

وقالت صحيفة الأهرام الحكومية، إن السيسي عين محمود حجازي مستشارًا له للتخطيط الاستراتيجي وإدارة الأزمات.

وحضر رئيس الأركان الجديد، قبل إعلان القرار بساعات، اجتماعًا برئاسة السيسي بصفته مساعدًا لوزير الدفاع، بحضور وزيري الدفاع صدقي صبحي والداخلية مجدي عبدالغفار، إضافة إلى رئيس المخابرات خالد فوزي؛ لمناقشة اتخاذ تدابير بشأن تأمين الحدود البرية والبحرية لمصر، وذلك بعد نحو أسبوع من هجوم إرهابي غربي مصر.

وأعلنت مصر أن هذا التغيير سيعدل استراتيجيتها في مواجهة داعش في ضوء تكثيف العمليات الإرهابية من ناحية حدودها الغربية، حيث تنشط مجموعات متشددة في ليبيا نجح الجيش الوطني الليبي في تشتيتها، ما دفعها إلى البحث عن مناطق عمليات في مصر عبر تهريب الأسلحة والمسلحين، وأنها تحاول تعويض خسارتها في مناطق أخرى بالعمل في فضاء رحب بالصحراء الغربية المهيأة لأن تكون مركزا رئيسيا، وكان لافتا أن العناصر الإرهابية التي تقود الهجمات، وخاصة هجوم 20 أكتوبر تتمتع بخبرات قتالية عالية، فضلا عن امتلاكها ترسانة أسلحة ومعدات ثقيلة وحديثة بينها صواريخ مضادة للطائرات، ما يعكس التفوق الأمني.

ويفتح ارتفاع وتيرة الهجمات الإرهابية في الشطر الغربي القريب من ليبيا باب الجدل حول تأثير الأوضاع الراهنة في سيناء وخسائر داعش في كل من العراق وسوريا، حيث تتحدث تقارير عن تسرب أعداد من المتشددين باتجاه ليبيا.

وصدرت تحذيرات من جهات أمنية في مصر تخشى هجرة أعداد كبيرة من إرهابيي سيناء وليبيا إلى منطقة الواحات بحثا عن نقطة التقاء لتشكيل تنظيم له تواجد ميداني يدير العمليات في مصر الفترة المقبلة.

وأكد مراقبون أن تأمين نحو 1200 كيلومتر من الحدود مع ليبيا مسألة شديدة التعقيد، لأنها صحراء تكسوها وديان وعرة، ناهيك عن المثلث الذي تلتقي عنده حدود مصر مع كل من ليبيا والسودان، والذي أصبح ممرا للإرهابيين والهجرة غير الشرعية.

# صالح يلعب ورقة القبائل لمواجهة الحصار الحوثي

## ● تخوف حوثي من محافظات يحظى فيها الرئيس السابق بنفوذ قبلي وشعبي مثل إب وذمار والحديدة

صالح البيضاني

❑ صنعاء – قالت مصادر يمنية إن الرئيس السابق علي عبدالله صالح يسعى لاستخدام حزمة جديدة من أوراق القوة التي لازال يمتلكها من أجل خلق مساحات قوة له خارج العاصمة صنعاء التي باتت تحت سيطرة الحوثيين بالكامل، مشيرة إلى أنه التقى قيادات قبلية حليفة وأبلغهم بأنه يحتاج إلى موقف موحد للضغط على المتمردين وكسر الحصار من حوله ومن حول قيادات مقرّبة منه، وإثبات أنه ما يزال يمتلك أوراق قوة.

واعتبرت المصادر أن المواجهات، التي شهدتها محافظات البيضاء (وسط اليمن)، بين كبرى قبائل المحافظة والميليشيات الحوثية قد تكون بداية لمواجهات ستتكرّر في محافظات أخرى بين قبائل موالية لصالح والحوثيين، في ظل رغبة الرئيس السابق في استعادة حالة التوازن داخل معسكر الانقلاب التي اختلت في الآونة الأخيرة لصالح الجماعة الحوثية.

وأكدت مصادر خاصة لـ"العرب" أن صالح ومن خلال القيادي البارز في حزب المؤتمر ياسر العواضي أراد إيصال رسالة للحوثيين بأنه لا زال يمتلك العديد من أوراق الضغط التي يمكن أن تقوّض نفوذهم في الكثير من المناطق، وأنه لولا وزنه لدى القبائل لما قبلت بسيطرة الحوثيين على مناطقها ولا تعاملت معهم.

ويتخوف الحوثيون من المحافظات التي يحظى فيها صالح بنفوذ قبلي وشعبي مثل إب وذمار والحديدة والتي يمكن أن تشهد تكرارا لسيناريو ما حدث في البيضاء من طرد مفاجئ لميليشيات الحوثي من مديرية "ردمان" وهو ما أعقبه اندلاع مواجهات مسلحة انتهت بعقد اتفاق يقضي بإنهاء الوجود الحوثي في المديرية واستبداله بقيادات من أبناء المنطقة.

وشهدت منطقة "ردمان" في محافظة البيضاء الجمعة حدوث اشتباكات بين قبائل "آل عواض" والميليشيا الحوثية، على خلفية قضية مقتل أحد أبناء القبيلة على يد مسلح حوثي، وهو ما تطوّر وفقا لمصادر محلية إلى قيام أبناء القبيلة بطرد ثلاث نقاط عسكرية تتبع الحوثي في مديريتهم. وتوسعت عقب ذلك دائرة الاشتباكات بين المسلحين القبليين وميليشيا الحوثي لتسفر عن سقوط قتلى وجرحى في صفوف الحوثيين وسيطرة أبناء القبيلة على المواقع الاستراتيجية في المديرية.

واعتبر الباحث السياسي والأمني اليمني محمد الولص بحيبح في تصريح لـ"العرب" إلى أن ما يحدث حاليا في "ردمان" هو انعكاس للاحتقان السياسي والعسكري بين علي عبدالله صالح والحوثيين، حيث أن المنطقة تعرف بولائها لحزب صالح (المؤتمر الشعبي)، كما أن شيخها ياسر العواضي أحد أبرز أذرع صالح في الفترة الراهنة.

ورجح بحيبح أن تتحول هذه الحادثة إلى بداية حرب بالوكالة بين الرئيس السابق والحوثيين، بحيث تكون مواجهات آل عواض هي الشرارة الأولى للصراع المفتوح بين الموالين لصالح وبين ميليشيا الحوثي.

وسبق هذه الاشتباكات بأسبوع تقريبا قيام قبيلة "همدان" في صنعاء بطرد المشرف الحوثي، وهو تصرف يؤكد بداية التمرد على الحوثي من بعض قبائل طوق صنعاء، وهو ما يقف وراء حالة الاستنفار العسكري والأمني لميليشيات الحوثي في صنعاء وطوقها.

وكشف بحيبح عن حصوله على معلومات من داخل العاصمة صنعاء تؤكد وضع الشيخ القبلي ياسر العواضي الذي يشغل منصب الأمين العام المساعد في حزب المؤتمر تحت إقامة جبرية غير معلنة، وأنه تمت إحاطة منزله بحراسة حوثية تحسبا لهروبه إلى البيضاء، وهو الأمر ذاته الذي تكرّر مع عارف الزوكا الأمين العام لحزب المؤتمر الذي ينتمي لمحافظة شبوة المجاورة.

ولجأ الرئيس السابق إلى تغيير استراتيجيته ضد الحوثيين الذين باشروا بفكّ الارتباط معه ومع حزبه، وتولّوا السيطرة على المواقع الحكومية وطرد أنصار صالح منها، فضلا عن اعتقال قيادات بارزة مقرّبة منه.

وترافقت مظاهر التصعيد الحوثي بحق قيادات في حزب المؤتمر (جناح صالح) مع حملة اعتقالات واسعة استهدفت عددا من الناشطين والإعلاميين في الحزب من بين المناهضين لميليشيا الحوثي والمطالبين بفك الارتباط بين المؤتمر و"أنصار الله".

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

# انطلاق الحملة الانتخابية في الجزائر تحت وقع المقاطعة

## اتهامات للسلطة بدعم العزوف الشعبي لإفراغ الساحة لصالح أحزابها

بدأت الحملة الانتخابية للاستحقاق المحلي القادم في الجزائر، الأحد، وسط توقعات شعبية وسياسية بتزايد عدد المقاطعين يوم الاقتراع للتصويت على أعضاء المجالس الشعبية في البلديات والمحافظات.

صابر بليدي

لا مبالاة واضحة

❑ **الجزائر** – تنطلق الحملة الدعائية للانتخابات المحلية في الجزائر المقرر إجراؤها في 23 نوفمبر القادم، الأحد، في ظل أجواء تخيم عليها خيبة شعبية تجاه الطبقة السياسية ومخاوف من عزوف غير مسبوق من شأنه أن يفقد المؤسسات المنتخبة في البلديات والولايات (المحافظات) مصداقيتها وتمثيلها للجزائريين. وبسبب الأوضاع الحالية والمخاوف، أصبح الاستحقاق الانتخابي المنتظر أحد تجليات الأزمة السياسية المستفحلة في البلاد.

وخيمت أجواء فتور على اجتماعات ومقرات الأحزاب الجزائرية أثناء استعداداتها لبدء الحملات الدعائية. وازدادت الأوضاع برودة في الشارع الجزائري الذي لا يولي الموعد أي اهتمام، رغم أن الأمر يتعلق بانتخاب أشخاص سيضطلعون بمسؤوليات محلية ترتبط بالمواطنين بشكل مباشر.

ويغيب الحديث عن الاستحقاق المنتظر في البعض من أحياء العاصمة الجزائرية والساحات العمومية، إذ يكاد ينحصر في محيط الأحزاب والقوائم المستقلة. ويؤكد الأمر مخاوف المرشحين للانتخابات من عقاب شعبي متكرر للطبقة السياسية، خاصة بعد أن انتقل العزوف من صناديق الاقتراع ليشمل لوائح الترشح.

وقال رئيس حركة مجتمع السلم عبدالمجيد مناصرة إن "العزوف الانتخابي أخذ أبعادا خطيرة" بعدما انتقل من مقاطعة صناديق الاقتراع إلى مقاطعة لوائح الترشح بالنسبة للأحزاب والمستقلين. ويشير تصريح مناصرة إلى الصعوبات التي وجدها قياديو الأحزاب في إقناع مناصريهم والمتعاطفين معهم وحتى المواطنين العاديين للترشح ضمن قوائمهم التي تتنافس في الانتخابات المحلية.

ووجه رئيس جبهة الجزائر الجديدة جمال بن عبدالسلام أصابع الاتهام للسلطة بقوله إنها تقدم دعما غير مباشر للعزوف الشعبي عن الانتخابات من أجل إفراغ الساحة الانتخابية لصالح الأحزاب الموالية لها، بهدف الاستحواذ على أكبر عدد من المقاعد في المجالس الشعبية على المستويين الوطني والمحلي.

وقال بن عبدالسلام إن "الإدارة لعبت دورا كبيرا في تفريغ الساحة السياسية بسبب الإقصاء العشوائي للمرشحين وللقوائم الانتخابية دون تقديم مبررات، بينما تغاضت عن فضائح مرشحي أحزاب السلطة وحتى القضاء لم يؤدّ دوره في استرداد حقوق المقصيين".

وأضاف أن هذا الأمر "ينم عن نوايا مبيتة للقضاء على المنافسة الشريفة وهو ما يؤدي آليا إلى المقاطعة، لأن لا المرشح ولا الناخب يصبح بعد ذلك مهتما بالاستحقاق السياسي".

وحذرت رئيسة حزب العمال اليساري لويزة حنون، في تصريحات سابقة، من تفاقم ظاهرة المقاطعة الشعبية للانتخابات المقبلة. وتحدثت عن عزوف يفوق ما تم تسجيله في الانتخابات التشريعية التي جرت في مايو الماضي، إذ قدرت أن تكون نسبة المقاطعة في الاستحقاق القادم بنحو 80 بالمئة، مؤكدة أن ذلك سيشكل صدمة قوية للسلطة وللطبقة السياسية وللمؤسسات الجديدة تكرس القطيعة بين الشعب والسلطة.

ويرى مراقبون أن الهوة ستتعمق بين الطرفين في الاستحقاق القادم، خاصة في ظل تداعيات الإكراهات الاقتصادية والاجتماعية على الطبقة المتوسطة وفي ظل خطاب التخويف الذي تنتهجه الحكومة منذ تعيين أحمد أويحيى في منصب رئيس الوزراء في أغسطس الماضي.

وأرجع متابعون تفاقم ظاهرة الهجرة السرية، خلال الأسابيع الأخيرة، إلى خطاب الحكومة الذي يزيد من صعوبة الأوضاع الاقتصادية من خلال تخيير الشعب الجزائري بين الرضا بالإجراءات الحكومية القاسية وبين العودة إلى سنوات العشرية الحمراء والفوضى الإقليمية السائدة. وقال مراقبون إن خطاب الحكومة فاقم مشاعر الخيبة واليأس لدى مختلف الأوساط الاجتماعية ودفعهم للهروب من البلاد بأي طريقة سواء كانت شرعية أو غير شرعية.

ويتوقع البعض من الأوساط أن تلعب ممارسات شابت عملية إعداد قوائم المرشحين التابعين لأحزاب السلطة ووصفها البعض بـ"الملتوية" عاملا إضافيا يعزز العزوف عن الانتخابات قياسا بحالات الغضب والاحتجاج التي شهدتها قواعد جبهة التحرير الوطني أكبر أحزاب السلطة.

وتشكل الانتخابات المحلية في الجزائر موعدا هاما، إذ أنها تمثل موعدا تحضيريا لأكبر الاستحقاقات السياسية في البلاد وهي الانتخابات الرئاسية التي ستجري في عام 2019. ودأب المتنافسون للوصول إلى قصر المرادية (قصر الرئاسة) على توظيف النفوذ الشعبي للمنتخبين المحليين في خوض السباق نحو الرئاسة، ولذلك تشدد الأحزاب والشخصيات المستقلة على ربح أكبر عدد من المنتخبين في الاستحقاق المحلي.

وعبر جمال ولد عباس أمين عام حزب جبهة التحرير الوطني الموالي للسلطة، في آخر تصريح له، عن نية حزبه في الاستحواذ على الانتخابات المحلية استعدادا لخوض الاستحقاق الرئاسي المنتظر في ربيع العام 2019.

وطرح ولد عباس، لأول مرة بشكل صريح، مسألة انكفاء المؤسسة العسكرية وعدم تدخلها في التأثير على هوية الرئيس القادم للبلاد. ويشكل الأمر تحولا لافتا، بعدما تعود الرأي العام على دور ونفوذ الجيش في تعيين رئيس البلاد طيلة العقود الماضية.

وبرر ولد عباس المسألة بالمهام الثقيلة التي يضطلع بها الجيش الجزائري في تأمين وحفظ السلامة الإقليمية للبلاد في ظل الأوضاع المتوترة في محيط الجزائر الإقليمي. لكن التصريح يعتبر إيذانا بنهاية دور الجيش في المشهد السياسي، وهو الطموح الذي راود الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة منذ وصوله إلى قصر المرادية في 1999.

> الانتخابات المحلية في الجزائر تشكل موعدا هاما، إذ تمثل تحضيرا لأكبر الاستحقاقات السياسية في البلاد وهي الانتخابات الرئاسية التي ستجري في عام 2019

## الجيش الليبي يحقق في قضية جثث الأبيار

❑ **طرابلس** – بدأت سلطات عسكرية بشرق ليبيا تحقيقات في قضية جثث عثر عليها في منطقة الأبيار القريبة من مدينة بنغازي.

وقرر رئيس أركان الجيش الليبي والحاكم العسكري لمنطقة درنة، بن جواد عبدالرازق الناظوري، تكليف آمر القوات الخاصة ونيس بوخمادة بفتح تحقيق عاجل في قضية الجثث التي عثر عليها في منطقة الأبيار الواقعة شرقي مدينة بنغازي.

وقال الأمين العام للمنظمة العربية لحقوق الإنسان فرع ليبيا، عبدالمنعم الحر، إن المنظمة ستصنف عمليات القتل الجماعية وانتشار ظاهرة إلقاء الجثث على قارعة الطريق جرائمَ ضد الإنسانية وجرائم حرب.

ودعا الحر محكمة الجنايات الدولية إلى إرسال لجان لتقصي الحقائق في هذا الأمر.

وعثرت السلطات الليبية في مدينة بنغازي، شرق البلاد، على جثث 36 شخصا تمت تصفيتهم في منطقة الأبيار. ونقلت مصادر إعلامية عن وزارة الداخلية بالحكومة المؤقتة، غير المعترف بها دوليا، عزمها فتح تحقيق في الحادثة.

وأكدت الوزارة أن الجثث الـ36 التي عثر عليها، مساء الخميس، على "طريق مصنع الإسمنت" جنوب مدينة بنغازي نقلت شرقا إلى مركز بنغازي الطبي لعرضها على الطبيب الشرعي لتحديد ملابسات وتاريخ الوفاة.

وقالت مصادر من وزارة الداخلية إن "ملابسات قتل هؤلاء الأشخاص لا تزال مجهولة في الوقت الذي لم يتم التعرف فيه بعد على هوياتهم" مرجحة عدة فرضيات من بينها فرضية "العمل التآمري" الذي قالت إنه يهدف إلى خلط الأوراق في المنطقة الشرقية.

وتواترت عمليات التصفية الجسدية في مدينة بنغازي التي يحكم الجيش الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر السيطرة عليها، خلال السنوات القليلة الماضية. وفي شهر أكتوبر العام الماضي، عثرت السلطات الأمنية في بنغازي على عشر جثث مجهولة الهوية بمكب في شارع الزيت.

وفي أغسطس الماضي، تم العثور على جثث خمسة أشخاص على الطريق الساحلي بمنطقة النواقية شرق البلاد.

ويحمّل خصوم حفتر، خاصة الإسلاميين منهم، الجيش والسلطات الأمنية في المنطقة الشرقية مسؤولية عمليات التصفية الجسدية ويستغلون مثل هذه العمليات لنشر صورة سلبية عن الجيش وأجهزة وزارة الداخلية مفادها أن الجيش والميليشيات سواء.

في المقابل يقول أنصار حفتر إن هذه العمليات ليست سوى محاولات لاستهداف صورة المنطقة الشرقية وتشويه الأجهزة الأمنية التي تسيطر عليها، عقب النجاحات المتتالية التي حققتها في حربها على الجماعات الإرهابية في المدينة، التي أجبرت عدة دول على الاعتراف بالجيش الوطني.

وبدأت ملامح أزمة سياسية تلوح في بنغازي بعد انشقاق العقيد المهدي البرغثي آمر الكتيبة 204 دبابات العام الماضي عن الجيش الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر، ليعمل وزيرا للدفاع بحكومة الوفاق المنبثقة عن الاتفاق السياسي الموقع في مدينة الصخيرات المغربية في 2015.

# آخر معارك الطبقة الوسطى في تونس

طارق القيزاني
كاتب من تونس

❑ الطبقة الوسطى في تونس في حالة مقاومة، فهي تتجه إلى خسارة آخر قلاعها التي طالما وجدت فيها متنفسا للإبقاء على توازنها المالي والاحتفاظ دائما بآفاق رحبة وفرص واعدة في سوق الشغل.

فلقد ظل التعليم العمومي حتى وقت قريب في تونس وعلى مدى عقود طويلة، مفخرة دولة الاستقلال التي وضعت ثلث موازنتها منذ خمسينات القرن الماضي للاستثمار في صناعة رأسمال بشري يكون محركا لاقتصاد البلاد وبناء مؤسسات الدولة، في ظل شح الموارد الطاقية مقارنة بدول الجوار.

وبشهادة التاريخ مكنت تلك الاستراتيجية التي ترافقت مع تعميم الخدمات الاجتماعية شبه المجانية، من تغيير ملامح المجتمع التونسي بتقليص نسبة الفقر وتوسيع قاعدة الطبقة الوسطى مع بناء إدارة صلبة واقتصاد ديناميكي، لم يخل في الواقع من هزات تخللتها تجارب مختلفة، من التعاضدية الاشتراكية في ستينات القرن الماضي ومن ثم الانتقال إلى مرحلة الانفتاح الاقتصادي في عقد السبعينات.

لكن اليوم تحيل إكراهات مرحلة الانتقال السياسي منذ 2011، بالتوازي مع إصلاحات اقتصادية عميقة ومؤلمة تطالب بها المنظمات المالية الدولية المقرضة، إلى تغييرات جذرية لا ترتبط فقط بإعادة تعريف قسري لدور الدولة الراعية وأولوياتها المغايرة لدولة الاستقلال، ولكن أيضا بمستقبل الطبقة الوسطى وآفاقها في ظل التحولات الحالية.

لا يقف الحال اليوم عند خسارة هذه الطبقة للكثير من المزايا الاجتماعية في قطاعات الصحة والخدمات والتعليم وغيرها بسبب تقلص التمويل العمومي ولكن الأمر الأكثر تعقيدا هو الكلفة المتزايدة للمعيشة غير المتجانسة مع الأجور المتدنية.

يعترف وزير المالية نفسه بأن رواتب التونسيين وعلى الرغم من الزيادات التي عرفتها بعد الثورة منذ 2011، تظل لا تستجيب لمتطلبات الحياة اليومية، وهذا يتضارب مع دعوات صندوق النقد الداعي للتحكم أكثر في كتلة الرواتب وتجميد الزيادات، من بين الكثير من الإصلاحات الأخرى التي يطالب بها لسد العجز في موازنة الدولة.

ربما لا مفر من مراجعة دور الدولة وإشراك القطاع الخاص أكثر فأكثر في تحمل أعباء الخدمات الاجتماعية في ظل الاستنزاف الحاد للمالية العمومية، لكن المراجعة لا تخلو في الواقع من المقامرة، إذ تخاطر الدولة بتوجهها إلى الخصخصة بضرب قاعدتها الإنتاجية والاستهلاكية معا ما لم تضع استراتيجية للحفاظ على التوازن المالي والمعيشي لطبقتها الوسطى، وهي التي كانت تعد قبل ثورة 2011 بحسب إحصاءات حكومية بأكثر من 80 بالمئة من النسيج الاجتماعي، وكانت مصدر دعاية وفخر للنظام السابق.

ومع الارتفاع المستمر لكلفة المعيشة وزيادة الضرائب والأسعار في أغلب المواد والتخفيف المتوقع للدعم الحكومي، فإن المستقبل القريب لا ينبئ باستقرار اجتماعي لشريحة تضم بجانب عموم الموظفين، الآلاف من العمال والحرفيين والمزارعين والمهنيين المستقلين، ولا بمناخ ملائم للاستثمار والتنمية وإحداث فرص عمل في الجهات الداخلية المتململة. وعلى ذلك فإن الطريق لا تبدو أيضا مفروشة بالورود للآلاف من طالبي الشغل ومن خريجي الجامعات الذين يمثلون اليوم ثلث العاطلين من الشباب.

وترسم الأرقام الحالية هامشا مما يمكن أن تشهده الديمقراطية الناشئة على المدى المتوسط. فحتى الآن تفيد الإحصاءات الرسمية بأن المدارس العمومية فتحت أبوابها هذا العام أمام نقص بواقع 16 ألف معلم دون أن يتم الدفع بمعوضين لهم بينما خسر القطاع الصحي على مدى ثلاث سنوات خلت 1800 من الكوادر الطبية التي اختارت الهجرة أو التحول نهائيا إلى القطاع الخاص. ويمكن توقع المزيد من الانحدار لخدمات القطاع العام مع طرح الدولة لخطط التسريح الاختياري للآلاف من الموظفين للحد من الأعباء المالية للخزينة العامة.

الطريق ليس مفروشا بالورود

في كل ذلك تطرح أجندة الإصلاحات التي يدعمها صندوق النقد الدولي أمام الحكومة، الكثير من الخيارات الصعبة والمهددة لما تبقى من مساحات التوازن المالي والمعيشي لدى الطبقة الوسطى. وهناك لوم كبير تلقي به النقابات والفئات العمالية المقاومة للسياسات الحكومية من انتهاجها لمقاربة ليست عادلة بين فئات الطبقة نفسها فساهمت بذلك بالمزيد من تفتيتها، وهي أنها أخفقت في إرساء سياسة ضريبية عادلة فسمحت، عن عجز أو عن قصد، بإثراء كبير للمهنيين الليبراليين (الأطباء والمحامين مثلا) فيما ضاعفت الضغوطات أكثر على الموظفين العموميين بشكل خاص.

ومع ذلك لم تحسم الدولة أمرها بعد، كما لم تصدر قرارات طيلة سبع سنوات، بشأن مستقبل التعليم العمومي والقطاع الصحي بشكل خاص، وهما من القطاعات التي أبقت على الشراكة التاريخية بين الدولة والطبقة الوسطى، فلا هي وفرت التمويلات الكافية لهما ولا هي اتجهت إلى الخصخصة لإنقاذهما من الانهيار.

وفي كل الحالات فإن قدرا كبيرا من الخسارة حاصل دون شك، وهو أن الاستمرار في التعويل على شعار كفاءة "الرأسمال البشري" أمر لم يعد يستقيم مع تدني التعليم العمومي ورعاية الدولة، وهي خسارة لا تستثني الشركاء الدوليين للديمقراطية الناشئة من المسؤولية المباشرة فيها.

# مساندة إقليمية لجهود البحرين في الحفاظ على الاستقرار

## الجامعة العربية: الهجوم على الشرطة في المنامة عمل إرهابي جبان

استنكرت العديد من الدول والمنظمات الإقليمية هجوما استهدف حافلة للشرطة في العاصمة البحرينية المنامة وأسفر عن مقتل شرطي وإصابة آخرين. ووصفت الجامعة العربية الهجوم بـ"العمل الإرهابي الجبان". وتعاني مملكة البحرين من تداعيات سببتها تدخلات إيران في شأنها الداخلي في مسعى لهز استقرارها.

رصاص المؤامرة

❑ **القاهرة** - أدانت الجامعة العربية، السبت، الهجوم على حافلة للشرطة في البحرين أسفر عن مقتل شرطي الجمعة. ووصفت الجامعة الهجوم بأنه "عمل إرهابي جبان".

وأدان محمود عفيفي المتحدث باسم الأمين العام للجامعة أحمد أبوالغيط "العمل الإرهابي الذي تعرضت له إحدى حافلات الشرطة في البحرين".

وأكد الناطق باسم الأمين العام "المساندة القوية لكافة الجهود التي تبذلها الحكومة البحرينية من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار ومكافحة الإرهاب والرفض الكامل للمحاولات الرامية للتدخل في الشؤون الداخلية لمملكة البحرين وزعزعة استقرارها والانتقاص من سيادة الدولة".

وأشار عفيفي إلى أن "لديه كل الثقة في أن مثل هذه الأعمال الإرهابية الجبانة لن تفت في عضد الشعب البحريني أو تثنيه عن مواصلة مسيرة التقدم والتنمية".

وأعلنت وزارة الداخلية البحرينية، الجمعة، مقتل شرطي وجرح ثمانية آخرين تتراوح إصابتهم بين المتوسطة والخطيرة في انفجار "إرهابي" استهدف حافلة يستقلونها في العاصمة المنامة.

وأوضحت الوزارة أن الهجوم نفذته مجموعة "إرهابية" فجرت عن بعد قنبلة محلية الصنع، في حين أفاد شاهد عيان أن الاعتداء سببه انفجار قرب بلدة جدحفص الشيعية.

وفتحت السلطات تحقيقا في الهجوم. وبدأت الشرطة عملية مطاردة للعثور على المهاجمين واعتقالهم، وفقا لما ذكرته الوزارة.

وأدانت مصر، الجمعة، الهجوم الذي استهدف حافلة للشرطة غربي المنامة. وقالت الخارجية المصرية، في بيان، إن مصر تؤكد وقوفها مع حكومة وشعب البحرين في مواجهة الإرهاب.

وأضافت أن "تلك الأعمال الخسيسة لن تنجح في زعزعة الاستقرار والأمن بدولة البحرين الشقيقة".

وشددت على "ضرورة تعقب مصادر دعم وتمويل وتدريب وإيواء تلك الجماعات الضالة، التي تستهدف الأمن والاستقرار بدول المنطقة والعالم أجمع".

وهذا الهجوم هو الثاني الذي يستهدف عناصر من الشرطة في البحرين، خلال أكتوبر الجاري، بعد إصابة 5 من رجال الشرطة في تفجير غربي المنامة أيضا.

وتشكو مملكة البحرين بشكل متكرر من تدخلات إيران في شأنها الداخلي ومحاولاتها هز استقرارها، وهي إحدى الدول العربية الأربع، إلى جانب السعودية والإمارات ومصر، المقاطعة لقطر بسبب دعمها للإرهاب وأيضا لعلاقاتها المشبوهة بطهران. كما أن المنامة جزء من التحالف العربي الداعم للشرعية في اليمن بقيادة السعودية.

والأسبوع الماضي، اتهم وزير الداخلية الشيخ راشد آل خليفة إيران بإيواء 160 بحرينيا أدينوا بالإرهاب وجردوا من الجنسية. واتهم الحرس الثوري الإيراني بتدريب المجموعة المدانة بشن اعتداءات قتل فيها 25 رجل أمن وإصابة 3000 آخرين.

وتستضيف البحرين مقر الأسطول الأميركي الخامس فيما يجري بناء قاعدة عسكرية بريطانية.

وشدد العاهل البحريني الملك حمد بن عيسى آل خليفة، خلال افتتاحه الدورة النيابية الجديدة لمجلسي النواب والشورى في وقت سابق من الشهر الحالي، على عامل حفظ الأمن والاستقرار ومنع التدخلات الأجنبية.

وقال الملك حمد بن عيسى إن بلاده "ستسخر كافة إمكاناتها العسكرية والأمنية والدبلوماسية لمواجهة أي تدخلات غير مشروعة، ومعالجة الأزمات التي تربك استقرار محيطها العربي".

واعتبر أن "أمن واستقرار بلاده مرتبطان بتأهب ويقظة أهلها للدفاع عن تماسكهم الاجتماعي ولحمتهم الوطنية".

وأضاف أن بلاده "تتمسك بالثوابت الأساسية التي أعلنت عنها الدول الداعية لمحاربة الإرهاب وكشف داعميه وممولية، ممن يتبنون أجندات سياسية مكشوفة هدفها اختلاق الأزمات وشق الصف وتهديد أمن المنطقة واستقرارها".

وتتهم البحرين إيران بالتورط في دعم الإرهاب فيها. وقال وزير الخارجية البحريني الشيخ خالد بن أحمد آل خليفة، في أكتوبر من عام 2015، إن إيران متورطة في دعم الإرهاب ببلاده. وأشار إلى أن المنامة استنفدت مع طهران كل الطرق الدبلوماسية قبل أن تشكوها إلى الأمم المتحدة. وأضاف أن التجاوزات الإيرانية بحق بلاده وصلت إلى "الحد الخطير وغير المقبول"، في إشارة إلى إحباط المنامة محاولات إيرانية لتهريب أسلحة ومتفجرات إلى مملكة البحرين.

وكشفت وزارة الداخلية البحرينية، في وقت سابق من العام نفسه، مستودع أسلحة يحتوي على ما يزيد عن 1.5 طن من المواد شديدة الانفجار وتبين وقوف عناصر تدربت في إيران وراء العملية.

وأوضح الوزير البحريني أنه تم تسليم الأمين العام للأمم المتحدة لائحة بكل التجاوزات الإيرانية ضد المملكة خلال السنوات الأخيرة.

وأشار إلى أن هناك مخططا كبيرا، ليس لاستهداف البحرين فحسب وإنما لإشاعة الفوضى في دول مجلس التعاون الخليجي.

وأعرب عن دهشته حيال ما تقوم به إيران من إنفاق أموال شعبها على أسلحة ومتفجرات لقتل أناس أبرياء بهدف فرض الهيمنة والسيطرة على الطريقة الدكتاتورية للعصور الوسطى، مطالبا طهران بالتراجع عن سياستها الخارجية تجاه جيرانها.

## برلمان كردستان يوزع صلاحيات رئيس الإقليم

❑ **أربيل (العراق)** – من المقرر أن يعقد برلمان كردستان العراق، بعد ظهر الأحد، جلسة اعتيادية لتوزيع صلاحيات رئيس الإقليم مسعود البارزاني على السلطات الثلاث حسب ما أكد أحد النواب.

ومن المرتقب أن تتلى رسالة من البارزاني أمام البرلمان، خلال الجلسة التي يفترض أن تعقد عند الساعة 14:00 بالتوقيت المحلي (11:00 بتوقيت غرينتش) بعدما كانت مقررة السبت.

وقال النائب في البرلمان إيدن معروف "بعدما توصلت الكتل البرلمانية إلى اتفاق حول كيفية توزيع صلاحيات رئيس الإقليم على السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ستناقش هذا التوزيع في جلسة" الأحد.

وكان برلمان الإقليم قرر الأسبوع الحالي تجميد عمل هيئة رئاسة الإقليم التي تضم البارزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني ونائبه كوسرت رسول وهو أحد قادة الاتحاد الوطني الكردستاني ورئيس ديوان الرئاسة فؤاد حسين.

وصدر قرار تجميد الأنشطة الرئاسية للبارزاني بسبب عدم تمديد برلمان الإقليم ولايته الرئاسية مجددا بشكل قانوني، الأمر الذي ينهي صلاحياته الرئاسية.

وانتهت ولاية البارزاني الذي يعد أول رئيس للإقليم عام 2013، وتم تمديد فترته الرئاسية عامين بسبب هجمات الجهاديين التي وقعت عام 2014.

وأعلنت الدائرة الإعلامية في برلمان كردستان وصول "رسالة من رئيس الإقليم مسعود البارزاني ستتلى في هذه الجلسة على الحضور من قبل نائب رئيس البرلمان جعفر إبراهيم"، القيادي في الحزب الديمقراطي الكردستاني.

ومن المقرر أن تشارك في جلسة الأحد حركة "التغيير" (غوران) المعارضة بعدما قاطعت جلسات سابقة بسبب خلافات سياسية، أبرزها الاستفتاء على الاستقلال الذي أجري في 25 سبتمبر الماضي وأثار تصعيدا مع بغداد.

وقال معروف "قررت حركة التغيير وكذلك الجماعة الإسلامية اللتان قاطعتا الجلسات السابقة المشاركة في هذه الجلسة لأنها مهمة لهما أيضا حول توزيع صلاحيات رئاسة الإقليم".

ودعت حركة "التغيير"، الأحد، إلى استقالة البارزاني وتشكيل حكومة إنقاذ وطني.

وقال كفاح محمود، المستشار الإعلامي لرئيس إدارة إقليم كردستان، الأربعاء، إن ولاية البارزاني ستنتهي أواخر أكتوبر الجاري.

وأضاف محمود أن "الجميع يعرف أن رئيس الإقليم، تنتهي ولايته مع نهاية أكتوبر الجاري، لذلك تم تحديد الأول من نوفمبر المقبل موعدا للانتخابات الرئاسية والبرلمانية".

# انتشار «شعوب سوريا» بين أستانة وجنيف وحميميم في نوفمبر

علي العائد
كاتب سوري

❑ كنا نعتقد، نحن السوريين، أننا مجتمع خلال غفلتنا تحت حكم الأبدين الأسديين، فاكتشفنا أننا طوائف بعد أقل من سنتين من انطلاق الثورة السورية، لننسى شعار "الشعب السوري واحد" في السنوات التالية من الثورة اليتيمة أو المستحيلة أو النائمة.

الآن نحن أمام مسألة تقبع في أحد مندرجات الفلسفة المافيوية للقيادة الروسية، فالرئيس فلاديمير بوتين دعا إلى مؤتمر لـ"الشعوب السورية"، موعزا لدوائره الدبلوماسية للتحضير لهذا المؤتمر بخيارات متعددة أو متعاقبة، لجهة مكان عقد هذا المؤتمر.

والعبارة ليست زلة لسان من بوتين، مقارنة مع ما جرى في روسيا في نهاية حرب الشيشان ضد روسيا الاتحادية، حين عقدت موسكو مؤتمرا جمعت فيه "شعوب جمهوريات القوقاز التي تعيش في خاصرة الجغرافيا الروسية العملاقة، ويدين ما لا يقل عن نصف سكان تلك الجمهوريات بالإسلام، وكانت ولا تزال تتمتع بحكم ذاتي، لكنها محرومة من القرار السياسي والعسكري والاستقلال الوطني.

في بداية الألفية الحالية استطاع بوتين، كرئيس لروسيا ورئيس وزراء، بعد حرب طويلة مع بعض هذه الشعوب، وخاصة في الشيشان، إنهاء الحرب وإعادة ضم جمهوريات القوقاز المتمردة على سلطة روسيا الاتحادية إلى الفلك الروسي.

أما "شعوب سوريا" فمن الصعب التفريق بينها، بوجود أكثر من معيار. فإذا كان المعيار هو العرق سيكون الأكراد نقيضا للعرب، وسيكون التركمان نقيضا للاثنين، أما إذا كان المعيار الدين والمذهب فستكون معظم مكونات الأعراق الثلاثة متوحدة على المذهب السني. وإذا كان الفيصل هو الدين في عمومه، ففي سوريا معظم المذاهب والاعتقادات الموجودة في المشرق العربي، من المذاهب الإسلامية، إلى الطوائف المسيحية، إلى العلويين والدروز والإيزيديين واللادينيين... إلخ.

بالطبع، يتغاضى بوتين عن أن سبب الثورة السورية سياسي وحلها لن يكون إلا بالسياسة بما تعنيه الكلمة من المساواة بين جميع أطياف السوريين والتلاقي على المصالح في إطار قانوني، بما في ذلك الدستور المكنى بـ"أبي القوانين".

لكن بوتين باستخدامه هذا الاصطلاح لا يلمّح فقط إلى بداية السير في تكريس الفيدرالية في سوريا بل إلى تقسيم البلاد، أو التهديد بدعم تقسيمها، خاصة أن المصالح الأميركية، قبل مصالح الشعب السوري تفترض وتفضل بقاء سوريا بلدا موحدا.

الخلاف الروسي الأميركي يلعب لعبته هنا، فأميركا لم تصل إلى الآن إلى قناعة بحلول ساعة تدخلها السياسي الفاعل للاتفاق مع روسيا، أو للجم تحركاتها، حيث لا يزال الملف السوري في عهدة وزارة الدفاع الأميركية ولم ينتقل إلى وزارة الخارجية المعنية بالسياسة. والحجة المعلنة لتأخر استلام الخارجية الملف من الدفاع هو إنجاز وزارة الدفاع مهمتها في القضاء على داعش.

وفي ما يتعلق بروسيا بوتين، التي لا تزال مأخوذة بسياسة الانسحاب الأميركي من سوريا وغير مقدرة تماما لحضور واشنطن العسكري في شرق سوريا، تحاول موسكو الاستفادة من الوقت الممنوح لها من خلال خسارة واشنطن الدعم التركي وتركها لحليفتها الأطلسية لترتمي مرغمة في حضن موسكو، مفضلة الاستخدام المؤقت للورقة الكردية في حربها ضد داعش، على الرغم من إدراك موسكو وإدراك أميركا، أن وقت داعش قد نفد كقوة عسكرية، وكسبب أول لتعميق فوضى الحرب السورية.

هذا الإدراك المشترك يشير إلى أن كلاً منهما مستعد للمواجهة التي ستقتصر على السياسة غالبا، دون صدام عسكري لا مصلحة للطرفين فيه. والمهم والمنطقي في هذه المواجهة المتوقعة هو قياس التقدم العسكري لكلا الطرفين، وما حققته آلتهما العسكرية، أو آلة حلفائهما، على الأقل منذ بداية خريف 2015، دون أن يعني ذلك أن روسيا قد حققت تقدما حاسما منذ إعادة تأهيل مطار حميميم ليكون قاعدتها العسكرية، وما ترتب على احتلال القاعدة من اتفاقات عسكرية واقتصادية وسياسية وقعتها موسكو مع النظام الأسدي.

وبين السياسة اللفظية الأميركية بالحفاظ على سوريا موحدة، وبين سياسة "الشعوب السورية" وفق منطوق بوتين، سيبدأ سباق ما بين ترامب وبوتين غالبا، في إشارة إلى قرب الحل، كما نتمنى كسوريين، لن يقتصر على الضغط على الأطراف السورية المتقاتلة لتقديم تنازلات تمهد للحل السياسي لينشأ بينهما صراع سياسي صريح إذا صدقنا جدية التصريحات الأميركية الخاصة بعدم وجود دور لبشار الأسد في مستقبل سوريا.

روسيا ستحاول التشكيك في جدية "الإصرار الأميركي" على رحيل النظام الأسدي إلا إذا أخذت ضمانات باحترام الاتفاقات الموقعة مع النظام على أنها اتفاقات دولية تُلزم أيّ حكومة سورية في المستقبل.

ومن هنا، قد لا نرى حلا سياسيا في عهد ترامب-بوتين، مع احتمال وارد نرى فيه دعما عسكريا أميركيا لفصائل المعارضة، في حال تشدد روسيا أمام "الإصرار الأميركي على إزاحة الأسد"، وما قد يعنيه ذلك من سحب الأميركان لدعمهم لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي، والعودة إلى التحالف الأميركي التركي لإسقاط المشروع الروسي في سوريا.

في نوفمبر، سترفع روسيا مستوى العرض في بورصة السياسة السورية إلى ذروة فوق العادة من خلال عرض مفرط لأدوات السياسة تبدو أمامه أميركا مجرد متفرجة، خاصة في أستانة 7، وحميميم 1، وربما في مطار دمشق 1، لكنها قد تحضر اسميًا، أو لأخذ العلم، في جنيف 8، والرياض 2. هذا مع ملاحظة أن زيادة عرض المادة السياسية في السوق يعني رخص ثمنها، والاستعداد للتنازل في السعر كي لا يتضخم المخزون ويصبح مادة كاسدة يحتاج التخلص منه الإنفاق على إتلافه.

أين النظام الأسدي من هذا، حتى لو كانت حميميم أرضا روسية، بل أين إيران التي راهنت بكل شيء كي يستمر نظام دمشق جسرا لها في اتجاه المتوسط ولبنان .

بالنسبة إلى أميركا تؤدي إيران دورها الوظيفي على اعتبار أنها عدو صريح.

وعلى الرغم من جبروت التصريحات العلنية بين طهران وواشنطن فإنهما تستفيدان معا من اختلال توازن اللاعبين العرب في شرق المتوسط وما يليه من الخليج العربي والعراق. كان هذا قائما قبل قيام الثورة، وتعمّق أثره في خدمة عدوين صريحين لا يستعجلان المعركة بينهما حتى على خلفية الملف النووي الإيراني.

في مسألة حميميم 1، ستبرز مسألة عصية على الحل الروسي وهي معضلة حضور "معارضة الخارج" إلى القاعدة الروسية أو إلى دمشق من الائتلاف إلى هيئة التفاوض العليا إلى تيار الغد السوري، حيث رفضوا جميعا فكرة الذهاب إلى حميميم. وقد يكون هذا التعقيد مقصودا من روسيا كجزء من معركة كسب الوقت، بل ومنح قوات الأسد مزيدا من الوقت لتمكين مواقعها في جوار مناطق النفوذ الأميركي في دير الزور، حيث تتقدم قوات سوريا الديمقراطية، وتتراجع فلول داعش، وحيث لا تبدي أميركا ممانعة لتحرك قوات النظام والميليشيات إلا إذا حدث صدام مع "قسد" في هذه المرحلة المبكرة من معركة ستتغير أطرافها في مرحلة ما بعد داعش.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

# تنظيم داعش نتيجة لعدم الاستقرار في العراق وليس مسببا له

## خبراء: الإيرانيون يتحركون لأن الآخرين لا يحركون ساكنا

يؤكد مختلف الخبراء على أن التحدي الحقيقي في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية ليس هزيمته عسكريا، كما أن اجتثاث التنظيم المتشدد ميدانيا ليس نهاية الحرب بل المرحلة الأولى والأسهل، في نظرهم، فالحرب الحقيقة هي تلك التي تتعلق باجتثاث الأسباب التي أدت إلى ظهور تنظيم داعش. اليوم، وعلى وقع هزيمة داعش لا ينظر المتابعون لما يجري في العراق بتفاؤل كبير للمستقبل، وعبّر عن ذلك خبراء من كبار محللي السياسات ومتخصصون شاركوا في جلسة استثنائية حول العراق نظمها منتدى جنوب آسيا والشرق الأوسط "سايم"، وأجمعوا على أن المعركة الحقيقية في العراق بدأت الآن والمجتمع الدولي مطالب أكثر من أيّ وقت مضى بالعمل على تأمين مستقبل مستقرّ لهذا البلد.

مأمون العباسي

❏ **لندن** – العراق في حاجة إلى الاستقرار وتشريك الجميع في العملية السياسية حتى يضمن ألا تعود الجماعات الإرهابية من قبيل تنظيم داعش للظهور، هذا ما قاله ملاحظون مطلعون على ما يجري في البلاد التي مزقتها الحرب خلال مؤتمر نظمه منتدى جنوب آسيا والشرق الأوسط "سايم" في لندن، تحت عنوان "العراق: التطلع إلى المستقبل".

جاء تنظيم المؤتمر في سياق التطورات الحاصلة في العراق على وقع المراحل الأخيرة للحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية التي تدور في المناطق الشمالية للبلاد.

لكن، ورغم أن هذا التنظيم المتشدد في الرمق الأخير بعد أن فقد كل مناطقه تقريبا وانهارت عاصمتا "خلافته" في الموصل العراقية والرقة السورية، إلا أن الخبراء يقولون إن "استقرار العراق غير مؤكد أكثر من أيّ وقت مضى".

> ملحق الدفاع بالسفارة البريطانية في العراق يؤكد على ضرورة ألا يغادر التحالف الدولي لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية العراق مباشرة بعد هزيمته على أرض المعركة لأن التجربة تؤكد أن هذا التنظيم الإرهابي يمكن أن يلم شمله ويتمكن من النهوض من جديد عندما تسنح الفرصة

ولا تبدو مرحلة ما بعد داعش واضحة الملامح في المدى الزمني المنظور. فما زالت التوترات ترتفع بين مختلف مراكز السلطة، حيث استولت القوات العراقية على كركوك من القوات الكردية بعد أسابيع من استفتاء إقليم كردستان العراق على الحكم الذاتي.

وبالنظر إلى تعقد هذه التفاعلات وإلحاحها، فإن المناقشة المنسقة بين مختلف مجالات المسؤولية والخبرة في المنطقة أمر مهم خصوصا وأن الوضع في العراق، حيث نشأ تنظيم الدولة الإسلامية، أضحى شأنا دوليا.

كان من أبرز المتحدثين العميد غارث كوليت، الملحق العسكري للسفارة البريطانية في العراق، الذي قال إن "الشيء المهم بالنسبة إلى العراق هو الاستقرار، ثم الاستقرار، ثم الاستقرار. وإلا سيعود نوع آخر من داعش".

وأكد العميد كوليت أن الناس الموجودين في مناطق تمت استعادتها من سلطة داعش يجب أن يحصلوا على مواطن عمل حتى لا يكونوا في حاجة إلى المال للبقاء على قيد الحياة، ويمكن أن يعطيهم إياه المجندون لداعش.

ويرى ملحق الدفاع بالسفارة البريطانية في العراق خلال حديثه عن مستقبل الاستراتيجية الدفاعية في البلاد، أنه على المملكة المتحدة أن تواصل في "نصح ومساعدة" الحكومة العراقية على مدى الفترة التي تحتاجها بغداد.

وقدّر العميد كوليت أن "العراق يحتاج خمس سنوات للتعافي من أثر الحرب". وأضاف أنه من المهمّ للائتلاف المحارب لداعش "ألا يغادر العراق" مباشرة بعد هزيمته على أرض المعركة لأن هذا التنظيم الإرهابي يمكن أن يلمّ شمله من جديد. وهناك سوابق تشير إلى لجوء التنظيم لشبكات محلية تمكنه من النهوض من جديد عندما تسنح الفرصة.

يتمثل التحدي الأكبر في العراق في استيعاب العشائر السنية وهو أمر ينذر، إن لم يتحقق، ببعث التنظيم المتشدد من جديد.

وعانى العراق من انقسام سني شيعي منذ الغزو الذي قادته الولايات المتحدة في 2003. وتهيمن أحزاب شيعية تدعمها إيران على الحكومة واستخدمت قوات ضد جماعات أغلبها من السنة.

وهنا، يؤكد أندرياس كريغ، وهو أستاذ مساعد في كلية كينغ (كينغس كوليدج) في لندن، أنه "يجب على العراق أن يتبنى سياسة أكثر شمولية تجاه كل مواطنيه لأن هذا النموذج يوفر أمنا حقيقيا".

### مستقبل غائم

وأضاف أنه "لا يمكن للدولة العراقية أن توفر الأمن لكل شعبها"، موجها اللوم للسياسات التي تسببت في ظهور الانقسامات في البلاد والتي ظهرت بعد الاحتلال الأميركي سنة 2003، من ذلك سياسة اجتثاث البعث.

وحمّل كريغ تواصل الإخفاقات الأمنية في البلاد لرئيس الوزراء السابق نوري المالكي حيث تمّ ملء الجيش العراقي بالموالين له، ولهذا السبب فر الجنود أمام داعش في سنة 2014. وأضاف أن السياسيين الموالين لإيران مثل المالكي يهددون مشروع عراق يضم الجميع.

وقال كريغ "لقد عانى العرب السنة من التعذيب والاغتصاب والإعدام دون محاكمة على يد الحكومة بزعامة الشيعة. كما يواجهون التطهير العرقي". ولذلك "يشعرون بأنهم مواطنون من درجة ثانية".

وقال كريغ إن ما نحتاجه هو توفير التمويلات لإحداث استقرار في المناطق المتضررة من الحرب. وأضاف أنه في المناطق الحساسة يجب أن تكون الشرطة من أفراد تلك المجتمعات.

وشدّد على ضرورة كبح النفوذ الإيراني الذي تمثله ميليشيات الحشد الشعبي و أيضا عبر فاعلين آخرين، "فالإيرانيون يتحركون لأن الآخرين لا يحركون ساكنا".

كذلك حث جوناتون باريس، مستشار كبير لدى مجموعة شرتوف، على مجابهة النفوذ الإيراني في العراق وقال إن الرئيس الأميركي جورج بوش أعلن عن "انتهاء المهمة" في سنة 2003، وبارك أوباما فعل الشيء نفسه في سنة 2011 لكنه أضاف أن دونالد ترامب في حاجة إلى البقاء في العراق لوقت أطول.

كما تناول المؤتمر حاجة المجتمع الدولي لتركيز جهوده على معاناة النساء والأقليات الذين كانوا ضحية لأعمال داعش الإرهابية.

وفي كلمة ألقتها نيكول بيش نيابة عن آن كلويد، نائبة في البرلمان البريطاني عن حزب العمال ورئيسة مجلس المجموعة البرلمانية متعددة الأحزاب المعنية بحقوق الإنسان، والتي قالت إنه "بانسحاب داعش يوجد منفذ لفرصة مساندة النساء والأقليات".

وأضافت "يجب أن نعطي صوتا لكل من تمّ تهميشه لتفادي عودة داعش"، وحثت الحكومة العراقية وحكومة إقليم كردستان لإعداد استراتيجية تخطيط تضم الأقليات. وقالت يجب ألا تغيب المحاسبة في أعقاب الحرب ويجب توثيق كل الانتهاكات و"هناك حاجة إلى تمرير التشريعات لحماية الأقليات".

وأضافت "إلى جانب الإيزيديات عانت كثير من النساء السنّة في ظل حكم داعش... ويجب ألا يتعرضن للوصم بعد تعرضهن للاغتصاب"، مشيرة إلى أن مفهوم "العار والشرف" يستمر في الحد من حرية النساء، "وهناك فرصة لإصلاح الكثير من الأخطاء بعد داعش".

وصرح ناظر ميرجان محمد، نائب رئيس بعثة السفارة العراقية في لندن، أن "الاستقرار يتطلب إعادة البناء والمصالحة"، وهو أمر تعكف عليه الحكومة العراقية.

وقال إن هناك 3.1 مليون نازح داخلي لكن هناك أيضا أكثر من مليوني شخص عادوا إلى محافظاتهم لكن ليس بالضرورة إلى بيوتهم إذ أن "الكثير منهم يعيشون في مخيمات وملاجئ غير رسمية".

وأضاف المتحدث بأن الكثير من الناس الذين عاشوا تحت سلطة داعش في حاجة إلى رعاية صحية عقلية بسبب الصدمات النفسية التي تعرضوا لها لكن العراق ينقصه الأطباء والمختصون في العلاج النفسي.

# هل يمكن عزل إيران واستعادة العراق

أسعد البصري
كاتب عراقي

❏ بدا واضحا من خلال الحفاوة التي استقبل بها رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي في الرياض والقاهرة الأسبوع الماضي أن العرب يحاولون استعادة العراق إلى عمقه العربي وتحريره من إيران. لكن، هل من الممكن حقا عزل العراق عن النفوذ الإيراني؟

يبدو وزير خارجية العراق الأسبق هوشيار زيباري متشائما، وهو يقول، في تصريح بدا وكأنه رد على هذا التساؤل، إن "التقارب العراقي السعودي وهم أميركي لإقناع الذات بإمكان إبعاد العبادي عن الهيمنة الإيرانية".

رد آخر يظهر في تصريحات جون بولتون، سفير الولايات المتحدة السابق لدى الأمم المتحدة، الذي قال خلال لقاء على قناة فوكس نيوز الأميركية، إن التقارب السعودي العراقي مجرد محاولة دبلوماسية. فالعراق جزء من مشروع إيراني ضخم، والسعوديون يعرفون بأنهم لا يستطيعون فعل الكثير.

جوهر المشكلة برأي بولتون أن إيران عندها تصوّر واضح ومشروع كبير بعد القضاء على داعش، بينما أميركا لا تمتلك مشروعا واضحا بعد داعش.

يقول بولتون إن العراق متحد اليوم بسبب القوة والدعم الإيراني ولا أمل بعودة العراق وطنا واحدا متجانسا بشكل طبيعي بعد ما حدث من انقسامات ونزاعات طائفية. كما يرى أن أميركا أخطأت بتخليها عن الأكراد.

لا يعرف العراقيون السبب الذي يجعل العبادي يركض لزيارة المرشد الأعلى علي خامنئي بعد كل زيارة مهمّة إلى الرياض.

السعودية في أكثر من مناسبة وجّهت تحية رسمية إلى نجاحات الجيش العراقي. وآخر ترحيب كان لعمليات الجيش العراقي الذي استعاد كركوك. بالمقابل هل هناك تصريح أو بيان رسمي عراقي يحيي بطولات الجيش السعودي في اليمن ضد الإرهاب الحوثي؟ ما الذي يمنع حيدر العبادي من توجيه تحية إلى الجيش العربي السعودي وبطولاته في عاصفة الحزم؟

يهيمن الموقف الإيراني على الحكومة العراقية لدرجة دفعت الأزمة الكردية إلى إراقة الدماء بين العرب والأكراد.

ولم يكن العبادي موفقا بإصدار مذكرة استدعاء بحق رئيس إقليم كردستان مسعود البارزاني، ولا في المعارك العنيفة بالمدفعية الثقيلة بين القوات الكردية والقوات العراقية على الحدود التركية. سرّعت بغداد من العمليات العسكرية بعد تراجع البارزاني واستسلامه، وسقط العشرات من الأكراد بين قتيل وجريح بسبب تدخل قوات الحشد الشعبي التي تقودها طهران. قام البارزاني بتجميد الاستفتاء، ووقف إطلاق النار، وعرض الاستقالة من منصبه، والتفاوض مع الحكومة دون شروط. المفترض –لولا التدخل الإيراني– أن يستمر العبادي على نهج الاعتدال ولمّ الشمل وتشجيع الحكومة على حقن الدم العراقي.

الأكراد عندهم أسلحة حديثة ومقاتلون بعشرات الآلاف مدربون أفضل تدريب. مع هذا استسلموا وتراجعوا وعرضوا السلام والخضوع للحكومة وسلطة الدستور العراقي. وكانت أمام العبادي فرصة للتّواضع بعد صعود نجمه إقليميا حيث احتفت به أربع عواصم إقليمية كبيرة هي الرياض والقاهرة وأنقرة وطهران.

لو قبل العبادي بتنازل البارزاني له وللدولة العراقية دون تدخل وضغوط من الولايات المتحدة ودون سفك دماء لكبر في عيون الشعبين الكردي والعربي. خصوصا وأن الشعب الكردي نفسه كان يتطلع لعودة الحكومة الاتحادية إلى الإقليم وصرف رواتب الموظفين وتدفق الحركة التجارية.

يدير الإقليم 6 ملايين مواطن عراقي منذ عام 1992 ولديه محاكم وشرطة وسجون، ولا توجد جرائم كثيرة في كردستان، فيما يخشى كثيرون أن إضعاف حكومة الإقليم بسبب النزاع الحالي سيؤدي إلى عودة الجريمة والتطرف الديني.

ونجحت جامعات كردستان في استقطاب الكثير من العقول العراقية، حتى أن بعض الأساتذة كان يلغي عقده خارج العراق ويوقّع عقدا مع كردستان وهناك جامعة أميركية في السليمانية.

> رئيس الوزراء حيدر العبادي لم يكن موفقا بإصدار مذكرة استدعاء بحق رئيس إقليم كردستان مسعود البارزاني، ولا في المعارك العنيفة بالمدفعية الثقيلة بين القوات الكردية والقوات العراقية على الحدود التركية

فلماذا التحريض على هدم تجربة صحيحة وتحويل الأكراد إلى نازحين؟

لقد بالغ العبادي في إذلال الأكراد على خلفية اختراقات للدستور العراقي رغم أن الدستور في الحقيقة شبه معلّق ولا أثر واقعيّ لتطبيقه. حتى أن السفير الأميركي الأسبق لدى العراق روبرت فورد كتب مؤخرا أن الحكومة العراقية تجاوزت أغلب المواد الدستورية وخالفتها. وقال إن "الدستور العراقي يتحدث عن سيادة كردستان في 144 مادة منه، تجاوزت الحكومة العراقية 55 منها وخلال الأحداث الأخيرة زادت عليها 12 أخرى".

الخلاصة هنا أن البارزاني قدم تنازلات لأجل شعبه وضحى بالكرامة الشخصية لعيون أطفال كردستان، في المقابل كانت طهران تدفع العبادي إلى اتخاذ مواقف متطرفة ومليئة بالغرور.

والعرب يدعمون العبادي العربي المتسامح الذي حقق نجاحات كبيرة في دحر الإرهاب ولا يدعمون العبادي الإيراني الخاضع لتهديد الميليشيات.

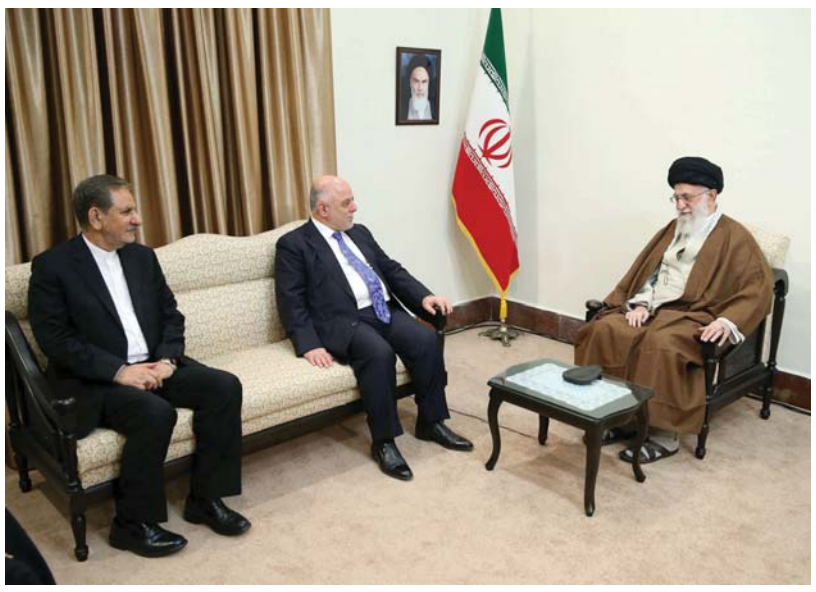

العبادي زار الرياض بصفته رئيس وزراء العراق أم مبعوث إيران؟

# عن مغامرة مسعود البارزاني...

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ يشكّل تراجع الأكراد عبر اقتراح يقضي بـ"تجميد" نتائج الاستفتاء، خطوة إلى الأمام. هناك اعتراف بالهزيمة المؤقتة غلفتها دعوة كردية إلى الحوار وإلى العودة إلى نصّ الدستور العراقي والاحتكام إليه. يأتي ذلك في وقت تبيّن بوضوح ليس بعده وضوح أن الانتقال إلى الاستقلال لا تزال دونه عقبات كثيرة في مقدّمها رفض كلّ الدول المحيطة بكردستان قيام دولة كردية. كلّ ما تطلبه دول الجوار وحكومة بغداد من الأكراد هو الاستسلام واعتبار الاستفتاء وكأنّه لم يكن، علما أنّه كان وأنّ نتائجه معروفة.

> الاستفتاء الكردي كان مغامرة غير محسوبة. ربما كان ذلك عائدا إلى أن مسعود البارزاني لم يقرأ الخارطة الإقليمية وخارطة الانقسامات الداخلية الكردية والموقف الأميركي جيدا. ربما أيضا قرأ كل ذلك جيدا. وحدها الأيام ستظهر هل كان الاستفتاء الذي عبر الأكراد من خلاله عن حقيقة ما يتطلعون إليه غير قابل للتأجيل

اكتشف أكراد العراق أخيرا، خصوصا رئيس إقليم كردستان مسعود البارزاني، أنّ الظروف الراهنة غير مواتية للاستقلال. حصل تراجع، خصوصا بعد الذي حصل في كركوك التي كانت ولا تزال قنبلة موقوتة على الصعد العراقية والكردية والإقليمية. السؤال ما الحدّ الذي يمكن أن يبلغه التراجع الكردي في وقت ليس هناك من يريد الالتقاء مع الأكراد في منتصف الطريق وإنقاذ ماء الوجه لرئيس إقليم كردستان. على العكس هناك من يريد الانتهاء من الرجل. أسوأ ما في الأمر أنّ هناك أكرادا يريدون ذلك ويعملون لأجله. هنا أيضا أخطأ البارزاني في سوء تقديره لوزن المعارضة الكردية، وهي معارضة لشخصه أكثر بكثير مما هي معارضة لمشروعه.

الدليل على ذلك، أنّه لم يبرز أيّ اعتراض كردي على لفّ جثمان الرئيس جلال الطالباني الذي يمثّل الأكراد الآخرين، في معظمهم طبعا، بالعلم الكردي وليس العلم العراقي. حدث ذلك لدى إعادة هذا الجثمان إلى أرض كردستان بعيد الاستفتاء حيث دفن أحد رموز النضال الكردي في السنوات الستين الماضية. لُفّ جثمان الطالباني بالعلم الكردي، علما أنّه بقي سنوات طويلة رئيسا للجمهورية العراقية وكان يمارس صلاحياته من بغداد وليس من السليمانية أو أربيل أو أيّ مكان آخر من كردستان.

كانت حسابات البارزاني خاطئة إلى حد كبير، في مجملها، بعدما تبيّن له أن الموقف الأميركي من النوع الذي لا يمكن الاعتماد عليه. هذا عائد إلى أسباب عدة في غاية التعقيد. كذلك، تبيّن إلى إشعار آخر، أن دعم إسرائيل ليس كافيا كي تنحاز واشنطن للاستقلال الكردي وتدافع عن الاستفتاء ونتيجته.

اختار مسعود البارزاني السير إلى النهاية في الاستفتاء على الاستقلال على الرغم من كل الإشارات التي تلقّاها عن التحفظات الأميركية وعن الموقفين الإيراني والتركي. اختار هذا الطريق الصعب تفاديا للانتحار السياسي بعدما اعتبر، من خلال تجربة استمرّت سنوات عدّة، أنّ لا مجال لشراكة مع الحكومة المركزية في بغداد في ظل الدولة الدينية التي نجحت إيران في إقامتها في العراق بعد سقوط نظام صدّام حسين في العام 2003.

لا شك أنّ عوامل عدّة جعلت البارزاني يصرّ على الاستفتاء. من بين هذه العوامل ضمور عائدات الدولة العراقية من النفط وترسيخ دور "الحشد الشعبي" بصفة كونه العمود الفقري للنظام الجديد في العراق وللدولة العراقية، وهو دور ترافق مع استمرار الانقضاض الإيراني على مؤسسات الدولة العراقية، أو ما بقي منها. لعبت عوامل عدّة دورا في إقناع البارزاني وعدد كبير من الشخصيات الكردية بأنّ لا بديل من الاستفتاء في ظلّ التغييرات التي تشهدها المنطقة كلّها بعد مرور قرن كامل على سايكس-بيكو.

ما يمكن قوله الآن إنّ الاستفتاء حصل وإن نتيجته واضحة. من الصعب إلغاء النتيجة ولكن هل في بغداد وطهران وأنقرة من يبحث عن مخرج من أزمة ما بعد الاستفتاء الكردي، وهي أزمة كردية أوّلا.

في ظلّ موازين القوى الراهنة سيكون من الصعب إيجاد مخرج، لكن السؤال الملحّ الذي سيظل يطرح نفسه ماذا إذا حصل تغيّر في موازين القوى القائمة التي مكّنت "الحشد الشعبي" من طرد قوات البيشمركة من كركوك؟ أثبتت إيران من خلال ما شهدته كركوك أنّها اللاعب الأساسي في العراق وأنّ لا وجود لمن يريد التصدّي لها، خصوصا بعدما تجاهلت الإدارة الأميركية الدور الذي لعبه "الحشد"

## ما الذي يحصل؟

في كركوك، وقبل ذلك في الموصل، بقيادة اللواء قاسم سليماني قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" الايراني.

من الصعب التكهّن بما إذا كانت ستحصل استجابة للتراجع الكردي. لكنّ من السهل التكهن بأنّ هناك من يريد التخلّص من مسعود البارزاني. من الواضح أن بغداد غير بعيدة عن هذا التوجّه بتشجيع إيراني مباشر. ففي موازاة الكلام الكبير عن استعدادات للجيش العراقي و"الحشد" للقضاء على آخر معاقل "داعش" في الأراضي العراقية، هناك مصادر ذات اطّلاع واسع تؤكّد أن الهدف الحقيقي للجيش العراقي و"الحشد" هو ممارسة مزيد من الضغط العسكري وغير العسكري على أربيل.

هذه ليست المرّة الأولى التي يجد فيها الأكراد أنفسهم في وضع لا يحسدون عليه. عاد عليهم ارتباطهم بالدعم الإيراني في أيام الشاه بكارثة. كان ذلك في العام 1975. كان كافيا توقيع شاه إيران وصدّام حسين اتفاق الجزائر الخاص بشط العرب في آذار-مارس من تلك السنة، حتى انهار التمرّد الكردي الذي قاده الملّا مصطفى البارزاني.

لن يعيد التاريخ نفسه في العام 2017، لكنّ الثابت أن على الأكراد تقديم مزيد من التنازلات في الظروف الراهنة. هناك استغلال إلى أبعد حدود لنقاط الضعف لدى مسعود البارزاني. تستغل نقاط الضعف حكومة حيدر العبادي، الذي عليه إظهار أنّه ليس رجلا مفلسا كما يحاول أن يصوّره غريمه نوري المالكي. كذلك تستغلّ نقاط الضعف لدى البارزاني كل من إيران وتركيا. معروف أن إيران تريد أن تثبت في كلّ يوم أنّها اللاعب الأساسي في العراق وأنّ الورقة العراقية في جيبها، في حين ليس سرّا أن أكثر ما يخيف تركيا هو فكرة الدولة الكردية المستقلّة.

كان الاستفتاء الكردي مغامرة غير محسوبة. ربّما كان ذلك عائدا إلى أن مسعود البارزاني لم يقرأ الخارطة الإقليمية وخارطة الانقسامات الداخلية الكردية والموقف الأميركي جيّدا. ربّما أيضا قرأ كلّ ذلك جيّدا. وحدها الأيّام ستظهر هل كان الاستفتاء الذي عبّر الأكراد من خلاله عن حقيقة ما يتطلّعون إليه غير قابل للتأجيل؟

في كلّ الأحوال، مارس مسعود البارزاني لعبة كبيرة سيتبيّن قريبا هل في استطاعته الاستمرار فيها... أم عليه في مرحلة معيّنة التفكير في التنحّي. الكثير سيعتمد على ما إذا كانت موازين القوى الإقليمية باقية على حالها أم لا. هل لدى رئيس إقليم كردستان معطيات لا يعرفها أحد غيره جعلته يذهب إلى النهاية في مغامرته؟ هل المسألة مسألة وعود أميركية لم ينفّذ شيء منها؟

الأكيد أن الأكراد يستأهلون دولة خاصة بهم. ما ليس أكيدا هل كانت الظروف الراهنة تسمح بمغامرة من نوع تلك التي خاضها مسعود البارزاني...

# وداعا كاكه مسعود

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❏ إن الإعلان الرسمي الكردي عن مغادرة مسعود البارزاني قصر الرئاسة في كردستان بعد أيام يضع النهاية المؤلمة ليس لسجله السياسي الشخصي فقط، بل للزعامة البارزانية التاريخية أيضا، وقد يصبح بداية العد العكسي لعمر الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي احتكر السلطة زمنا ليس بالقصير.

هذه الزلازل التي حدثت لكردستان العراق، والزلازل المقبلة إليها في قادم الأيام، من انحسار وتدهور وفقد حقيقي للاستقلال "الواقعي" الذي تحقق لها في العقدين الماضيين، مع احتمال فقدانها الحكم الذاتي الذي حصلت عليه من الرئيس الراحل صدام حسين الذي يشتمه الأكراد ليل نهار، لم تكن لتحدث لو كان العراق دولة سوية مثل دول العالم العاقل، هيبتها محترمة، وحدودها وسيادتها، وحقوق أهلها السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية محفوظة، وقضاؤها عادل ومستقل ينصف المتظلمين والمتضررين، ودستورها مكتمل الصحة والعافية وغير ملغّم بالقنابل والمفخخات، ومحمي ببرلمان فاعل وقويّ ومؤتمن، ورئاسة جمهوريتها ووزرائها مهيبة، وجيشها قويّ متماسك محتفظ بوحدته الوطنية التاريخية المتوارثة.

لكن رؤساء أحزاب الجبهة الكردستانية، ومسعود قائدهم، وقادة أحزاب حلفائهم الإسلاميين الموالين لإيران، وحزب الدعوة زعيمهم، وعلي خامنئي وليّهم، نكثوا بوعودهم أيام المعارضة السابقة، فاقتسموا الوطن مناصفة، ودفنوا أمل العراقيين في أن يكون النظام الذي يخلف دكتاتورية صدام ديمقراطيا يحقق العدالة والمساواة لجميع المواطنين، بجيش واحد وحكومة واحدة ترفض وصاية رجل الدين أو رئيس القبيلة، وتمنع إنشاء الميليشيات ومحاصصة التحاور بالمفخّخات.

الحقيقة أن مصائب الوطن العراقي كلّها، من يوم ظهور داعش وحتى اجتثاثه وتحرير آخر الوطن من شروره، وخسائر كردستان أهمّ بعضها، من صنع فرد واحد أركبه على ظهور العراقيين الثلاثة: إبراهيم الجعفري وزلماي خليل زادة سفير أميركا في العراق يومها وضابط ارتباط المخابرات الأميركية في العراق.

وإليكم الحكاية كما رواها زلماي نفسه لصحيفة نيويوركر الأميركية.

غضب الرئيس الأميركي جورج بوش الابن على إبراهيم الجعفري بسبب تردده وفشله وضعف شخصيته وتخلفه.

سأل الرئيس الأميركي سفيره زلماي "ألا يمكن التخلص من الجعفري؟" أجاب السفير "نعم، ولكن الأمر لن يكون سهلا".

وقد كان الجعفري رافضا، بإصرار، أمر الإقالة الأميركي.

ولكن السفير البريطاني في العراق دخل عليه وبيده حقيبة سوداء، وأمره بالاستقالة، ولكن الجعفري استشاط غضبا، وكرر إصراره على عدم الاستقالة، ففتح السفير الحقيبة وعرض عليه وثائق بريطانية رسمية تفضح كونه لاجئا سياسيا في بريطانيا قبض، وهو رئيس وزراء العراق، مساعدات مالية وخدمات. وقال له "إن لم تغادر، فورا، فسأعطي الصحافة هذه الوثائق". عندها احمرَّ وجه الجعفري واصفرّ، وتصبب عرقا، ووافق على الاستقالة مرغما، ولكن بشرط أن يخلفه واحد من حزب الدعوة، ورشح علي الأديب.

رفض زلماي تكليف الأديب، بعد أن اكتشف أن والده إيراني لم يغادر إيران.

> شيء واحد حققه مسعود البارزاني وهو أنه ذبح نظام المحاصصة من الوريد إلى الوريد، ونسف النظام الفيدرالي المغشوش من جذوره وجعل العراق كله مستعمرة واحدة موحدة ملحقة بدولة الولي الفقيه

قال، شاكيا، لزائره مسؤول محطة المخابرات الأميركية "سي آي إيه" في العراق "هل يعقل ألا يكون في بلد الثلاثين مليونا مرشح واحد لرئاسة الحكومة سوى واحد ضعيف كالجعفري، وإيراني كالأديب؟".

فردّ ضابط الارتباط بالقول "لديّ مرشح لك اسمه نوري المالكي".

وفي ليلة اليوم التالي وخلال مأدبة عشاء في السفارة الأميركية في المنطقة الخضراء، سأل السفير الأميركي نوري المالكي، هل تريد أن تصبح رئيسا لوزراء العراق؟ ويقول زلماي إن وجهه امتقع، وخاف وارتبك، ثم كانت الواقعة.

ورغم أنه أثبت فشله، في فترة رئاسته الأولى وظهر فسادُه وطائفيته وجهله بالسياسة والقيادة فقد فرضه مسعود البارزاني باتفاق سري بينهما في أربيل 2010، رئيسا للوزراء فترة ثانية.

وعرفانا بفضل الأكراد عليه أغمض نوري المالكي عن أحزاب الجبهة الكردستانية، وعن مسعود البارزاني بشكل خاص، وسمح لهم بحلب الدولة ونهب أموالها وتخريب وزاراتها وسفاراتها حين كان محتاجا لسكوتهم عن فساده، ولتطنيشهم عن عمالته وحملات ظلمه وانتقامه من خصومه السياسيين السنّة والشيعة، إلى أن اختلفت المصالح وتصادمت الأهداف وتفجرت نوازعه الدكتاتورية وحبه المَرَضي للهيمنة، فمارس ضدهم كل أنواع الانتقام ردًّا على إحسان واعترافا بجميل.

هنا فقط أدرك مسعود وشركاؤه في الجبهة الكردستانية خطيئة التحالف معه، وراحوا يشتمونه ويلعنون الساعة التي عرفوه فيها، ويتباكون على الوطن والمواطنين ويتآمرون لعزله بأيّ وسيلة وأيّ سبب، إلى أن أسقطوه، و"أجازوا" ترئيس قيادي آخر من حزب الدعوة مكانه، هو حيدر العبادي ولكن بعد فوات الأوان.

وكمن يهرب إلى أمام حكمت المآزق والاحتقانات الداخلية والخارجية المتلاحقة على مسعود البارزاني بركوب الصعب والمقامرة بمستقبله السياسي وبمصير كردستان ذاتها، على أساس "فإما حياة

## قبضة واهية

تَسرُّ الصديق وإما مماتٌ يَغيظ العدا"، فقرر مكاسرة الحكومة المركزية ومحاصرة خصومه في حزب جلال الطالباني وحركة التغيير بالاستفتاء وبالتلويح بالانفصال ليجد نفسه وحيدا في النهاية مأمورا بالرحيل غير مأسوف عليه.

شيء واحد حققه مسعود قبل رحيله المحتوم وهو أنه ذبح نظام المحاصصة من الوريد إلى الوريد، ونَسَف النظام "الفيدرالي" المغشوش من جذوره، وجعل العراق كله مستعمرة واحدة موحدة ملحقة بدولة الولي الفقيه، ولو كره الكارهون.

# الرباط تدعم خيار الوحدة في علاقتها بمدريد

## التوظيف السلبي لمبدأ تقرير المصير يحوله إلى وسيلة لتفكيك الدول

شددت المملكة المغربية التي تسعى منذ سنوات إلى حل قضية الصحراء المغربية وقطع الطريق أمام محاولات جبهة البوليساريو الانفصالية، على أنها لا تعترف ولن تعترف بالإعلان أحادي الجانب لاستقلال كتالونيا، في موقف جاء متسقا مع مواقف صادرة عن معظم المجتمع الدولي. ويأتي القرار المغربي دعما لبلد جار تربطه به علاقات أمنية وسياسية وتجارية وحدودية متينة وأيضا تأكيدا على موقفه الثابت من سيادة الدول ووحدة أراضيها، وهو الذي يواجه أزمة كانت إسبانيا أحد المتسببين فيها عندما تجاهلت ظهور البوليساريو خلال فترة استعمارها للصحراء المغربية، لكنها اليوم تدعم سيادة المغرب على الصحراء المغربية ومبادرة الحكم الذاتي التي اقترحها لحل النزاع.

محمد بن امحمد العلوي
كاتب مغربي

❏ **الرباط** – على خلفية إعلان إقليم كتالونيا استقلالا أحادي الجانب عن الحكومة المركزية بمدريد، أكد المغرب بشكل قاطع أنه لن يتعامل مع كتالونيا إلا في إطار الوحدة والسيادة الإسبانيتَيْن، ولن يعترف بالإعلان أحادي الجانب لاستقلال الإقليم، معبرا عن تضامنه المطلق مع الحكومة الإسبانية.

وقالت وزارة الخارجية، في بيان صدر الجمعة 27 أكتوبر، غداة إعلان برلمان إقليم كتالونيا الاستقلال عن إسبانيا، إنه في ظل هذه الظروف الخاصة التي تجتازها الجارة إسبانيا، فإن المملكة المغربية تقدم دعمها المطلق للحكومة الإسبانية، من أجل فرض احترام الدستور والحفاظ على الوحدة الوطنية وسيادة البلاد.

> موقف المغرب من انفصال كتالونيا يتسق مع خطه الدبلوماسي الداعي إلى الحفاظ على سيادة الدول وحماية أراضيها، الشيء الذي يصب في تقوية الدول ويحمي أمنها واستقرارها

ومردّ الموقف المغربي لا فقط العلاقات المتميزة بين المغرب وإسبانيا، بل أساسا تجربة المغرب مع الانفصاليين الذين عطلوا الكثير من مشاريع تنمية وتطوير الصحراء المغربية. وتعدّ المملكة المغربية من الدول التي حذرت مبكرا من خطورة الانفصال وما يمثله من تهديد إقليمي ودولي على كافة الأصعدة السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية.

ويتسق موقف المغرب مع خطه الدبلوماسي الداعي إلى الحفاظ على سيادة الدول وحماية أراضيها، الشيء الذي يصب في تقوية الدول ويحمي أمنها واستقرارها والذي ينعكس بدوره على منطقتها الإقليمية. وتأكيدا لدعم المغرب لحكومة مدريد قال الناطق الرسمي باسم الحكومة المغربية، مصطفى الخلفي، إن "المغرب له ثوابت تحكم سياسته الخارجية، والموقف الذي سيعلن على مستوى إسبانيا إزاء هذا الاستفتاء نحن معه".

ويرى محمد الشرقاوي، أستاذ تسوية النزاعات الدولية في جامعة جورج ميسن بواشنطن، أن المغرب يذهب في اتجاه المواجهة الاستباقية للشرعية المضادة وهي مبدأ حق الشعوب في تقرير المصير الذي انتعش منذ بداية القرن بعد إجراء استفتاء الاستقلال في تيمور الشرقية عام 1999، واستقلال جنوب السودان عام 2011، وتفكير اسكتلندا في الانفصال عن المملكة المتحدة هذا العام، واستفتاء كردستان قبل شهر.

ويشغل المغرب بالدّلالات السياسية والاستراتيجية لمشروع استقلال كتالونيا وتطوّر الخطاب الدولي سواء بين عواصم المنطقة أو لدى المنظمات الدولية خاصة الاتحاد الأوروبي ومجلس أوروبا والأمم المتحدة.

وحذّر السفير الممثل الدائم للمغرب لدى الأمم المتحدة، عمر هلال، في 10 أكتوبر 2017 أمام اللجنة الرابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة، من تنامي النزعة الانفصالية المقوضة للاستقرار في بعض بلدان أوروبا والشرق الأوسط وأفريقيا. واعتبر هلال أن تصاعد النزعة الانفصالية يؤكد أن التوظيف والاستغلال السياسيين لمبدأ تقرير المصير يشكلان خطرا على العديد من البلدان، ويهددان استقرارها ويعرقلان تنميتها ويجزئان مناطقها ويزرعان الفرقة بين شعوبها.

ويقول محمد الشرقاوي لـ"العرب" إن تصويت المشرّعين الكاتالونيين بفارق 70 صوتا أيدت و10 أصوات عارضت الاستقلال، بمثابة مقدمة لتأجيج المعركة المفتوحة دوليا بين دعاة الحفاظ على التركيبة البنيوية للدول وتماسك سردية الحكم "من أعلى إلى أسفل" وأنصار التغيير بإرادة الشعوب وسردية الاحتكام إلى الأخلاقيات السياسية والقانونية حسب القاعدة الشعبية "من أسفل إلى أعلى".

ويرتفع التأييد المغربي لمدريد إلى مستوى الدعم المطلق للحفاظ على الوحدة الوطنية وسيادة إسبانيا، حسب الشرقاوي، الذي أكد أن موقف المغرب طعن ضمني في أحادية الفعل السياسي من قبل تيار الاستقلال فوق إرادة مدريد. وفسر هذا التوجه بأنّ المغرب يتمسك بمبدأ الحفاظ على الوحدة الوطنية وسيادة الدولة المركزية كشرعية تاريخية منذ قيام الدولة الحديثة عقب اتفاقية وستفاليا الموقعة عام 1648.

ويرى الشرقاوي في دعم الرباط لمدريد استثمارا مضاعفا في تعزيز خطاب الوحدة الوطنية بما يصبّ بشكل غير مباشر في استمالة مساعي الأمم المتحدة نحو خيار الحكم الذاتي لسكان الصحراء ضمن إطار وحدة وطنية متماسكة، مع التقليل في الوقت ذاته من عدم واقعية التلويح بإجراء الاستفتاء من أجل حق تقرير المصير وهي قناعة تترسخ في النقاشات بين أروقة الأمم المتحدة في نيويورك.

وعرفت علاقات المغرب وإسبانيا مدا وجزرا حسب تموقع مدريد من قضايا تهم مصالح المغرب ومنها ملف الصحراء المغربية. وتكشف طبيعة الموقف المغربي من قضية كتالونيا حاليا، حسب الشرقاوي، خروج العلاقات المغربية الإسبانية عن مسار "الردّ بالمثل" أو "ردّ الصّاع صاعيْن" إذا وضعنا تعهّد الرباط بتقديم "الدعم المطلق" لمدريد على ميزان التفاعل المتوازي بين موقف الرباط إزاء كتالونيا وموقف مدريد بشأن الصحراء المغربية منذ انسحابها من المنطقة عام 1975.

وأيدت عدة حكومات متعاقبة في إسبانيا تيار الانفصال في الصحراء قبل أن ترى مدريد قبل أسابيع إعلان تأييدها للتوصل إلى حل "متفق عليه ودائم" بين المغرب وجبهة البوليساريو.

ويتوقع الشرقاوي أن تزداد النبرة الإيجابية في تجسير الفجوة بين مصالح الدولتين بعد الموقف المغربي الأخير من انفصال كاتالوني، مشيرا إلى أن تقاطع المصالح المتبادلة سياسيا واستراتيجيا وأمنيا بين مدريد والرباط يظل رهينا بمآل المعركة الدستورية بين برشلونة ومدريد إذا اتجه رئيس وزراء إسبانيا ماريانو راخوي نحو ابتكار صيغة جديدة وهي التوافق على صيغة مرضية للحكم الذاتي لإقليم كتالونيا. وهذا هو أفضل سيناريو سيفيد الرباط أكثر مما يريح راخوي في معركته الداخلية.

لكن إذا واصلت مدريد تبنّي منطق القوة وفرض الأمر الواقع على غرار ما فعلت يوم إجراء التصويت، فإن ذلك سيكون بمثابة من يرمي السّماد على أرض خصبة لتنامي القومية الكاتالونية، وهذا السيناريو المحتمل، كما يرى محمد الشرقاوي، لا يؤرق المسؤولين في مدريد فحسب، بل يلقي بظلاله أيضا المغرب.

رفض عالمي لانفصال كتالونيا

## «دولة كتالونيا» التي لم تدم طويلا

❏ **مدريد** – أقالت إسبانيا قائد شرطة إقليم كتالونيا جوزيب لويس ترابيرو في إطار تولي حكومة مدريد حكم الإقليم لإحباط مساعيه للاستقلال. كما أقالت مدريد حكومة كتالونيا وتولت إدارة الإقليم ودعت لانتخابات جديدة بعدما أعلن برلمان كتالونيا الاستقلال الجمعة (27 أكتوبر 2017)، وهي ليست المرة الأولى التي يعلن فيها الإقليم الانفصال.

يذكر ما يجري اليوم في إسبانيا، بما حدث في السادس من أكتوبر سنة 1934، حين أعلن رئيس حكومة كتالونيا المتمتعة بحكم ذاتي يويس كومبانيس "دولة كتالونيا في إطار جمهورية إسبانيا الاتحادية" غير القائمة، وبعد عشر ساعات وسقوط عشرات القتلى استسلم.

قبل ذلك وفي خطوة سابقة، لم تنتظر كتالونيا تبني دستور ديسمبر 1931 وأعلنت نفسها جمهورية، منتزعة حكما ذاتيا لم يكن يتناسب إلا مع نموذج دولة فيدرالية. ودخلت حكومة مدريد حينذاك في مفاوضات شاقة لتستعيد صلاحياتها من الدولة الاتحادية الجديدة.

يوم 6 أوكتوبر 1936، أطل كومبانيس من على شرفة مقر الحكومة الكاتالونية وتوجه إلى أنصاره بالقول "أيها الكاتالونيون، في هذه الساعة وباسم الشعب والبرلمان، تتولى الحكومة التي أرأسها كل السلطات في كتالونيا، وتعلن دولة كتالونيا في الجمهورية الفيدرالية الإسبانية، وتدعو قادة الاحتجاج العام على الفاشية من أجل إقامة العلاقات معهم وتعزيزها، إلى تشكيل حكومة مؤقتة للجمهورية في كتالونيا".

لم يتأخر رد الحكومة بعد إعلان كومبانيس. فقد رفض القائد العسكري لكتالونيا الجنرال دومينغو باتيت الامتثال لأوامر حكومة الإقليم وأعلن حالة الحرب بعد التشاور مع حكومة مدريد.

وقتل جندي من المشاة برصاص مسلح ورد الجيش بقصف مدفعي. وأسفرت المواجهات ليلا عن سقوط ما بين 46 و80 قتيلا، حسب المؤرخين. وعند الساعة السادسة من صباح السابع من أكتوبر، أي بعد عشر ساعات على إعلان "دولة كتالونيا"، أعلن كومبانيس استسلامه للجنرال باتيت.

وفي 14 ديسمبر صدر مرسوم ينص على تعليق الحكم الذاتي لكتالونيا نهائيا. ولجأ كومبانيس إلى فرنسا بعد الحرب الأهلية الإسبانية (1939–1936) وأوقفه الألمان في 1940 وقاموا بتسليمه إلى الجنرال فرانسيسكو فرانكو الذي كان يحكم إسبانيا بقبضة من حديد. وأعدم في 15 أكتوبر في قلعة مونتجويك المطلة على مدينة برشلونة.

وتحول كومبانيس بذلك إلى بطل للاستقلاليين الكاتالونيين ويستحضرون اليوم ذكراه في خضم الأزمة المتصاعدة بين حكومة مدريد وإقليم كتالونيا الذي دعا رئيسه المقال كارليس بوتشيمون إلى "الاعتراض بشكل ديمقراطي على تطبيق المادة 155» من الدستور الإسباني التي تضع المنطقة تحت وصاية مدريد.

وأضاف بوتشيمون في خطاب متلفز "سنواصل العمل حتى بناء بلد حر"، في خطوة يعارضها الجميع في أوروبا وفي أغلب أنحاء العالم.

# كتالونيا تخسر امتيازات الإقليم وصلاحيات الحكم الذاتي

أمين بن مسعود
كاتب تونسي

❏ كما كردستان العراق، اختار إقليم كتالونيا أن يخطو خطوة فوق لغم استراتيجي، ليجد نفسه لا هو قادر على الرجوع إلى الحالة الأولى حيث صلاحيات الحكم الذاتي والفيدرالية الناعمة ولا هو مؤهل لاقتلاع اعتراف إقليمي ودولي بـ"الدولة الوليدة".

يدرك قادة كتالونيا أنهم يقفون اليوم فوق لغم شديد الانفجار يحتدّ لهيب اشتعاله باطراد، فلا مدريد ستقبل بانفصال أحادي ولا أوروبا ستؤيد خطوة خطيرة أخرى تهز أركان النادي الأوروبيّ.

كثيرون في برشلونة أخذوا بنشوة "انتصار الانفصال" قبل أن يرتد سؤال "الخطوة التالية" إلى قطب رحى الفعل السياسي في الإقليم، بعد أن جاء الردّ واضحا من واشنطن ومن عواصم القرار الدوليّ والتكتلات الإقليمية الكبرى، بالرفض الكلي لأية خطوة انفصالية والتأييد الكامل لحق مدريد في استرداد سيادتها على جغرافيتها المسلوبة.

مأساة الكثير من السياسيين تكمن في عدم استقراء استتباعات الخطوات المعتمدة أو بعبارة أدق في العجز عن القراءة الدقيقة لكافة الحيثيات والملابسات.

"الوقوف على اللغم" هو أيضا ذات المشهد في إقليم كردستان حيث أقدم مسعود البارزاني على خطوة غير محسوبة جعلت الأكراد في استعصاء استراتيجي حيث استحالة عودة الأمور إلى ما قبل استفتاء تقرير المصير ولا هم بقادرين على فرض الانفصال وتحويله إلى أمر واقع.

السياسة بمنطق العارفين بتضاريسها كامنة في "فنّ الممكن" وليس في "فرض المحال". وفنّ الممكن يقتضي دراسة العواقب المرجحة منها والمستبعدة واستقراء فرضيات النجاح وإمكانيات الفشل، ومنها يكون الإحجام أو الإقدام.

من الواضح أنّ مصير انفصال كتالونيا متمثل في الفشل الذريع، لا فقط لأنّ مقومات الاستقلال لم تنضج بعد ومقدمات الانفصال لم تتأصل، وإنما –وهو الأهمّ– لأنّ سيناريو "الدولة المغلقة" جغرافيا من جيرانها وسياسيا من محيطها واقتصاديا من شركائها ينتظر الدولة الوليدة في حال إنشائها.

لا تنشأ الدول فقط انطلاقا من قرار داخليّ أو تقرير مصير محليّ أو مكاسرة مسلحة، بل يرتبط كل ما سبق بموافقة من العاصمة المركزية وبمباركة من المحيط الإقليمي وتأييد من المنتظم الدوليّ. وغير ذلك، لن تنتج هذه الكيانات سوى منظومة جديدة من درب الآلام والجروح على غرار الجبهة الانفصالية (بوليساريو) في الصحراء المغربية أو مخاتلة للجغرافيا السياسية والانثروبولوجيا الإنسانية والتاريخية على غرار الكيان الاسرائيلي في فلسطين.

المفارقة اليوم، أنّ كتالونيا التي راهنت بكل رصيدها الهوياتي والاثني للخروج من وضع الإقليم نحو الدولة، تخسر حقيقة الإقليم وصلاحيات الحكم الذاتي دون أن تتحصّل على الدولة. والإقليم الذي دخل في تفاوض مع مدريد لتوسيع الصلاحيات التقريرية والتنفيذية والتشريعية يكاد اليوم يضيع ممن بيديه كافة خصوصيات الحكم المحليّ.

ذلك أنّ الخطوات الخمس التي أعلنتها مدريد مباشرة بعد إعلان برلمان كتالونيا الانفصال، وهي خطوات مالية وأمنية وتشريعية وسياسية وإدارية، تحوّل كتالونيا من إقليم بشبه صلاحيات دولة مستقلة إلى إقليم شبيه بمحافظة ضمن دولة مركزية.

هكذا تهدر الخطوات المتسرعة التي تتضمن أشياء من بحث السياسيين عن بطولة وهمية وعن إنجاز تاريخي على حساب الجغرافيا واقتناص المكتسب الانتخابية والدعائية على حساب مفهوم الدولة الجامعة، على الأقاليم والأقليات القلقة فرصة تأصيل عقد اجتماعي وسياسي جديد.

مشروع الانفصال والدولة الكاتالونية، ولدا ميتين في رحم الإقليم قبل الدولة الإسبانية ذلك أن الأصوات المعارضة للانفصال في كتالونيا كثيرة.

صحيح أنّ انفصال كتالونيا عن إسبانيا تمّ وأده بسرعة، وصحيح أيضا أنّ مدريد أبرزت أنياب الدولة المركزية ما يؤكّد أنها لن تتفاوض على وحدتها، ولكن الصحيح في المقابل أنّ إعادة الإقليم إلى الدولة المركزية لن تكون نزهة سياسية أو عسكرية سيما بعد استفحال دعوات الانفصال وانتشار مقولات الدولة الموعودة والوطن المسلوب.

> الدول لا تنشأ فقط انطلاقا من قرار داخلي أو تقرير مصير محلي أو مكاسرة مسلحة، بل يرتبط كل ما سبق بموافقة من العاصمة المركزية وبمباركة من المحيط الإقليمي وتأييد من المنتظم الدولي

### النقاط الرئيسية في إعلان استقلال كتالونيا

# ألماني بعقل فريد يدير مشروعا مشتركا لثلاث دول عربية

## كلاوس كلاينفيلد و«نيوم»

## أكبر مجمع للذكاء البشري لإعمار المنطقة

مصطفى السيد

❑ **برلين** – إنه "نيوم"، ذلك المجمع الخاص بالذكاء الإنساني والذكاء الصناعي الذي أطلقه الأمير محمد بن سلمان وليّ العهد السعودي على مساحة تبلغ أكثر من 26 ألف كيلومتر مربع تقع شمال غرب السعودية وتطل من الشمال والغرب على البحر الأحمر وخليج العقبة بطول 468 كيلومتراً، وتحيط بها من الشرق جبال يصل ارتفاعها إلى 2500 متر.

### الإدارة الاستراتيجية

هناك خطط "صندوق الاستثمارات العامة" السعودي ليضع بصمات غير مسبوقة على جدار الجغرافيا الإنسانية وبصمة غير مسبوقة على جدار الزمن البشري المنتج في ائتلاف نسج خيوطه من خيرة خبرات العالم.

يدير هذا المشروع اليوم عقل خاص من العقول التي تمّ اختيارها ضمن مجموعة ضيقة على مستوى العالم، نجحت في إدارة مشاريع عملاقة متميزة، إنه كلاوس كلاينفيلد الذي كلفه ولي العهد السعودي بتولي منصب الرئيس التنفيذي لـ"نيوم".

ولد كلاينفيلد في 6 نوفمبر 1957 في بريمن بألمانيا وهو يحمل الجنسية الأميركية وحصل على الدكتوراه في الإدارة الاستراتيجية من جامعة فورتسبورغ الألمانية.

بدأ حياته المهنية في 1982 بالانضمام إلى شركة متخصصة في مجال الاستشارات التسويقية، وقدم استشاراته لكل من سيمنز وهنكل وسيتي بنك. أما عمله مع سيمنز فقد انطلق في العام 1987 كمدير أبحاث التسويق في وحدة المبيعات والتسويق. أصبح بعدها المدير التنفيذي لعمليات الشركة في الولايات المتحدة، حتى تم تعيينه ضمن اللجنة التنفيذية للشركة ثم نائبا لرئيسها وصولا إلى منصب الرئيس التنفيذي في يناير 2005 وحتى يوليو 2007.

ويرى كلاينفيلد أن مشروع "نيوم" سيمنح الشركات العالمية التي تريد فرصا أن تتطور وتستقطب العقول المميزة، مؤكداً على أن السعودية لديها البيئة المؤهلة لذلك، وستسهم الطاقة في بناء المستقبل مبينا أن العمل انطلق فعلاً في المشروع، مشيرا إلى أنهم بحثوا مع عدد من المهتمين موضوع المطار في مقر المشروع. ويقول كلاينفيلد إن مقر المشروع الرئيس سيكون في الرياض، على أن ينقل في مرحلة لاحقة إلى منطقة المشروع بعد أن تصل الأعمال هناك إلى مرحلة معينة.

وأكد كلاينفيلد أن "مشروع "نيوم" فرصة فريدة تجمع بين أعلى مستويات المعيشة مع آفاق اقتصادية فريدة، مبديا اعتزازه بأن يقوم بهذا الدور القيادي في هذا المشروع الذي وصفه بالعظيم.

كلاينفيلد يتمتع باحترام عالمي كبير حيث كان يشغل في الآونة الأخيرة منصب الرئيس التنفيذي ورئيس مجلسي إدارة شركتي ألكوا وأركونيك، وهما شركتان رائدتان عالمياً في صناعة الألومنيوم. وهو عضو فخري في معهد بروكينغز وعضو في مجلس العلاقات الخارجية. وهو عضو مجلس الشيوخ الفخري لاجتماع ليندا للحائزين على جائزة نوبل، كما يشغل منصب عضو في مجلس أمناء المنتدى الاقتصادي العالمي.

وسيشتمل مشروع "نيوم" الذي يديره كلاينفيلد على أراض داخل الحدود المصرية والأردنية، حيث سيكون أول منطقة خاصة ممتدة بين ثلاث دول، كما أن عنصر التمويل والقدرة المالية هو أحد أهم مقومات المشروع الذي سيعتمد على الاقتصاد السعودي بشكل رئيس، ويقف خلفه صندوق الاستثمارات العامة الذي تحول أخيراً إلى صندوق عالمي رئيس بإمكانات استثمارية ضخمة بهدف الوصول إلى شبكة واسعة من المستثمرين وكبرى الشركات في أنحاء العالم كافة والتي سيتم توظيفها لإنجاح المشروع.

### وجهة للعيش المستقبلي

"نيوم" سيكون بمثابة نقطة ربط للمحاور الاقتصادية، ما يجذب رؤوس الأموال والاستثمارات العالمية إليه، وبالتالي حصول الصندوق على المدى الطويل على عوائد ضخمة ستسهم في تعزيز اقتصاد السعودية وتحقيق أرباح عالية للمستثمرين.

يقول مصممو المشروع إنه مستقبل جديد وتاريخ جديد، والوجهة الأكثر ملاءمة للعيش في العالم التي تليق بمواهب المستقبل، وهو منطقة خاصة عبارة عن وجهة حيوية جديدة تسعى لتصبح أرضا لتخطي حدود الابتكار إلى أعلى المستويات المعروفة عالميا، فيجمع أفضل العقول والشركات معا لتنمية مستدامة في مكان واحد وقد تم تصميم هذه المنطقة الخاصة لتتفوق على المدن العالمية الكبرى من حيث القدرة التنافسية ونمط المعيشة إلى جانب الفرص الاقتصادية المتميزة، إذ من المتوقع أن تصبح منطقة يشارك فيها العالم بأسره.

> حلم السعادة للجميع في«نيوم» يجذب 500 مليار دولار لإتمامه ليشتمل على أراض داخل الحدود المصرية والأردنيةً، حيث سيكون أول منطقة خاصة ممتدة بين ثلاث دول

وهكذا اجتمعت خيرة خبرات العالم في كل مناحي الحياة لإنشاء حلم السعادة للجميع في "نيوم".

### الحكم الإلكتروني

منطقة "نيوم"، وفقا لتصورات المصمّمين، أول منطقة في العالم تدار إلكترونيا بالكامل وهذا تحدّ مستقبلي كبير وغير مسبوق في نقطة تقاطع خطوط الجغرافيا في مركز العالم القديم يغير من قواعد حركة مرور رأس المال من الجنوب إلى الشمال، ويقلبها لأول مرة لتصبح مشروعات التنمية المستدامة في الجنوب نقطة جذب استثماري إبداعي مستقبلي في اتجاهات متعددة؛ الاتجاه الأول هو الخبرات العالمية التي استطاع "نيوم" الجنين جذبها إلى لتضع أناملها بأمل عند وسادة نموه.

الاتجاه الثاني يكمن في رؤوس الأموال الداخلة في أصول المشروع، والثالث تمثله براءات الاختراع الرائدة التي ستستثمر في المشروع، وستتم أتمتة جميع الخدمات المقدمة والإجراءات في المنطقة بنسبة 100 بالمئة، بهدف أن يصبح مشروع "نيوم" الأكثر كفاءة حول العالم، وبالتالي يتم تطبيقها على الأنشطة كافة كالإجراءات القانونية والحكومية والاستثمارية وغيرها بل إن المنطقة بأكملها ستخضع لأعلى معايير الاستدامة العالمية.

يهدف المشروع إلى توفير أفضل سبل العيش والفرص الاقتصادية لقاطنيه، وسيسعى إلى استقطاب أفضل المواهب من المملكة وخارجها، وبذلك سيعيش فيه السعوديون والوافدون على حدّ سواء، كما هو حال جميع المناطق الخاصة العالمية الأخرى ولتحقيق ذلك سينضم للمشروع عدد من الروبوتات الشبيهة بالإنسان "المواطنين الإلكترونيين" أو "الإنسان الآلي". إذ سيعيش في هذه المنطقة بشكل فعلي ويقدم الخدمات كما في الكتب وأفلام الخيال العلمي التي قدمت عبر السنوات الماضية عددا من الأفكار والتصورات لتلك الآلات وعلاقتها بالإنسان بما يفتح آفاقا كبيرة للمخترعين لينفذوا ويطوّروا ما أمكن منها في بيئة ملائمة تماما لأول مرة.

وتشمل التقنيات المستقبلية لتطوير منطقة "نيوم" مزايا فريدة تعتمد حلول التنقل الذكية بدءاً من القيادة الذاتية وحتى الطائرات ذاتية القيادة والأساليب الحديثة للزراعة وإنتاج الغذاء والرعاية الصحية التي تركز على الإنسان وتحيط به من أجل رفاهيته وتنتشر في المنطقة الشبكات المجانية للإنترنت فائقة السرعة أو ما يُسمى بـ"الهواء الرقمي" وسيكون التعليم مجانيا ومستمرا على الإنترنت بأعلى المعايير العالمية.

### مزايا للشركات المستثمرة وللأفراد

يحتاج المشروع في المرحلة الأولى إلى استثمارات مقدر لها أن تصل إلى نصف تريليون دولار، أي ما يعادل تريليون وثمانمئة وخمسة وسبعين مليار ريال، من خلال صندوق الاستثمارات العامة، بالإضافة إلى المستثمرين المحليين والعالميين. مما سيتيح توفير فرص وظيفية ضخمة للشباب ذكوراً وإناثاً، إلى جانب إتاحة الفرص للشركات الوطنية الناشئة للاستثمار في هذا المشروع العملاق والإسهام في زيادة إجمالي الناتج المحلي للمملكة.

ويقدم فوق ذلك للشركات المساهمة والأفراد مزايا قيّمة توفرها بيئة معيشية رفيعة المستوى وخدمات مدنية قائمة على آخر ما وصلت إليه التقنية في قطاعات الصحة والتعليم والنقل والترفيه والإعلام والتخطيط العمراني، حيث جرى تصميم منطقة "نيوم" لتكون منطقة رائدة وجاذبة للعيش، تتفوق على المدن العالمية الكبرى، من حيث القدرة التنافسية ونمط المعيشة.

وستكون الخدمات الحكومية في "نيوم" مؤتمتة بشكل كامل وسهلة الاستخدام، كما سيتم تزويد جميع مباني المدينة بالطاقة المتجدّدة دون أي إنتاج للكربون على الإطلاق، فيما يتم تنفيذ الأعمال الإنشائية بطرق حديثة ومبتكرة، لتغدو "نيوم" بمثابة مختبر لأساليب ومواد البناء المبتكرة مع مرونة كاملة لمواكبة احتياجات المستقبل.

مشروع "نيوم" سوف يسهم في تحقيق توجهات "رؤية المملكة 2030" عبر ثلاثة محاور رئيسية حيث سيكون في صدارة أفضل مدن العالم ملاءمة للعيش، إلى جانب تميز "نيوم" بالرؤية الحضرية الواعدة التي تجعل منها الوجهة الأكثر استقطاباً للمواهب السعودية والدولية، في الوقت الذي توفر فيه المدينة بيئة وأنظمة صديقة للأعمال تستقطب كبرى الشركات والاستثمارات الأجنبية في تسعة قطاعات اقتصادية حيوية.

ونظرا للاستثمارات الكبيرة المطلوب توظيفها في المشروع فإن هذا البعد سوف يحدّ من تسرب الأموال خارج المملكة. إذ يعتبر استقطاب المستثمرين العالميين إلى المنطقة وإشراكهم في تطويرها وتنميتها وبنائها، من قبلهم ولمصلحتهم، أحد المكنات الرئيسة لنجاح هذا المشروع، وأهم عناصره الجاذبة التي تساعدهم على النمو والازدهار في أعمالهم. تؤكد ذلك المرونة العالية لصياغة الأنظمة والتشريعات من قبل المستثمرين، والتي تعزز الابتكار التقني والمجتمعي وفق أفضل الممارسات العالمية، حيث أن أنظمة منطقة المشروع مستقلة عن أنظمة المملكة فيما عدا السيادية منها.

وسيتم بناء منطقة "نيوم" من الصفر على أرض خام، وهذا ما يمنحها فرَصاً استثنائية تميزها عن بقية المناطق التي نشأت وتطورت عبر مئات السنين ويمكن اغتنام هذه الفرصة لبناء طريقة جديدة للحياة بإمكانات اقتصادية جبارة.

### الاستدامة والكفاءة

تركز منطقة "نيوم" على 9 قطاعات استثمارية مستقبلية هي الأكثر أهمية في عالم الاقتصاد اليوم، ومن بينها مستقبل التنقل ومستقبل الطاقة والمياه ومستقبل التقنيات الحيوية ومستقبل الغذاء ومستقبل العلوم التقنية والرقمية ومستقبل التصنيع المتطور ومستقبل الإعلام والإنتاج الإعلامي ومستقبل الترفيه، إلى جانب مستقبل المعيشة الذي ينظر إليه في المملكة كركيزة أساسية تعززها باقي القطاعات.

يتطلّع مصممو "نيوم" لتحقيق أهدافهم الطموحة بأن تكون المنطقة من أكثر المناطق أمناً في العالم إن لم تكن الأكثر، وذلك عبر توظيف أحدث التقنيات العالمية في مجال الأمن والسلامة، وتعزيز كفاءات أنشطة الحياة العامة، من أجل حماية السكان والمرتادين والمستثمرين.

كان كلاينفيلد لسنوات عديدة عضوا في المجلس الاستشاري العالمي لرئيس مجلس شانغهاي، المجلس الاستشاري لقادة الأعمال الدولية في شانغهاي، وعضوا في المجلس الاستشاري للاستثمار الأجنبي لرئيس وزراء روسيا. وعمل كذلك لأعوام عديدة في مجالس إدارات شركة باير، بنك مورغان ستانلي وشركة هيوليت باكارد. وكانت آخر مناصب تولاها كلاينفيلد هو الرئيس التنفيذي ورئيس مجلس الإدارة لشركتي ألكوا وأركونيك.

بذهنية كلاينفيلد هذه سيتم السعي بقوة لتطبيق مفهوم القوى العاملة للاقتصاد الجديد الذي يعتمد على استقطاب الكفاءات والمهارات البشرية العالية للتفرغ للابتكار وإدارة القرارات وقيادة المنشآت، أما المهام المتكررة والشاقة فسيتولاها عدد هائل من الروبوتات التي قد يتجاوز عددها تعداد السكان، ما قد يجعل إجمالي الناتج المحلي للفرد في المنطقة هو الأعلى عالمياً.

> عنصر التمويل والقدرة المالية يعدان أهم مقومات المشروع الذي سيعتمد على الاقتصاد السعودي بشكل رئيس، ويقف خلفه صندوق الاستثمارات العامة الذي تحول أخيراً إلى صندوق عالمي رئيس بإمكانات استثمارية ضخمة

حصل كلاينفيلد على جائزة أسطورة القيادة من معهد القيادة التنفيذية في يال وجائزة القيادة الدولية من مجلس الأعمال للتفاهم الدولي وجائزة الرئيس التنفيذي لعام 2014 من جوائز بلاتز العالمية للمعادن.

ويقول الأمير محمد بن سلمان إن "الدكتور كلاوس يتمتع بسجل حافل في قيادة بعض الشركات الأكثر ديناميكية وتطوراً وأفضل أداءً في العالم، ونحن نعتقد أن هذه المهارات بالإضافة إلى خبرته القيادية ستضمن نجاح المشروع" ويضيف ولي العهد السعودي "سيتم بناء 'نيوم' من الصفر على أرض خام، وهو ما يمثل تحديا للرئيس التنفيذي للمشروع".

● الأمير محمد بن سلمان يستثمر في أكبر تجمع لطاقة العقل الإنساني. ليكون "نيوم" بمثابة نقطة ربط للمحاور الاقتصادية، ما يجذب رؤوس الأموال والاستثمارات العالمية إليه، وبالتالي حصول الصندوق على المدى الطويل على عوائد ضخمة.

# رجل دولة يمني يجد نفسه في قلب العاصفة

## معمر الإرياني

## قائد الجبهة الإعلامية في معركة استعادة الشرعية

صالح البيضاني

❑ **صنعاء** – يمني من الجيل الجديد قرر أن يشق طريقه نحو السياسة عبر انخراطه المبكر في العمل الشبابي الذي ساهم في صنع توجهاته وصقل خبراته حتى التحاقه بحزب المؤتمر الشعبي العام الذي كان البوابة التي دخل من خلالها إلى رحاب العمل التنظيمي والسياسي متدرجا بين المناصب الحزبية والرسمية، وصولا إلى توليه ثلاث حقائب وزارية خلال وقت وجيز، في خضم أحداث استثنائية مرت بها اليمن.

إنه معمر مطهر الإرياني الذي ولد في محافظة أب وسط اليمن في العام 1974، وانتقل مع أسرته مبكرا إلى مدينة تعز القريبة التي كانت آنذاك مركزا مهما للتنوير والثقافة والحياة السياسية في شمال اليمن وجنوبه على السواء.

في تلك الأجواء ظهرت البواكير الأولى لولع الإرياني بالمشاركة المجتمعية من خلال التحاقه بالكشافة التي تدرج فيها حتى حظي بفرصته في أول مشاركة خارجية إلى المغرب ممثلا لكشافة اليمن في العام 1986 عندما كان يبلغ من العمر 12 عاما، وساهم نشاطه في المجال الكشفي والشبابي في تعزيز طموحاته وتوسيع آفاقه السياسية الأمر الذي قاده في نهاية المطاف للانضمام لحزب المؤتمر الشعبي العام الذي حصل على بطاقة عضويته بعد إعلان الوحدة اليمنية والسماح بإنشاء الأحزاب والتنظيمات السياسية في العام 1991.

### بغداد البدايات دوما

بعد عام واحد فقط من وضع قدمه على أولى سلالم العمل التنظيمي غادر معمر الإرياني إلى العاصمة العراقية بغداد لإكمال دراسته الجامعية بعد أن حصل على منحة دراسية.

وهناك واصل مشواره السياسي من خلال تأسيس أول فرع لحزب المؤتمر في العراق، رفقة عدد من زملائه، وتنازل حينها عن رئاسة الفرع لزميل آخر يدرس مرحلة الدراسات العليا محتفظا بعضويته في قيادة فرع حزب المؤتمر في العراق. في العام 1996 عاد الإرياني الى صنعاء بعد حصوله على درجة البكالوريوس من كلية الإدارة والاقتصاد بجامعة بغداد. حيث تم تعيينه بعد أشهر قليلة نائبا لرئيس الدائرة الاقتصادية والإدارية والخدمات في حزب المؤتمر الشعبي العام، إضافة إلى توليه مهام رئاسة الدائرة في تلك الفترة، كما أصدر في ذلك العام صحيفة شبابية أسبوعية حملت اسم "الرقيب".

> الإرياني يواجه وضعا حرجا كوزير للإعلام أمام وزارة دون مؤسسات، حيث سيطر الانقلابيون على مؤسسات وزارة الإعلام في العاصمة صنعاء وعملوا على تدميرها في العاصمة المؤقتة عدن قبيل إجبارهم على الفرار منها تحت وطأة المقاومة في يوليو 2015

وعقب انعقاد المؤتمر الخامس للحزب الذي أقر إنشاء دائرة للشباب والطلاب تم تعيينه رئيسا لها وهو الموقع الذي استطاع بواسطته إبراز العديد من مواهبه والتعبير عن ولعه بالعمل في أوساط الشباب والطلاب، ذلك القطاع الذي يعرفه عن كثب، واستمر على رأس هذه الدائرة حتى العام 2005.

أشرف الإرياني على تأسيس الاتحاد العام لشباب اليمن الذي ضمّ مختلف التوجهات السياسية والحزبية وانتخب أول رئيس للاتحاد الذي فتح له العديد من النوافذ الشبابية في العالم وصولا إلى انتخابه في عدد من الاتحادات العربية والعالمية من بينها نائب رئيس مجلس شباب آسيا لدورتين قبل أن يتم اختياره عضوا في مجلس حكماء شباب آسيا والذي لا يزال فيه حتى اليوم.

### بعيدا عن التجاذبات

سبّب التدرج السريع للإرياني في غضب العديد من قيادات المؤتمر التي لم تتقبل أن يتم تعيين شاب صغير عضوا في الأمانة العامة للحزب، وهي العقبة التي استطاع تجاوزها بعد ذلك ليواصل مشوار صعوده السياسي حيث تم تعيينه في أول منصب حكومي كوكيل أول لوزارة الشباب اليمنية في العام 2007 وحتى 2009 حيث عين نائبا للوزير، قبل أن يتم تعيينه وزيرا للشباب والرياضة في العام 2011 وحتى العام 2014 وهي الفترة التي شهدت الكثير من التداعيات السياسية في خضم الاحتجاجات التي شهدتها معظم المدن اليمنية للمطالبة بإسقاط نظام الرئيس السابق علي عبدالله صالح.

وبالرغم من حالة الفرز السياسي العنيفة في تلك المرحلة إلا أن الإرياني تمكن من احتواء العديد من التجاذبات، ما جعله في منأى عن دائرة التحريض التي طالت معظم مسؤولي الدولة المقربين من صالح في تلك الفترة، وهو ما تسبب لاحقا في جعله وجها مقبولا في مرحلة ما بعد المبادرة الخليجية التي أطاحت بالرئيس صالح وأتت بالرئيس عبدربه منصور هادي إلى الحكم وأفضت إلى تشكيل حكومة الوفاق الوطني برئاسة محمد سالم باسندوة التي أسندت للإرياني فيها حقيبته وزارة الشباب والرياضة التي شغل منصب نائبها في عهد صالح.

وفي 7 نوفمبر 2014 وإثر استقالة باسندوة وحكومته عقب اجتياح الحوثيين للعاصمة صنعاء والتوقيع على "اتفاق السلم والشركة" تم الإعلان عن تشكيل حكومة جديدة برئاسة خالد بحاح عرفت بحكومة الشراكة وتولى فيها الإرياني منصب وزير السياحة.

قبل العام 2011 كان نشاط الإرياني اعتياديا، فقد انحصر في لعب دور ذي طابع شبابي لصالح حزبه ولكن من خلال واجهة غير تصادمية جعلته بعيدا عن حالة التصنيفات السياسية والحزبية التي كانت تتصاعد بشكل كبير منذ العام 2008.

### ملتزم بالشرعية

ولكن مع دخول العام 2011 وجد الإرياني نفسه في قلب العاصفة كقيادي حزبي ومسؤول في حكومة "يطالب الشعب بإسقاطها" أو الجزء من الشعب الذي كانت كاميرات وسائل الإعلام مسلطة عليه بشدة، وفي ظل هذه الظروف العصيبة استمر في تأدية عمله وداوم بانتظام على حضور المهرجانات التي كان ينظمها الرئيس السابق كل جمعة في ميدان السبعين بالعاصمة صنعاء، ولكنه لم يدل بأيّ تصريحات مستفزة أو ربما لم يطلب منه ذلك، ويفسر هو إصراره على البقاء في صف صالح وعدم القفز من المركب الذي كان يبدو للوهلة الأولى يوشك على الغرق واللحاق بمراكب أخرى غرقت فيما يسمّى "دول الربيع العربي"، بأنه يأتي انطلاقا من موقف مبدئي يلزمه أن يظل في صف ما يعتبرها "الشرعية" حتى في أبسط صورتها الكلاسيكية.

ذات الأمر تكرّر بعد ذلك من خلال انحيازه للرئيس عبدربه منصور هادي عقب انتخابه في العام 2012، وبالرغم من محاولته في تلك الفترة الابتعاد عن حالة الاصطفافات الحادة التي بدأت تعصف بحزب المؤتمر الشعبي العام الذي كان عرضة للتنازع بين صالح وعبدربه منصور، إلا أن الكثير من المتابعين قالوا إنه كان يبدو أكثر قربا من تيار الرئيس عبدربه منصور هادي.

وفي أعقاب الانقلاب الحوثي واجتياح الميليشيات المسلحة العاصمة صنعاء تغيّرت الكثير من قواعد الممارسة السياسية الكلاسيكية في المشهد اليمني، حيث عمد القادمون من جبال صعدة على فرض صيغة أكثر حدية وأقل دبلوماسية في التعامل مع الفرقاء السياسيين، على قاعدة "إذا لم تكن معنا فأنت ضدنا"، وأخذت حالة العنف الحوثي بالتصاعد حتى أجبرت في نهاية المطاف حكومة خالد بحاح على الاستقالة، وهو ما تلاه من إقدام الحوثيين على فرض الإقامة الجبرية على الرئيس وأعضاء الحكومة ومحاولة إجبار الكثير منهم على العودة لاستئناف أعمالهم بشكل صوري تحت إشراف قادة من الميليشيات. وهو ما قوبل برفض معظم وزراء الحكومة ومن بينهم وزير السياحة معمر الإرياني الذي تعرض لضغوطات مزدوجة مورست عليه من قبل الحوثيين وقيادات مقرّبة من المشاور الإرياني السياسي يبدأ فعليا من بغداد التي أسس فيها أول فرع لحزب المؤتمر في العراق رفقة عدد من زملائه وتنازل حينها عن رئاسة الفرع لزميل آخر محتفظا بعضويته في قيادة فرع حزب المؤتمر في العراق

> مشوار الإرياني السياسي يبدأ فعليا من بغداد التي أسس فيها أول فرع لحزب المؤتمر في العراق رفقة عدد من زملائه وتنازل حينها عن رئاسة الفرع لزميل آخر محتفظا بعضويته في قيادة فرع حزب المؤتمر في العراق

وزراء ظلّوا تحت الإقامة الجبرية، ما دفعه في نهاية المطاف لمغادرة صنعاء في رحلة شاقة ومحفوفة بالمخاطر إلى الحدود السعودية استمرت أكثر من 38 ساعة تعرّضت خلالها زوجته للإجهاض بسبب عناء ووعورة الطرق التي تم اجتيازها، ليظهر بعد ذلك في مدينة عدن بعد تحريرها من ضمن أوائل مسؤولي الشرعية الذين نقلت وسائل الإعلام صورهم وهم يتجوّلون في شوارع المدينة ومحاولة تطبيع الأوضاع فيها.

### حرب الإعلام

في الرياض بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحياة السياسية للإرياني، حيث لم يمض الكثير من الوقت حتى أسندت إليه في سبتمبر 2016 حقيبة وزارة الإعلام التي كان يراد لها أن تضطلع في تلك المرحلة بدور كبير في مجابهة الآلة الإعلامية للانقلابيين وكشف انتهاكاتهم وتجاوزاتهم.

وجد الرجل نفسه أمام وزارة دون مؤسسات حيث سيطر الانقلابيون على مؤسسات وزارة الإعلام في العاصمة صنعاء وعملوا على تدميرها في العاصمة المؤقتة عدن قبيل إجبارهم على الفرار منها تحت وطأة المقاومة في يوليو 2015. وكانت تلك أكبر الصعوبات التي واجهت عمل وزارة الإعلام في الحكومة الشرعية، إلى جانب غياب الإمكانيات المادية والتقنية والبشرية عدا تلك التي وفّرتها الحكومة السعودية والتي ساهمت في تحريك عجلة الإعلام التابع للشرعية من خلال استئناف تشغيل قناتي اليمن وعدن من العاصمة السعودية الرياض.

وفي إطار عمله كقائد للجبهة الإعلامية للحكومة الشرعية عمل الإرياني على إعادة ترتيب مؤسسات الإعلام اليمنية التي كانت تعد حينها إحدى أبرز نقاط الضعف في أداء الحكومة، في مقابل سيل جارف من الأكاذيب التي كانت تبثها وسائل إعلام الانقلابيين من صنعاء.

أثمرت جهوده عن وضع رؤية استراتيجية لعمل وزارة الإعلام الشرعية وهو ما تمخض عنه إعادة إحياء عدد من المؤسسات التابعة للوزارة ومن بينها صحيفة 14 أكتوبر التي عاودت الصدور كصحيفة رسمية تعبّر عن موقف الحكومة في العاصمة المؤقتة عدن، وإعادة بث إذاعة صنعاء وتفعيل وكالة الأنباء اليمنية الرسمية سبأ التي اختطف الحوثيون نسختها الأصلية في صنعاء.

وبفضل ذلك تم إنشاء إذاعات محلية في بعض المحافظات المحررة مثل تعز ومأرب والجوف وحضرموت وسقطرى، وهي كلها أمور أثارت غضب الحوثيين مجددا ليقدموا للمرة الثانية على اقتحام منزل الوزير الإرياني في صنعاء واختطاف حراساته ونهب محتوياته في ردة فعل عنيفة اعتبرت بمثابة رجع الصدى لصوت الشرعية الإعلامي.

● الإرياني يتمكن دوما من احتواء التجاذبات، ما جعله في منأى عن دائرة التحريض التي طالت معظم مسؤولي الدولة المقربين من صالح، وهو ما تسبب لاحقا في جعله وجها مقبولا في مرحلة ما بعد المبادرة الخليجية.

● معمر الإرياني يتعرض اليوم، وتعرض في السابق، لضغوطات مزدوجة مورست عليه من قبل الحوثيين وقيادات مقربة من الانقلاب في حزب المؤتمر، ما دفعه لمغادرة صنعاء في رحلة شاقة ومحفوفة بالمخاطر إلى الحدود السعودية.

# شيخ المحافظين الذي لا ينسى له الشعب رفضه «أخونة الدولة»

## أحمد زكي عابدين
## جنرال لكل العصور يحلم بسنغافورة مصرية

أميرة فكري

❑ **القاهرة** – متغيرات كبيرة عصفت بمصر خلال السنوات القليلة الماضية. بدأت بثورة 25 يناير عام 2011، التي أطاحت بالرئيس الأسبق حسني مبارك، ومن بعده تتالت أحداث مختلفة انتهت بعزل الرئيس المنتمي لجماعة الإخوان المسلمين محمد مرسي في يوليو 2013 وانتخاب عبدالفتاح السيسي رئيسا جديدا. ورغم الاختلافات الكبيرة بين الأنظمة الثلاثة، فإن اللواء أحمد زكي عابدين بقي طرفا مشتركا.

وعلى الرغم من اختلاف تلك العهود التي مرت على مصر فقد اتفق ثلاثة رؤساء جمهورية على اختيار رجل واحد مسؤولا في حكوماتهم، بداية من عمله محافظا مع مبارك ووزيرا مع مرسي وحتى انتهى به الحال باختياره مسؤولا عن العاصمة الإدارية الجديدة، أهم مشروعات الرئيس السيسي.

ويثير اللواء أحمد زكي عابدين تساؤلات عديدة، إن كان اختياره الدائم نابعا من كفاءة عالية في الإدارة أم تطلّع دائم لاعتلاء مناصب وبروزه كوجه آخر للمؤسسة العسكرية.

> شخصية عابدين تثير الكثير من الجدل بسبب طبيعته الحادة والصارمة في التعامل سواء مع المحافظين أثناء توليه منصب وزير التنمية المحلية أو مع الوزراء في الوقت الحالي رئيسا لمشروع العاصمة الجديدة

لم يكن التداخل والتشابك في اختيار أشخاص بعينهم مثل عابدين دليلا على تسامح أو تصالح مع القوى السياسية، لكنه يدل على قدرة بعض الأشخاص على التأقلم والتكيف سريعا مع التطورات، أو الرغبة في استثمار الكفاءات بصرف النظر عن الانتماءات الأيديولوجية.

بفعل التعقيدات التي تعتري الحياة السياسية في مصر توارت الانتقادات التي كانت توجه لهذه النوعية من الأشخاص، وربما ساعدتها حنكتها ومؤهلاتها الشخصية على الوصول إلى مراكز صناعة القرار.

### العاصمة الجديدة

لم يجد النظام المصري أزمة مع الرأي العام عند اختيار عابدين لرئاسة مجلس إدارة العاصمة الإدارية الجديدة (شرق القاهرة) التي أصبح يُنظر إليها على أنها المشروع القومي الأهم من قبل الرئيس السيسي، ولا تقل أهمية عن قناة السويس، ويتم التعويل عليها لإحداث نقلة عمرانية وحضارية في مصر.

ومع أن عابدين من الشخصيات التي عملت مع نظامي حسني مبارك والإخوان المسلمين، إلا أنه يظل بالنسبة إلى البعض شخصية مغايرة تحتفظ بقدر من الاستقلالية، ما جعله يتمتع برصيد جيد عند قطاع كبير من المصريين.

يعد الرجل من المسؤولين الذين لم يفتش معارضو الحكومة في دفاترهم القديمة كثيرا لكشف سوءاتهم والطعن في تاريخهم ومهاجمة النظام على اختيارهم. بل مضى قرار تعيينه في هدوء واكتفى الناس بنقده من زاوية أنه "جنرال وكفى".

عابدين شخصية عسكرية بامتياز، وهناك معالم قوية تؤكد زيادة الاعتماد على العسكريين في مناصب مدنية، لكن جديته وعمله وخبرته وتفوّقه قد تكون من العوامل التي أجبرت قوى المعارضة على أن تلتزم الصمت أمام عودته إلى المشهد من جديد، ولا ينتقد الرجل أو يهاجم لأنه شغل منصب المحافظ، أعلى منصب إقليمي بالبلاد في محافظتي بني سويف وكفرالشيخ خلال عصر حسني مبارك، أو لأنه كان وزيرًا للتنمية المحلية في حكومة هشام قنديل أثناء فترة الرئيس الإخواني محمد مرسي.

لم تغب عن الرئيس السيسي كل هذه المعلومات لكنه غض الطرف عنها، لأن مشروع إنشاء عاصمة إدارية لمصر يمثل نقطة تحول كبيرة للاقتصاد ويتخطى العائد المنتظر منه وهو 25 مليار دولار، نتيجة بيع الأراضي والعقارات لمستثمرين محليين وأجانب.

### القفز من سفينة الإخوان

يعتقد السيسي أن تكليف شخصية معروف عنها الحسم والحزم والصرامة ومواجهة الصعاب التي تواجه مشروع العاصمة الإدارية الجديدة أمر لا مفرّ منه، ويبدو أن الرئيس المصري وجد ما يبحث عنه في زكي عابدين ليحقق طموحه في إنجاز مشروع العاصمة الإدارية.

ويبدو عابدين من الشخصيات القليلة التي تجمع بين أهل الثقة وأهل الكفاءة، فهو ابن المؤسسة العسكرية المسؤولة عن المشروعات التنموية الكبرى، وعلى رأسها العاصمة الإدارية، والتي يعتبرها السيسي أهم الأعمدة التي حصّنت الاقتصاد المصري من الانهيار وقت الأزمات التي عصفت بالبلاد خلال السنوات الأخيرة.

كثيرا ما أثارت شخصية عابدين الجدل بسبب طبيعته الحادة والصارمة في التعامل سواء مع المحافظين أثناء توليه منصب وزير التنمية المحلية أو مع الوزراء في الوقت الحالي رئيسا لمشروع العاصمة الجديدة.

ظهر طابعه الحاد كثيرا خلال مقابلات إعلامية، ولعل أشهرها عندما أغلق الهاتف في وجه الإعلامية ريم ماجد قبل أن يهاجمها قائلا "لما تكلّميني كويّس أبقى أكلمك كويس مع السلامة.. مع السلامة"، بسبب سؤاله حول جدوى إجبار أصحاب المتاجر على الإغلاق بعد الساعة العاشرة مساء.

ورغم ما يظهر على الرجل من تقلبات سياسية لكنه كان يغلب الجانب المهني والاحترافي، فلم يسبق أن خرجت ضده مظاهرة أثناء توليه منصب المحافظ في عهد مبارك أو كوزير في حكومة الإخوان، واستطاع تكوين علاقة خاصة مع المواطنين الذين تعامل معهم عن قرب، لأن منصبه، كمحافظ، حتّم عليه الانخراط المباشر مع الجماهير.

ويحسب له أنه كان من الأوائل الذين طالبوا باختيار المحافظين بالانتخاب والدعوة لتولي المرأة منصب المحافظ.

لا ينسى له أنصار 30 يونيو أنه استقال من حكومة الإخوان كوزير للتنمية المحلية المسؤولة عن المحافظين رافضًا سياسة "أخونة أجهزة الدولة"، حتى أنه هاجم نظام محمد مرسي بضراوة واصفًا إياه بأنه يريد هدم المؤسسات وتسريح الموظفين ليحل مكانهم الإخوان.

يُنظر إليه على أنه من أوائل الشخصيات التي كشفت مخطط الإخوان مبكرًا ورفض أن يستمر في مركبهم، ودعا الناس إلى الخروج على الجماعة وتخليص البلاد من خطرهم، وحظي ذلك وقتها بمزيد من التأييد والدعم في وقت كان يسارع فيه الكثير من السياسيين للتقرب من الإخوان بذريعة أنهم مستمرّون في الحكم لسنوات.

ربما يكون هذا الموقف هو الذي أنقذ عابدين من تهمة التواطؤ مع الإخوان وقبول منصب وزير في عهدهم، ومكّنه من العودة مرة أخرى ليحتل منصبا مهما مثل رئيس العاصمة الإدارية، وتجاهل الناس تعاونه الوثيق مع نظام مبارك وعضويته في الحكومة الإخوانية، وتذكروا له محاسنه في البساطة والصرامة.

عابدين من أوائل الضابط المصريين الذين عبروا قناة السويس في 6 أكتوبر 1973، والمثير أنه عبر إلى الضفة الأخرى للقناة سابحًا ليضع العلم المصري، وكان قائدا لسريّة الفدائيين التي نفذت عدة مهام قتالية خلف خطوط العدو.

وتخرّج في الكلية الفنية العسكرية وعمل ضابطًا مهندسًا بالقوات المسلحة، وتولى منصب الملحق العسكري بالسفارة المصرية في واشنطن، ثم تولى قيادة سلاح المهندسين في الفترة من 1995 إلى 1997 حتى تم تعيينه رئيسًا لدار الهيئة الهندسية بالقوات المسلحة في الفترة بين 1997 و2000.

وبدأ مسؤولياته المدنية عام 2001 بتولي رئاسة الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، ثم رئيساً لهيئة تعاونيات البناء، وبعدها شغل منصب محافظ بنى سويف ثم محافظا لكفر الشيخ، وعرف في الأوساط العامة بلقب "شيخ المحافظين".

### مهندس العاصمة الجديدة

بعد أن أصبح عابدين في مهمة مغايرة وهي بناء عاصمة حضارية ومنفتحة لمصر، على غرار سنغافورة، تغيّرت نظرة قطاع كبير من المصريين للرجل الذي اختاره السيسي ليقود هذه النقلة التي يراهن عليها لإحداث طفرة اقتصادية كبيرة، فهل يستطيع أن يضع بصمات واضحة في هذا المضمار، أم أن انتسابه للمؤسسة العسكرية هو الذي مكّنه من الجلوس على هذا المقعد؟

الرافضون لما يجري في العاصمة الإدارية الجديدة توقفوا عند تفاصيل دقيقة، أبرزها ما يتعلق بكثافة الدور الذي تقوم به المؤسسة العسكرية في الحياة المدنية، لكن المؤيدين فسروا ذلك برغبة السيسي في الإنجاز السريع ورغبته في الوفاء بوعوده لافتتاح المرحلة الأولى منها في يوليو المقبل.

والطريقة التي يدار بها تشييد العاصمة الإدارية تعكس الاتجاه العام الذي يتباه النظام حاليا والذي لا يميل إلى إدخال إصلاحات حقيقية في هياكل والبنى التحتية للدولة، ويفضل البناء الجديد، فعندما يتأكد الناس أن القاهرة شاخت وضاقت بسكانها ومبانيها يتم اللجوء إلى بناء عاصمة أخرى، وعندما يشكو الناس من الإعلام الرسمي يتم الاتجاه نحو تشجيع الإعلام الخاص كبديل.

هذه المسألة لها مدلولات سياسية دقيقة، فهي لا تعبّر عن الرغبة في التطور بقدر ما تشي بالميل نحو الاستسهال الذي يمكن أن يكون مقبولا بالنسبة إلى بعض المؤسسات لكن في مشروع مثل العاصمة الإدارية تتجاوز تكاليفه الـ60 مليار دولار، أضحى الموقف يثير الاستغراب لأنه ينطوي على رغبة في الهروب للأمام دون الاعتداد بالخطوة التالية، أو ربط المواطنين بمشروعات قد تمنحهم الأمل والصبر والانتظار إلى حين يأتي أوان جني الثمار.

وارتفاع قناعات قطاع كبير من المصريين بأن الأمور لا تتسم بقدر كبير من الحكمة والحنكة في مشروعات قومية مثل العاصمة الإدارية من أهم الأدوات التي يمكن أن ترخي بظلال سلبية على دور زكي عابدين، ففشله في تحقيق ما هو مطلوب منه، وهو صعب للغاية، قد يضعه في مأزق يضطر أمامه صناع القرار للتضحية به وإسناد أيّ إخفاق له.

ويخشى أصدقاء عابدين قبل أعدائه هجماته اللاذعة واتهاماته للآخرين بالتقصير، وهو ما ظهر مؤخرا عندما اتهم عددا من الوزراء أمام الرئيس السيسي بأنهم لا يتعاونون بشكل كاف، الأمر الذي أعاق عملية التقدم في تشييد البنى التحتية والخدمات في العاصمة الإدارية الجديدة.

وكان الأمر مفاجئًا للرأي العام أن يشير الجنرال عابدين إلى وزراء في الحكومة بالاسم بأنهم لا يتعاونون بالقدر المطلوب معه، لكن ما جرى يبدو أنه كان على هوى السيسي، لأنه اعتاد أن يعنف المسؤولين على الهواء، لذلك أطلق على عابدين "الجريء والأمين".

كانت هذه رسالة حادة يهدف من ورائها عابدين للفوز بمزيد من ثقة الرئيس السيسي، والضغط على الوزراء والمسؤولين لحثّهم على عدم التهاون في التعاون معه، وأنه مفوّض بهذه المهمة ومن الضروري عدم التراخي في استكمالها من أيّ جهة.

ويدرك جيدا أنه تحت المجهر طوال الوقت وأن أصوات المعارضة التي تتعالى وتجأر ضد إنفاق مليارات الدولارات على العاصمة الجديدة لن تتسامح معه ما لم يحقق إنجازات ملموسة في الفترة القصيرة المطلوبة.

### ورقة الفوز

المؤسسة العسكرية لا تريد أن يخفق أحد جنرالاتها في المهمة الصعبة التي تتولى هيئاتها المختلفة غالبية المهام، وما لم تحقق الأغراض الاستثمارية المرجوة منها سوف يتجاوز الفشل حدود عابدين ليمسّ هيبة المؤسسة العريقة والنظام برمته الذي يأمل تدشين مرحلة جديدة من الإنجازات تحسب له، وتوقف زحف الانتقادات التي تتوالى مع اقتراب الانتخابات الرئاسية منتصف العام المقبل.

الانتخابات هي عنصر الضغط على كل من الرئيس السيسي وعابدين معا، فالأول سوف يكون مطلوبا منه تقديم كشف حساب قبل ترشحه لفترة رئاسية ثانية، والثاني عليه أن يوفي بوعود الرئيس وينتهي من وضع اللبنات الرئيسية للعاصمة الجديدة لتبدأ الوزارات والهيئات الحكومية الانتقال إليها وممارسة أنشطتها من هناك، وفتح الطريق للسفارات أيضا.

إلقاء كل هذه الأعباء على كاهل عابدين وضعه في مأزق مزدوج، فهو مطالب بتقديم عمل على درجة عالية من الكفاءة، ويجب أن ينجزه خلال مدة قصيرة، أو على الأقل يقدّم كشف حساب محدّد لأن ارتفاع رهان السيسي على هذا المشروع وضعه في بؤرة اهتمام المصريين لقياس مدى الجدية التي تعمل بها الحكومة والمؤسسات المختلفة، ولأن القضية هي قضية قومية وليس دغدغة مشاعر الناس بمشروعات فقيرة الجدوى الاقتصادية والاجتماعية.

القريبون منه يقولون عنه إنه "شخصية عنيدة وتهوى السباحة عكس التيار، ويحصل على ما يريده بهدوء شديد وابتسامة لا تفارقه في أشد لحظات الغضب"، ولا تثور إلا إذا كان الأمر يتعلق بإهانة شخصية.

> عابدين يعتبر من رجال العهود السياسية كلها فقد اختاره مبارك ومرسي والسيسي لتولي مناصب إدارية واشتهر بشخصيته القوية

للجنرال عابدين دستور خاص قال عنه في أحد لقاءاته الحوارية أنه سبب نجاحه، ولن يتنازل عن تطبيقه، وتتمثل بنوده في الانضباط والالتزام وعدم الخداع والشفافية واحترام عقلية الناس ومحاسبة المقصرين والاعتراف بالخطأ والرحيل عن المنصب في حال التوقف عن العطاء.

● عابدين يترأس مجلس إدارة العاصمة الإدارية الجديدة (شرق القاهرة) التي أصبح يُنظر إليها على أنها المشروع القومي الأهم من قبل الرئيس السيسي، ولا تقل أهمية عن قناة السويس.

● الرافضون لما يجري في العاصمة الإدارية الجديدة يتوقفون عند تفاصيل دقيقة أبرزها ما يتعلق بكثافة الدور الذي تقوم به المؤسسة العسكرية في الحياة المدنية.

# مزاج المهرج الذي يبيع الصمت

## الشخصية الأميركية
## خرافة تتبع أثر الرجل الخارق

فاروق يوسف

❑ **نيويورك** – ما من شعب قُدّر له أن يقدم نفسه للعالم مثلما قُدّر للشعب الأميركي. هناك أمم لا نعرف عنها شيئا فيما يعتقد الكثيرون أنهم يعرفون كل شيء عن الشعب الأميركي وهو وهم صنعته الماكنة الدعائية الأميركية بإتقان يبدو من خلاله الكذب نوعا من المزاح الخفيف، المحبب.

### راعي البقر رئيسا

جون ون، تشارلز برونسون، كلينت إيستوود كلهم رعاة بقر لكن ليس في الواقع بل في عالم وهمي اسمه السينما. وهو ما جعلهم يغزون العالم بخرافة الأميركي الشجاع والجسور والجريء والمغامر والمتحدي الذي لا يخفي ميله إلى العنف من أجل الحصول على المال.

بعد سنوات سنكتشف أن عددا من أولئك الأبطال الخارقين لم يكن يجيد إطلاق النار بعد أن كان قد قتل في مجمل أفلامه مئات البشر برصاصاته التي لا تخطئ طريقها نحو الهدف.

هل كان هناك رعاة بقر حقا في الغرب الأميركي؟

سؤال تأخر طرحه كثيرا. لقد حلت السينما المشكلة حين صدّرت إلى العالم فكرة عن الشخصية الأميركية المطلوب استعراضها عالميا. أما حين أصبح أحد رعاة البقر وهو رونالد ريغان رئيسا للولايات المتحدة (1981–1989) فقد ضبط الكثيرون ساعاتهم على توقيت الغرب الأميركي.

مات جيمس دين عن عمر 24 سنة في حادث مروري، غير أن رمزيته المطلوبة حيا وميتا صنعت أسطورته. ففي "شرق عدن" وهو فيلمه الأخير بعد فيلمين سبقاه قدم دين شخصية الأميركي المتمرد من غير أن يكون معنيا بتقديم أسباب لتمرده.

الشخصية المستلهمة من سيرة بطل رواية ألبير كامي "الغريب" صار عنوانا لعصر أميركي سيسلّمنا بعد سنوات إلى زمن ستسوده الاحتجاجات التي رافقت حرب فيتنام وهي الحرب التي امتدت حتى منتصف عام 1975 وانتهت بهزيمة أميركية مروّعة. كانت الشخصية التي جسدها جيمس دين ضرورية أميركيا في اتجاهين.

هناك مَن يقتل من غير أن يعرف سببا لسلوكه العدواني في مقابل مَن يخرج محتجا على ذلك القتل من غير أن يتوجه بالإدانة إلى آلة القتل التي لم تتوقف عن العمل. لقد التبست يومها الشخصية الأميركية فكان ضروريا أن يظهر جون رامبو مجسدا من خلال سليفستر ستالون عام 1982. كان ذلك هو زمن الريغانية الداعية إلى القفز على تداعيات حرب فيتنام المأساوية من خلال التركيز على الشخصية الأميركية التي تميزت بصفات بطولية خارقة.

### كوكب على الأرض

كان فيلم رامبو بأجزائه الثلاثة ردا مباشرا على فيلم "القيامة الآن" لمخرجه فرانسيس فورد كوبولا. ولأن كوبولا كان ممعنا في قسوته حين استعرض واحدة من المآسي التي انطوت عليها الحرب الأميركية في فيتنام فقد كان رد هوليوود سريعا وصاعقا ومصمما بطريقة شعبية من أجل أن يستعيد الأميركي صورته بطلا مستلهما من الحكايات ذات الطابع الرمزي.

كان الرسام أندي وارهول في المرحلة نفسها قد حوّل كل شيء من حوله إلى أيقونة. ما من شيء في أميركا لا يصلح لأن يكون أيقونة تصدّر إلى العالم باعتبارها علامة طريق تقود إلى الحلم الأميركي.

أميركا هي البلد الوحيد في العالم الذي يمكن أن يتحول فيه أي شيء إلى أيقونة. الطباخ يمكنه أن يتحول إلى نجم يظهر مع نجوم السينما في حفل توزيع الأوسكار. وهو ما فهمه وارهول جيدا. لم يكن من الصعب عليه أن يحوّل علبة حساء إلى رمز وطني. وهو ما يصح على مارلين مونرو وإليزابيث تايلور وألفيس برسلي. لا يُرسم الأميركي بطريقة عادية بل يُقدّم باعتباره منتوجا لا يُنافس.

> سوبرمان هو الكائن الذي يود الأميركي أن يكونه في كل لحظة. أشبع غرور الأميركيين وحفر نفقا طويلا مرت من خلاله معجزات أميركية كثيرة

لم تكن صدفة أن يهبط الطفل الخارق القادم من كوكب كريبتون قبل انفجاره في مدينة أميركية عام 1938. لقد اخترع ذلك الطفل من أجل أن يكون أميركيا. سوبرمان هو الكائن الذي يودّ الأميركي أن يكونه في كل لحظة. وإذا ما كان ظهور "سوبرمان" قد أشبع غرور الأميركيين فإنه في الوقت نفسه قد حفر نفقا طويلا يؤدي إلى الذاكرة البشرية مرت من خلاله معجزات أميركية كثيرة، في مقدمتها ناطحات السحاب، كما لو أن أميركا كلها ناطحات سحاب. ولكن لـ"وودي ألن" المخرج والممثل والمؤلف وهو ابن نيويورك رأي مختلف في الشخصية الأميركية، حيث أضفى عليها الكثير من الخفة والمرح والنباهة التي تتستر بشيء من البلاهة. حسب "ألن" فإن الشخصية الأميركية بالرغم من تواضعها فإنها تنطوي على الكثير من الذكاء العفوي.

### الأبيض في برجه العالي

حين الحديث عن الشخصية الأميركية يحضر الفرد ذو الأصول الأوروبية وحده. الأبيض وحده هو الأميركي. ولكن أميركا ليست كلها بيضاء. نيويورك على الأقل وأنا الآن أكتب منها ليست بيضاء بل يبدو الأبيض طارئا. إذن ما من شيء واقعي في تلك القناعة. الآسيويون والهنود الحمر والأفارقة وأبناء أميركا اللاتينية هم أميركيون أيضا. في الظل الخدمي هناك الأميركي الآخر. في نيويورك تسمع الإسبانية كما لو أنها لغة البلاد الأولى. الأفارقة في هارلم هم السادة المطلقون. هارلم جزء مقتطع من خيال أفريقيا. الموسيقى زنجية من البلوز إلى الجاز. الرسامون في الشوارع زنوج. رسام قطار الأنفاق لم يرسم سوى نثار حكايات أفريقية. رأيته يترنم بلحن حزين مغمض العينين. عاش الروائي جيمس بالدوين حياته كلها في هارلم. الأميركي الآخر لم يكن آخر حقا.

شخصية الأميركي يمكن التعرف عليها من خلال ما يأكل. ولأن الأميركيين هم أكثر شعوب العالم شراهة في الأكل فإنهم تنازلوا عن شيء من خيلائهم ليتراجع معه الـ"همبرغر" عن المركز الأول وتحل محله وجبات قادمة من مختلف أصقاع الأرض.

العذاب لم يأخذ طريقه إلى الشخصية الأميركية ليظهر على ملامحها.

لكن لمَ لا يكون الأميركي هو بيل غيتس صاحب شركة مايكروسوفت؟ المشكلة أن غيتس بالرغم من عبقريته وثرائه وأصوله الأوروبية لا يمكنه أن يكون رمزا لأميركا، ذلك لأنه يتحدث بلغة العلم فيما يقوم كل شيء في الشخصية الأميركية على الخرافة. تحتاج أميركا إلى رجل خارق ليس من طراز غيتس الذي تحرم عقلانيته الشخصية الأميركية من ملكة التهريج التي هي موهبة أميركية بامتياز. في الحياة الأميركية هناك الكثير من التهريج، غير أنه تهريج لا يخرج عن السيطرة حتى وإن تخلى عن أناقته.

> فيلم رامبو بأجزائه الثلاثة يعتبر بمثابة رد مباشر على فيلم «القيامة الآن» لمخرجه فرانسيس فورد كوبولا. ولأن كوبولا كان ممعنا في قسوته حين استعرض واحدة من المآسي التي انطوت عليها الحرب الأميركية في فيتنام فقد كان رد هوليوود سريعا وصاعقا ومصمما بطريقة شعبية من أجل أن يستعيد الأميركي صورته بطلا مستلهما من الحكايات ذات الطابع الرمزي

الفلسفة الذرائعية تتيح له أن يكون موجودا ولو في الهامش الذي لا يمكن الاستهانة بحجمه. ذلك لأن كل شيء في أميركا كبير.

أميركا هي بلد المساحات العمودية والأفقية على حد سواء. لن يخيب ظنّك حين تلتقي مهرّجا يقوم بالترويج للعطور واللوحات الفنية والعقارات والأزياء والسيارات الفاخرة وليس بينه وبين ذلك المهرج الذي يرقص في عربات قطار الأنفاق سوى واحدة من جادات نيويورك الفارهة التي يقل فيها عدد المشردين وعربات بيع الأطعمة الرخيصة.

هناك الكثير من التهريج في الشخصية الأميركية يصعب التعامل معه على أنه جزء من الواقع. في المزادات والصالات الفنية حيث تُباع الأعمال الفنية بأرقام فلكية التقيت كثيرا من المهرجين الذين ارتدوا أقنعة صنعها الرجل الأبيض لتعبّر عن مزاجه المتحذلق الذي يقول لك من غير كلمات "هنا يُباع الصمت".

أميركي اليوم ليس رشيقا مثلما كان حال راعي البقر. باستثناء الطعام القادم من إيطاليا وهو ما يذكّر البيض بأوروبيتهم فإن ما يتناوله الأميركيون يعود إلى أصول مكسيكية وصينية وأفريقية وكورية وعربية. قبل منازل الأزياء تحتل المطاعم المرتبة الأولى في شوارع نيويورك. ربما أحدث وصول أميركي من أصول أفريقية هو باراك أوباما إلى منصب الرئاسة شيئا من الخلخلة في صورة الأميركي التقليدية، ولكن تلك الخلخلة لا تعني الشيء الكثير بالنسبة إلى الثوابت الأميركية.

كان هناك مارتن لوثر كنغ وهو أميركي من أصول أفريقية. وكان هناك فوكوياما وهو أميركي من أصول يابانية وكان هناك إدوارد سعيد وهو أميركي من أصول عربية وكان هناك نعوم تشومسكي وهو أميركي من أصول روسية. هناك المئات من أمثالهم. شخصيات صنعت مجد أميركا من غير أن تكون مسكونة بروح سوبرمان الأبيض القادم من كوكب كريبتون.

كانت ويتني هيوستن معجزة في الغناء غير أن مادونا وهي مطربة ريفية خفيفة الظل تبقى هي الأكثر تمثيلا للشخصية الأميركية لا لشيء إلا لأن هيوستن من أصول أفريقية.

في جزء مهم من أسطورتها الموسيقية في العصر الحديث كانت الولايات المتحدة قد استندت إلى موسيقى البلوز والجاز وكلاهما من صنع العذاب الزنجي غير أن شيئا من ذلك

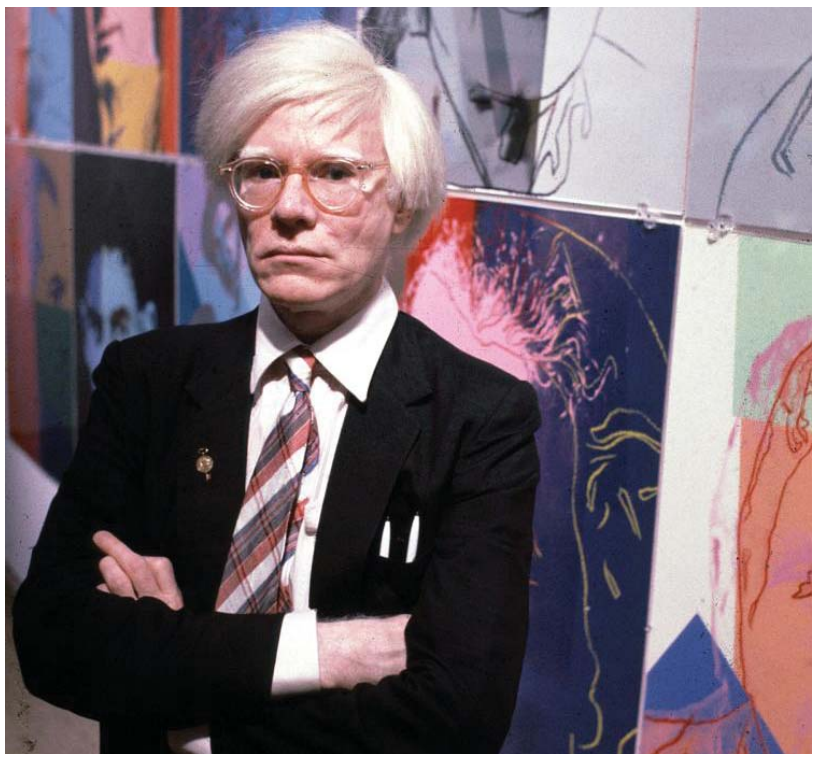

● أميركا هي البلد الوحيد في العالم الذي يمكن أن يتحول فيه أي شيء إلى أيقونة، وهو ما فهمه أندي وارهول جيدا.

● بل غيتس مؤسس ميكروسوفت ورغم ثرائه الفاحش وحضوره الكبير وسط المجتمع الأميركي، إلا أنه لا يمكنه أن يكون رمزا لأميركا، ذلك لأنه يتحدث بلغة العلم فيما يقوم كل شيء في الشخصية الأميركية على الخرافة والأساطير والخوارق.

# السؤال الضائع

## خرافة إصلاح العقل العربي

هيثم الزبيدي
كاتب من العراق

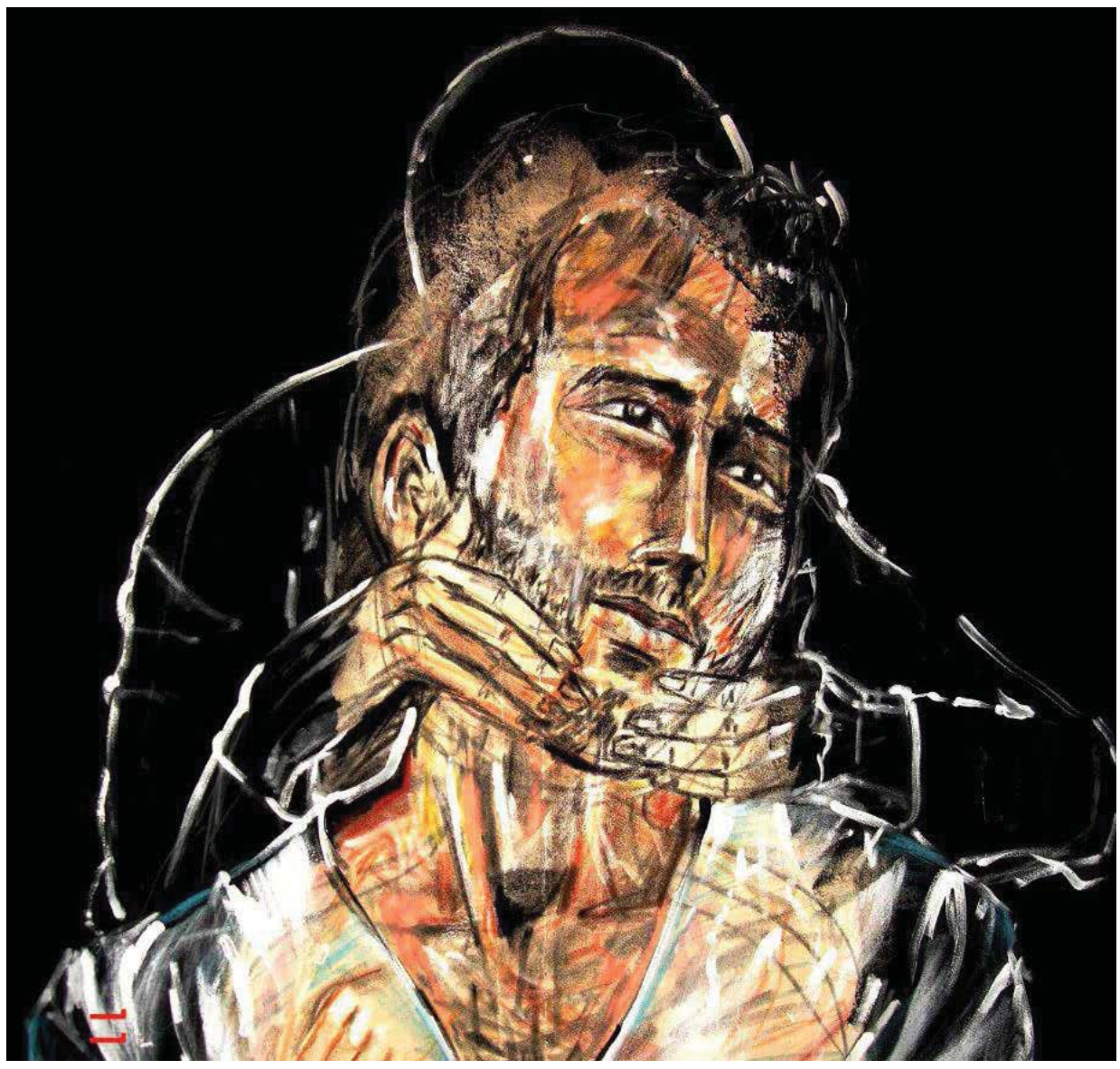

* لوحة: عمر الأخرس

❏ الوحدة اللغوية مصدر للخداع. بمجرد أنك تعرف لغة، ستفترض أنك تفهم الشعب أو الشعوب التي تتحدث بها. فجأة يصبح الإيحاء بأن الجغرافيا ليست ذات أهمية وأن المئات أو الآلاف من الكيلومترات لن تحول دون توفر الوعي لفهم الشخصية الاجتماعية للأفراد من ذلك الطرف البعيد من تلك الجغرافيا. تزيد المركزية الفكرية من المشكلة عندما تكون عاصمة ما أو دولة مصدر إشعاع ثقافي، فيكون ابنها معدا بالخلقة لفهم الناطقين بلغته، ويكون ابن البلد البعيد مستلبا، بالخلقة أيضا، نحو مصدر الإشعاع.

الحقيقة، كما علمتنا التجارب، بعيدة كل البعد عن هذا. الناس تفهم القريب منها وتتعامل معه، ولكنها تبقى حائرة أمام ذلك البعيد وتعجز عن تفكيك إشاراته، حتى وإن صدرت بلغة مشتركة.

يتجرأ كل مفكر عربي على استخدام مفهوم الوحدة اللغوية في العالم العربي لكي يطرح أسئلة من نوع "كيف نصلح العقل العربي؟".

لأنه مشرقي أو شمالي يتحدث العربية، ولأنه من عاصمة مشعة ثقافيا، يفترض أن بوسعه توفير حلّ فكري شامل وموحد لأزمة العقل العربي التي يفترض أنها نفسها في أقصى الغرب أو الجنوب. كلنا يعرف أن هذا الجواب مفقود بعد عقود من إطلاق السؤال. كلما جاء جيل جديد، يطلق نفس السؤال، ويتراجع مكتئبا بأن العقدة في العقل الجمعي، وأن من الصعب أو حتى المستحيل، العثور على الجواب. لم يسأل الكثيرون ممن طرحوا السؤال إن كان هو السؤال المناسب. هل هناك عقل عربي حقا لكي نصلحه؟ أم هي عقول عدة، قد تكون عقولا متعددة في كل بلد وليس في بلدان مختلفة وحسب؟ ثم ما هذا السؤال العبثي عن محاولة إصلاح العقل العربي؟

لأن الأمور بالقياس، لعلنا نسأل: ماذا لو فكرت أوروبا بنفس الطريقة؟ ماذا لو فكر الغرب؟ ماذا لو أرادت بريطانيا، بحكم اللغة مثلا، أن تصلح العقل الأسترالي أو الأميركي؟

دعونا نستبق الغضب من المقارنة ونقول: نعم؛ بريطانيا وأميركا وأستراليا هي "أمة واحدة" بالمفهوم العربي القومي. تتحدث لغة واحدة ومصيرها مشترك وتمارس السياسة بشكل متشابه وتقاتل معا. ربما الاختلاف يكمن في أن الأميركيين قرّروا أن يسوّقوا سياراتهم على الجانب الآخر من الطريق أسوة ببقية العالم وعلى العكس من البريطانيين. وضع عجلة القيادة في السيارة على اليسار أو على اليمين لن يفسد مشاعر الأمة الواحدة.

ولكن هذه الأمة لم تطرح على نفسها سؤالا من نوع "كيف نصلح العقل الأنكلوسكسوني؟" لا تجرؤ بريطانيا على أن تطرح هذا السؤال في بلدها لأنه سيستفز الأسكتلنديين والويلزيين مثلا. هذا النوع من التعميم غير وارد.

أوروبا التي بنت وحدتها بشق الأنفس، أيضا لا تطرح هذا السؤال. أيّ محاولة لحشر الأمور بهذا التبسيط ستجد من يقاومها بشدة. البريكست الذي يقود المملكة المتحدة خارج الاتحاد الأوروبي حدث لأسباب أقل من هذه بكثير.

دول الجوار العربي إيران وتركيا كانت أذكى في تعاملها مع قضية "الإصلاح". بدلا من الحديث عن إصلاح العقل الإيراني (أو الفارسي)، كان السؤال: ما هو السبيل لاستبدال العقول الإيرانية المختلفة بعقل جمعي طائفي واحد؟ نفس الحال في تركيا التي اختارت طريق العودة إلى عثمانيتها الطورانية. هناك مركزية إيرانية أو تركية تعمل لصالح هذا التغيير وهو ما نلمسه يوميا من تلك الرياح العقائدية التي تهبّ علينا من الشرق والشمال.

لا يمكن لشاميّ أو عراقي أن يقترح أجوبة (أو حلولا) للسؤال العبثي عن إصلاح العقل العربي. أيّ منهم قد لا يستطيع أن يقدم حلولا لمشاكل مجتمعه التي يعيشها يوميا، دع عنك التفكير بمشاكل الجزائري أو اليمني. أنظر غربة العاملين المصريين الفكرية والنفسية وهم يعودون من الخليج. يعودون مرتبكين في عاداتهم، بل وحتى في أزيائهم. يعودون بالأسئلة أكثر من عودتهم بالأجوبة، لا فرق بين من ذهب عاملا أو أستاذ جامعة.

المغترب العربي في أوروبا أو الولايات المتحدة لا يطرح هذه الأسئلة حتى لو كان مصنفا كمفكر، اللهم إلا أولئك المنعزلون تماما وممن يعيشون في غيتوهات الغربة. الأستاذ الجامعي العربي أو المسلم لن يؤخذ بجدية أكاديميا إذا طرح مثل هذا التساؤل. عالم اليوم غارق في الرد على الأسئلة المعرفية الصغيرة وتعلّم أن لا يطرح التساؤلات الكبيرة.

سؤال إصلاح العقل العربي هو محاولة للهروب من طرح الأسئلة الحقيقية عن التنمية والوعي والتعليم والصحة والأمن والحكم. هو سؤال صنع خصيصا لمنع الإجابة عنه.

# حين كانت المقاهي أفضل من مدرجات الجامعات

أمين الزاوي
روائي وأكاديمي جزائري

❏ من طنجة إلى بغداد، ومن دمشق إلى وهران، مثّلتْ المقاهي (منذ الأربعينات حتى تسعينات القرن الماضي) الفضاء العمومي الشعبي الأكثر ارتباطا بالإبداع والحرية وحلم التغيير، وفي تاريخ المقاهي يختفي جزء مهمّ من تاريخ تشكل وصعود الأنتلجنسيا العربية والمغاربية بكل تنوّعها.

في الجزائر ارتبطت أسماء بعض المقاهي ببعض كبار المبدعين الجزائيين والعرب والعالميين، فعلى طاولات أشهر مقهى بوهران السينترا (Cintra)، وضع ألبير كامو صاحب جائزة نوبل للآداب أول مسودّة لروايته "الطاعون" كان ذلك في العام 1939، والتي تجري أحداثها في مدينة وهران نفسها وفيها كتب أيضا "أسطورة سيزيف". وفي هذا المقهى أيضا كان يجلس كبار الكتاب والفنانين من أمثال محمد ديب وإيمانويل روبليس. وعرف مقهى السينترا وجوها موسيقية بارزة من أحمد وهبي إلى شارل أزنفور ولاحقا الشاب خالد، وكانت ملاذا للعديد من المثقفين الجمهوريين الإسبان الهاربين من جحيم الجنرال فرانكو.

وفي مدينة قسنطينة يطلق الأهالي اسم "جامعة السوربون الصغيرة" على مقهى "النجمة"، فيه التقى كثير من قادة التيارات الفكرية والإبداعية والسياسية، من الروائي كاتب ياسين الذي كتب فيها مجموعته الشعرية الأولى "مناجاة" كما أنه فيها بدأ كتابة روايته الشهيرة "نجمة"، إلى رواد حركة الإصلاح من أمثال زعيمها الشيخ عبدالحميد بن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين، إلى الروائي الطاهر وطار، والمفكر مالك بن نبي، وعمداء موسيقى المالوف من أمثال الطاهر الفرقاني والشيخ رايمون، كما أن مقهى النجمة كان فضاء أيضا لزعماء الثورة كالرئيس محمد بوضياف.

مدينة الجزائر العاصمة عرفت بعدة مقاه شكلت ذاكرتها الإبداعية وأشهرها مقهى طانطانفيل (Tantonville) الموجود عند قدم بناية المسرح الوطني الذي شيد العام 1853. وقد عرف مقهى طانطانفيل بخصوصية استقطاب النخب المسرحية الجزائرية والمغاربية منذ الحرب العالمية، ومن بعض رواده الأساسيين عميد المسرح الجزائري علالو ورشيد قسنطيني وغيرهم.

وشكّل مقهى اللوتس الواقع وسط العاصمة فضاء للنخب الأدبية والإعلامية الجزائرية التي تكتب باللغة العربية والنخب المشرقية التي كانت على علاقة بالجزائر الثقافية والسياسية والتعليمية في سبعينات القرن الماضي، ولمقهى اللوتس رواده، وهم مجموعة من الأدباء الذين أسسوا للخطاب الأدبي باللغة العربية في جزائر الاستقلال من بينهم الطاهر وطار وأحلام مستغانمي وأبوالعيد دودو.. ومن الأدباء العرب محمد حسين الأعرجي وجيلي عبدالرحمن وحيدر حيدر وشوقي.

غير بعيد من مقهى اللوتس على الضفة الأخرى من الشارع نفسه يوجد فضاء آخر هو مقهى "لابراس الكلية" (de la fac la Brass)، ظلت تلتقي فيه الأنتلجنسيا الجزائرية المفرنسة ذات الاتجاه اليساري أو الليبرالي من الأدباء والإعلاميين من أمثال الشاعر جمال عمراني ورشيد بوجدرة وجان سيناك ومحمد أركون والطاهر جاووت... وهي النخب التي كانت مؤثرة أكثر في الثقافية والإعلامية.

شكلت المقاهي مدارس حقيقية للإبداع الأدبي والمسرحي والسينمائي والفن التشكيلي والإعلامي. فما قدمته هذه الفضاءات الشعبية المفتوحة لم تستطع القيام به لا مدرجات الجامعات ولا قاعات المعاهد الفنية المتخصصة ولا دور الثقافة.

إلى عهد قريب كانت المقاهي في كثير من المدن العربية والمغاربية عناوين ثابتة ومعروفة للمبدعين تُمكّن الداخل إليها الوصول بسهولة إلى أيّ مبدع، ففي القاهرة تستطيع التواصل مع نجيب محفوظ أو جمال الغيطاني أو يوسف القعيد وغيرهم من خلال مقهى الفيشاوي، وفي دمشق تعد مقاهي الروضة والكمال ولاتيرنا والهافانا من الفضاءات التي احتضنت ممدوح عدوان ونزيه أبوعفش وسمير طحان وعلي الجندي وأحمد الجندي ولياذة بدر وشوقي بغدادي وأحمد يوسف داود وفايز خضور وبندر عبدالحميد وسعيد البرغوثي ونبيل سليمان ويوسف عبدلكي وغيرهم، وفي المغرب تستطيع القبض على محمد شكري في مقهى "الحافة" بطنجة أو محمد زفزاف بمقهى لابريس بالدار البيضاء، وفي تونس يمكن لقاء الكتاب من أمثال الشاعر المرحوم محمد الصغير أولاد أحمد وشكري المبخوت والمنصف الوهايبي والمنصف المزغني في مقهى "الكاليغو" أومقهى "فرنسا" بتونس.

لقد بدأت هذه الفضاءات السوسيو-ثقافية تخمد، وإذا كانت مقاهي الإنترنت (سيبيركافي) استطاعت مع العشرية الأولى لهذه الألفية أن تحقق بعض الحراك السياسي إلا أنها لم تؤسس لظاهرة ثقافية إبداعية بتصورات جمالية جديدة في الأدب والسينما والمسرح والموسيقى.

## الوكيل الأدبي

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ ما هي المعايير المعمول بها في الغرب على صعيد صناعة النشر وكيف يُصنع الأدب؟

نظرا لأنّنا من أقل الأمم قراءة للكتب، وأكثرها ارتفاعا في نسبة الأمية وعدم تقدير الكتاب والاستخفاف بجهود الكتّاب وحقوقهم الماديّة والفكرية والمعنوية، فإنّنا والحال هذه، أبعد ما نكون عن صناعة الأدب تلك، أو ترويج وفرض أسماء كتّابنا. ذلك لأن واحدا من أهم وأبرز شروط النجاح الأدبي، تجاريا، هو سعة الانتشار. وإذا كانت مبيعات أفضل الكتّاب العرب لا تتجاوز بضعة آلاف من النسخ في موطنهم الأم، فكيف سيتحقق الانتشار العالمي والترجمة إلى اللغات الأخرى؟

ولحسن الحظ أنّ نجيب محفوظ ظهر في عصر لم تكن فيه التكنولوجيا والنسخ الرقمية المقرصنة قد انتشرت بعد، فحقق الانتشار الواسع عربيا ومن ثم تُرجم إلى اللغات المختلفة وباعت كتبه ملايين النسخ الأصلية، الأمر الذي أهله للترشح لجائزة نوبل والفوز بها.

بالتأكيد هناك الكثير من الأدباء العرب المعاصرين ممن يستحقون الحضور والانتشار عالميا، لكن المشكلة الحقيقية تكمن في فقدان التقاليد في عالمنا العربي، فنحن أمّة من دون تقاليد ثقافية للأسف، وتتحكم بثقافتنا النزعات السياسية وواقع التجزئة القطرية والريبة المتمثلة بعقلية الرقيب الثقافي وهيمنة الأخ الأكبر المتمثل بالنظام السياسي الدكتاتوري أو القبلي، ومن دون تقاليد لا يمكن أن نحقق الرقيّ والحضور الثقافي عالميا ولا يمكن أن تحترمنا الأمم، وبالتالي تحترم مبدعينا وأدباءنا.

أول الاشتراطات هو ما يتعلّق بعالم النشر وتنظيم عملية توزيع الكتاب وضمان حقّ المؤلف، باعتماد السبل الكفيلة لتسجيل مؤلفاته عالميا في المكتبات العامّة، ومن ثم السعي لترجمة أعماله إلى اللغات المختلفة وتوزيعها على يد ناشرين محترفين يعرفون الطريق إلى عقل القارئ الغربي جيّدا، وكل ذلك لا يمكن تحقيقه ما لم يكن هناك وكيل أدبي محترف للكاتب من شأنه متابعة تلك الأعمال والتواصل مع دور النشر والمترجمين والموزعين والإشراف على العقود المنظمة لعملية النشر ومدى قانونيتها، لضمان حقّ الكاتب.

هناك بون شاسع بين ما يجري في العالم العربي من طرق وأساليب نشر بدائية تعتريها الفوضى، وبين الأسس والتقاليد العريقة المتبعة في الغرب، وعلينا، قبل المطالبة بحضورنا الفاعل في المحافل الأدبية العالمية، أن نؤمن بالتقاليد الأدبية وتنمية حركة النقد العربية، بعيدا عن الأهواء الشخصية والمجاملات واعتماد الأسس العلمية وصنع مرجعيات نقّدية حقيقية قد تؤدي لاحقا إلى صنع أدباء عرب كبار، أقصد صنعهم وفق المعايير العالمية وليس كما تصنع النجوم الزائفة، وهو أمر يتطلب وضع أسسه الثقافية والتربوية الراسخة من الآن لعلّه يثمر في العقود المقبلة، ولا يوجد شيء اسمه اختراق المراحل أو الركون إلى الحظ أو الاستسلام للأوهام أو اعتماد مبدأ "الفهلوة الأدبية".

لقد أذهلتني تجربة متواضعة مررت بها مؤخرا عندما تعاقدت معي إحدى دور النشر الهولندية على ترجمة ونشر وتوزيع روايتي الأخيرة، أقول أذهلتني لجهة دقة الإجراءات المعتمدة ودقة العقد الذي روجعت مواده على يد أحد مستشاري اتحاد الكتّاب الهولنديين القانونيين، قبل أن يطالبني الناشر بتحديد وكيلي الأدبي.

ونظرا لجهلي بمثل تلك التفصيلات، لجأت إلى الاتحاد نفسه كوني عضوا فيه، فتدخل بصفته الاعتبارية كوكيل أدبي لي بعد أن تنازل عن حقّه العام من نسبة المبيعات، لكنني خرجت في المحصلة النهائية لهذه التجربة، بخيبة أمل كبيرة وشعور بالإحباط مما يجري في عالمنا العربي من فوضى على صعيد صناعة النشر وتوزيع الكتاب وطبيعة العلاقة بين الكاتب والناشر.

# عاشق مارغريت دوراس

## حكاية حب مستحيلة

ممدوح فراج النابي
كاتب من مصر

مارغريت دوراس.. روايتها بنية دائرية مغلقة

❏ التقت الكاتبة الفرنسية مارغريت دوراس (1914–1996) في السادسة والستين من عمرها بكاتب مغمور يُدعى يانٍ أندريا، كان مُتعلقًا بكتاباتها ومن ثمّ تعلّق بها، عاشا الاثنان قصة حب كسرت مفهوم الحب، وماهيته. العجيب أن هذه العلاقة التي تحققت على مستوى الواقع لم تتحقق على مستوى أعمالها الإبداعية، فدائمًا أبطال حكايتها يعيشون قصص حب مستحيلة.

في عام 1984 أصدرت مارغريت رواية "العاشق" وقد صدرت لها ترجمة جديدة إلى العربية عن دار الجمل بترجمة صالح الأسمر في العام الجاري 2017. وتحكي فيها عن تجربتها في الهند الصينية التي ولدت فيها عام 1914 حتى عودة الأسرة إلى فرنسا، وما حلّ بالجميع بعد وفاة الأب. تبدأ الرواية بمقطع أخاذ يعكس دلالة قوية علاقتها بأندريا فتستهل الرواية هكذا "ذات يوم في بهو مكان عام، وكنت قد تقدمت في السن أقبل نحوي رجل عرَّفني بنفسه وقال لي: أعرفك منذ زمن بعيد، يقول الجميع إنك كنت جميلة وأنت شابة، وقد أتيت لأقول لك إنني أجدك الآن أجمل مما كنت في شبابك، وليس وجهك وأنت امرأة شابة بأحبّ إليّ من وجهك الآن، هذا المكتسح".

### تحدي الحب

ينطوي هذا الاستهلال على إشارتيْن مهمتين تتماسان مع السيرة الشخصية لمارغريت دوراس؛ الأولى بمثابة رسالة حب لحبيبها أدريان، وإجابة عن التساؤلات التي لاحقتهما بعد إتمام العلاقة التي استمرت ستة عشر عامًا. والثانية تُقدَّم لجوهر شخصية دوراس حيث التمرّد ومخالفة السائد. فشخصية القادم الذي رَأى ما لا يراه الآخرون، هو ذات الشيء الذي تفعله دوراس ذاتها، وهو ما يبدو في علاقة بطلتها المتمردة (التي تعكس وجهًا من صورة مارغريت ذاتها) بالفتي الصيني الذي وقعت في غرامه وتحدت أوامر أمها وراحت تقابله، وبالمثل تحدّى هو أوامر عائلته الثرية وكان يذهب للقائها، واصطحابها من مهجع الطالبات إلى المدرسة والعكس.

بطلة الرواية هي فتاة ذات طموح تريد منها الأم أن تحصل على شهادة الأستاذية في الرياضيات، أما هي فتريد الكتابة فقط والتي هي في رأي أمها مزحة أو مجرد فكرة طفل. فتسعى لأن تحقّق ما تريد. ثمة شيء لافت في هذا الاستهلال، مرّرته الساردة بسرعة لكنها توقفت عنده أثناء عبور النهر بالمعدّية. وهو مرتبط بمفهوم الحب عند دوراس فالحب عندها لا يوازي جمال الشكل بقدر ما يوازي ثراء الروح. فهي ترى أن الجمال ليس شرطا للإعجاب بل الروح. فهي تعترف بأنها "ليست جميلة" ومع هذا فكان الجميع في المعدّية ينظرون إليها، وكذلك في الشوارع، كما يطلب منها أصدقاء أمها أن تذهب معهم لتناول المقبلات.

بعد هذا الاستهلال الذي هو بمثابة باعث للبوح، تعود الساردة -إلى الوراء خمسين عامًا- حيث كانت تعيش الأسرة في فيتنام إبّان الاحتلال الفرنسي للهند الصينية، فتسرد عن قصة حُب مستحيلة أشبه بتلك التي أشار إليها مَن قابلها في بهو الفندق بطرف خفيّ. وكأن القصة الجديدة تأتي جوابًا عن طلبه المضمر، فتروي عن قصة فتاة في الخامسة عشرة من عمرها تلتقي بالشاب الصيني الثري في المعدّية وهي تعبر نهر الميكونغ، وهروبًا من واقع فادح بعد وفاة الأب. تسعى الفتاة إلى التمرد على هذا الجو الخانق الذي عاشت فيه، وبلا مقدمات سوى حوار بسيط بينها وبين الشاب الثري تدخل سيارته الليموزين الفارهة. وتبدأ بينهما علاقة ترفضها الأم وكذلك والد الشاب الصيني الذي يرفض زواج ابنه من العاهرة الصغيرة البيضاء، إلا أنهما لا يأبهان. ويستمران لفترة في علاقتهما إلى أن تقرر الأسرة العودة إلى فرنسا بعد وفاة الأخ الأصغر.

تقدم الساردة في خطوط سريعة ملامح حياة الأسرة بعد وفاة الأب بمرض عضال وعمل الأم وخذلانها في أن تحقق لأطفالها ما تريد، ثم تصنع لهم مستقبلا وفقًا للوسائل المتاحة، وعلاقتها بالابن الأكبر الذي كانت تفضله وتناديه بولدي، مع أنه كان يسرقها مهما بالغت الأم في إخفاء ما لديها من نقود؛ فلديه حاسة غريبة لمعرفتها، وهو الأمر الذي كان سببًا في عداء مستتر بين الفتاة وأمها ما لبث أن تحوّل إلى كره مقيت وصل لأن تصفها بهذه المرأة، ومن جانب الأخ تحوّل هذا الانحياز إلى عداء شديد له، فكانت تتمنى أن يموت أو هي تقتله لكي تُعاقب أمها على شدة حبها له. وأيضًا لكي تنقذ الأخ الأصغر الذي تعتبره ابنها من الحياة الصاخبة لهذا الأخ.

تتبع الراوية في بوحها المشوب بوجع من هذه الأسرة التي لا رابط بين شخصياتها سوى الأم والدم، حيوات هذه الأسرة والمآلات التي حلّت بهم، فالأم تترك عملها الأوّل كمديرة مدرسة للبنات، وينتهي بها الحال وحيدة مع دو الخادمة في قصر لويس الرابع الزائف، حتى وفاتها وسط الخراف حين وضعتها في غرفتها الكبيرة أثناء موسم الجليد. والأخ الكبير يفشل في دراسته ثم يعود إلى فرنسا لينضم إلى تجار المخدرات والمافيا، وبعد ذلك في فرنسا يخسر كل الغابات التي أعطتها له أمه وهو يُقامر في لعبة البكارا، وقد صار في الخمسين، ينتهي به الحال طريدًا ووحيدًا بلا أصدقاء أو نساء إلى أن يجدوه ميتًا على الأرض في غرفته. أما الأصغر فمات تحت الاحتلال الياباني، في حين تتابع تفاصيل العلاقة التي نمت على ظهر المعدية وهي تفكر في الجنوح عن هذه القتامة التي سببتها لها حياة الأسرة، وتتخيل وهي في السيارة أنها لن تسافر مرة ثانية بالعبّارة، وترحل في خيلائها قائلة "من الآن فصاعدا سيكون لديها ليموزين تقلها إلى المدرسة وتتناول الطعام في أفخم الأماكن في المدينة".

ثمّ تواصل الجنوح والتمرد عبر قصة الحب في مدينة سايغون حيث مدرستها الداخلية التي أرسلتها لها الأم. وهناك تعيش جموحها الحقيقي مع هذا العاشق، فتقبل عليه هي لا هو، وفي بداية اللقاء في داخل الشقة في أحد الأسواق الشعبية يرفض أن يكمل إلا أنها تشجّعه. هذا الإلحاح من جانبها كان بمثابة انتصارًا لصورة الفتاة التي تريدها. وهو ما عبرت عنه بمجرد خروجها من البيت باتجاه المدرسة حيث راحت ترتدي قبعات من القش الناعم وتنتعل صندلاً ذهبيًا مزخرفًا وتضع أحمر شفاه فاقعًا يلفت النظر وكأنها تبحث عن استقلالية عواطفها خارج إطار الأم المنهكة الضجرة.

تستغرق قصة الحب المستحيلة عاما ونصف العام. لم يكن ثمة كلام مشترك بينهما عن المستقبل، بل هي مجرد أحاديث عن العائلتين وهذا يعني أنهما يقران بالنسق المهيمن. يكبرها باثني عشر عامًا، حتى ينفصلا بعد عودتها إلى فرنسا، لكن بعد انتهاء الحرب وعودته إلى فرنسا يتصل بها من جديد، ليقول لها إنه مازال يحبها وإنه لن يستطيع أبدًا أن يكف عن حبها، وهو مفهوم الحب الذي طبقته عمليًا في حياتها مع أندريا.

### قتل الأم

بنية الرواية أشبه ببنية دائرية مغلقة، فتبدأ الساردة الحكاية وهي في شيخوختها ثم تعود إلى طفولتها في فيتنام وحياة الأسرة وصراعاتها الصغيرة وأزماتها أيضًا، ثم تسرد جانبًا مهمًا عن الدراسة الداخلية وتتوقف عن أنواع الفتيات اللاتي يرسلهن آباؤهن للتعليم ومصيرهن بعد ذلك. ثم تعود مرة ثانية إلى لحظة البداية. ومع البوح الذي يعود بالزمن إلى ما قبل زمن الحكاية الأصلية تبدو الحكاية وكأنها تأخذ بنية الزمن التصاعدي، لكن في الحقيقة ثمة وقفات مع قصرها إلا أنها تعود بها إلى الماضي، فوقفتها على المعدّية عادت إلى الأسرة وهي في الماضي، حيث شراء الأم الملابس وصورتهم الجماعية، وتعود إلى المنزل الريفي قبالة جبل سيام وقضاء الأسرة فيه بعض الوقت. ومرة ثانية تقفز بالزمن حيث مرحلة الشيخوخة التي بدأت السرد بها، فتسرد في لقطات سريعة عن ابنها وصديقتيه في أميركا. وإن كان ثمة استشراف للزمن المستقبل حيث تشير مسبقًا وهي على المعدّية إلى عودة الأم بعد عام ونصف العام معهم إلى فرنسا.

تتوقف بزمنها عند علاقتها بالأم، وتأتي صورة استرجاعها دائمًا وهي في مواقف ضعفها، وكأن البنت تريد أن تحاكمها على ماضيها معها وهو ما يحدث بالفعل. فهي ترى أنها ماتت مع موت الأخ الأصغر، فلم يعد بينهما شيء وعندما التقتها بعد ذلك كان الوقت تأخّر كثيرًا لكي نسترجع بعضنا على حد قولها، بل لم يعد ثمة شيء نسترجعه معًا، كان كل شيء انتهى إلا ما كان بينها وبين الابن البكر. بل تصفها بأنها مجنونة بالولادة ولم تكن مريضة بالجنون بل كانت تعيشه. وهذه العلاقة المتوترة بينها وبين أمها كانت سببًا رئيسًا في الارتماء في هذه العلاقة الجديدة، وبهذا العلاقة أسست لبداية جديدة لها بعيدة ومنفصلة عن هذه العائلة وهو الأمر الذي دفعها عندما لمحت الخوف والتردد على فتاها الصيني إلى أن أعادته إليها وكأنها تريد أن تعبر من صورة الطفلة إلى المرأة. وبعد أن ذهبت إلى "آخر الفكرة" تساءلت بينها وبين نفسها "كيف جاءتني القوة حتى أنتهك المحظور الذي فرضته أمي".

رواية "العاشق" رواية عن التمرد وعن السعي إلى الأحلام لا الاكتفاء برسمها أو تخيلها، وقبلا هي دعوة من أجل الفوز بالحب الذي تحدى كافة العقبات، حتى ولو تخلّلها قتل الأم. فيكفي أن تكون شاعرًا بلذة بما فعلته وتصرّ على تكراره.

## رف الكتب

### حيوانية الإنسان

❏ في كتابه "عقدة القردة الثلاثة" يناقش إتيان بيمبنيه، أستاذ الفلسفة بجامعة بوردو، علاقتنا بالحيوان في هذا الظرف الذي تطرح فيه بحدة "القضية الحيوانية" في حياة الإنسان منذ داروين ونظرية التطور والانتقاء الطبيعي، ليس من جهة انحدار الجنس البشري فقط وإنما أيضا من جهة علاقتنا الأخلاقية بالحيوانات التي تشبهنا أو التي نستعملها في حياتنا، وهي علاقة تؤكد مركزية الحيوان في حياتنا حتى أنه يمكن الحديث عن حيوانية الإنسان التي من شأنها أن تلغي الثنائية والفصل الميتافيزقيّين القديمين إنسان/حيوان. فهل نستطيع أن نتحرر من عقدة القردة الثلاثة" من تلك الكيفيات الثلاث لإنكار أننا نعيش ونفعل ككائنات حية بشرية؟ وهل يمكن أن نتخيل تقدما حقيقيا واعيا بكل ما ندين به للحيوانات دون أن ننكر من نكون؟

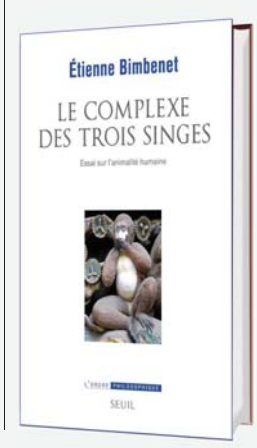


### مبتكر التوتاليتارية

❏ ستيفان كورتوا هو مؤرخ ومدير بحوث شرفي في مركز البحوث والدراسات العلمية بباريس ومدير مجلة "شيوعية"، يعتبر من كبار المتخصصين في الشيوعية والظاهرة الشمولية، وهو الذي أشرف على تحرير "الكتاب الأسود للشيوعية". بمناسبة مئوية ثورة أكتوبر 1917 نشر كتابا بيوغرافيا عنوانه "لينين، ابتكار التوتاليتارية" هو ثمرة حياة كاملة نذرها المؤرخ للشيوعية وآثارها. وبعكس الأفكار الرائجة التي تبرئ لينين من الاستبداد وتردّه إلى خلفه ستالين، يؤكد كورتوا أن لينين فكّر وأراد ثم أقام دكتاتورية أيديولوجية عديمة الشفقة، فهو الذي استنبط مفاهيم التوتاليتارية (الثورة العالمية ودكتاتورية البروليتاريا والحزب الدولة والمركزية الديمقراطية والاقتصاد المنظم والرعب الشامل) وأدواتها (حزب واحد، بوليس سياسي، جيش أحمر، غولاغ...) التي ستتولى القيام بفظائع القرن العشرين.

فقد تميز لينين منذ البداية عن المعارضين الآخرين للقيصرية بكونه لم يعارض الليبراليين والديمقراطيين بل عارض كل الحركات الاشتراكية التي كان يندد بها في خطب نارية.

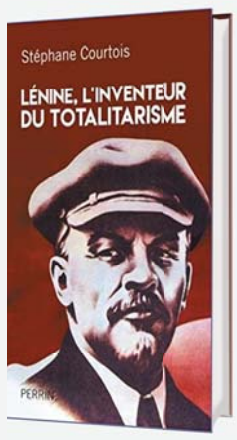


### الوجه الحقيقي لأميركا

❏ بعد كتابه "غضب أسود" الذي فتح أمامه أبواب الشهرة صدر للأميركي تا نهيسي كوتس، أحد أبناء النمور السود، كتاب جديد بعنوان "محاكمة أميركا" مع مقدمة لكريستين توبيرا وزيرة العدل السابقة في الحكومة الاشتراكية الفرنسية. في هذا الكتاب يطالب المؤلف السلطة الأميركية بتعويض السود عمّا لحقهم طوال وجودهم على هذه الرقعة من العالم، أي على مدة قرنين ونصف القرن تعرض فيها السود إلى الميز العنصري وجرائم القتل والسحل، ولا تزال مظاهر العنصرية قائمة رغم القوانين التي سنت منذ نصف قرن، نشهدها في القضاء المنحاز، والاغتيالات التي ترتكبها الشرطة ضد الشبان السود.

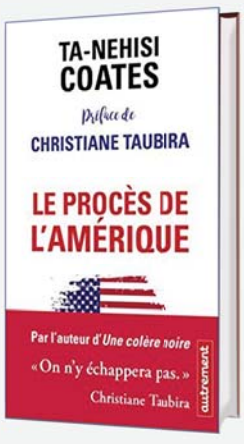


ويعدد الأمثلة على ذلك من خلال مصائر كثير من السود الذين راحوا ضحية المظالم الإدارية والقضائية والسياسية. ويرى أن"إجلال تاريخ نضالي لرجل أبيض دون إدانته كمستعبد هو نوع من الوطنية المفروزة".

# وراء البساطة في كل ملمح شعري

## فريد أبوسعدة: ذكريات الطفولة والمشاهد اليومية منبع القصيدة

شريف الشافعي
كاتب من مصر

لغة الأنوثة وإيماءات الجسد قادرة على تفجير قصيدة

❏ يحظى محمد فريد أبوسعدة (71 عامًا) بخصوصية بين شعراء جيل سبعينات القرن العشرين في مصر، وتشكل تجربته منذ بواكيرها تفتحًا على المشهد البسيط العابر واليومي، بتكثيف ورشاقة وخلوّ من التكلف اللغوي والموسيقي، وهي لوازم لم ينج منها كثيرون من رفقاء جيله الذين أغراهم المجاز واجتذبتهم حيل الكتابة، فتأخر نضج القصيدة فيما قدموه من أعمال.

فريد أبوسعدة، ابن مدينة المحلة (شمال القاهرة) وأحد مؤسسي جماعة "إضاءة 77" الشعرية، صاحب تجربة شابة، حتى بعد تجاوزه السبعين، كتب قصيدة النثر في عدد من دواوينه متواصلًا مع الأجيال اللاحقة، وفي كتابته التفعيلية كان الإيقاع مجرد خلفية، فلم يُسند الشاعر إليه دور البطولة، ولم يتحوّل إلى طنطنة تحجب مفاتيح الرؤية المتعمقة.

صدر مؤخرًا لفريد أبوسعدة ديوان جديد بعنوان "أطير عاليًا" عن "المجلس الأعلى للثقافة" بالقاهرة، يضاف إلى رصيده من الأعمال الشعرية وهي "السفر إلى منابت الأنهار"، "وردة للطواسين"، "الغزالة تقفز في النار"، "طائر الكحول"، "معلّقة بشص"، "سماء على طاولة"، "سيرة ذاتية لملاك"، وغيرها.

"العرب" التقت الشاعر محمد فريد أبوسعدة الحاصل على جائزة الدولة التشجيعية في الشعر ووسام الامتياز في الفنون والآداب من الطبقة الأولى في حديث عن منابع تجربته الشعرية وأجواء ديوانه الأخير "أطير عاليًا"، الذي صدر في 123 صفحة، متضمنًا قسمين؛ الأول نص مطوّل بعنوان "يتساقط ريشي في المكان"، والثاني مجموعة قصائد قصيرة بعنوان "صدأ يطير/قصائد أولى"، وهي نصوص كتبها في بداياته الشعرية ولم تصدر مطبوعة من قبل.

### مفهوم آخر للموت

في "أطير عاليًا"، يحلق فريد أبوسعدة إلى أبعد مدى في فضاء شعري، على أن الطائر الغريد لا يقوى على الاحتفاظ بريشه، ومن ثم فإن الجسد قد يهوي ممزقًا، في حين تواصل الروح صعودها، ربما إلى خلود وربما إلى موت تطل منه مرة أخرى على الحياة بشفافية ومعرفة جديدة "أخبروني الآن/أنني سأعودُ من الموت خلال أيام/وأعكف حاليًا/على إعداد لائحة الانتقام".

وصف أبوسعدة هذه الرحلة بأنها "خلاء تطوف به الأرواح"، وينسب الشاعر قصائد "أطير عاليًا" كلها إلى ذكريات الطفولة ومحطات الصبا، إذ تبدو مشاهدات "الشيخ الطائر" إطلالة حميمة على البواكير، وهذا يفسر استدعاء الشاعر بعضًا من نصوص البدايات في القسم الثاني من الديوان، فهو بكامله رحلة إلى الماضي.

ويعتبر الحديث عن "أطير عاليًا" حديثا عن الروافد الأولى، عن البدايات الطازجة، عن المؤثرات الحقيقية في التجربة الشعرية، مشيرًا إلى أن "بيت العز" هو بيت من البيوت الخمسة التي تنقلتْ بينها أسرته قبل أن تستقر فيه أخيرًا، وهو بيت يفتح بسلاملك على خلاء واسع، كان حديقة كبيرة، هُجرتْ منذ زمن بعيد، ولم يبق حيًا من آثار الحديقة سوى بعض النخلات المثمرة، وشجرة رمان تزهر، في موعدها، ولكنها لم تثمر أبدًا.

ويقول لـ"العرب"، "كنا نطل عبر الخلاء على شارع مدرسة الفرير"، متوقفا عند أجواء تشكل تجربته الشعرية منذ مهدها، موضحا "نرى المدرسة، ومستوصف السبع بنات الذي تديره الراهبات مجانًا وكنيسة الأخوة ومدرسة نوتردام الثانوية، وفي آخر الشارع نقابة العاملين بشركة مصر للغزل والنسيج، كان الشارع يمتد بين النقابة من جهة والسكة الحديد من جهة أخرى".

ويضيف "كنت في العاشرة تقريبًا وكانت منطقة السبع بنات في هذا الزمن أرستقراطية، نظيفة وهادئة، حتى أنها في الليل كانت متنزه العشاق الصغار، وفي الورديات الثلاث لخروج العمال من الشركة القريبة يعبرها الألوف عبر أنفاق السكة الحديد راكبين الدراجات إلى قراهم".

### مخزون الواقع

ينسب فريد أبوسعدة الحرص الشعري المبكر لديه على التفاصيل العادية والبسيطة إلى هذه المشاهد اليومية التي تشبّعت بها ذاكرته منذ الصغر، ويقول "لا أنسى كذلك مشهد خروج تلاميذ مدرسة الفرير، وركوبهم الحناطير التي تكون في انتظارهم، التلاميذ بملابسهم النظيفة كأنهم مغسولون بالماء والثلج والبرد، يحملهم العربجية إلى الحناطير كما لو كانوا بهشاشة غزل البنات، وهناك أيضًا مشهد خروج راهبات السبع بنات بزيهن الأسود والكول الأبيض المربع حول أعناقهن، يحملن شموعًا ويمضين ضارعات".

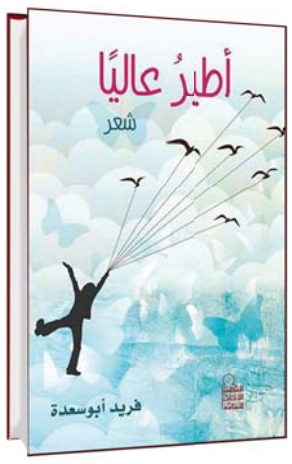


وأعاد أبوسعدة في حواره مع "العرب" إلى مثل هذه المشاهد الفضل في نحت وجدانه وتشكيل رؤيته الشعرية، قائلًا "أعترف بأن حركة الواقع لها الأثر الأول والأوضح في كل ما أكتب، هذه المشاهدات المحفورة في الذاكرة كانت وما زالت تسهم في تكوين وعي الصبي الذي كنته، والشاعر الذي يكتب حتى الآن، أعني على وجه الخصوص الوعي بالتناقض، بين الذين يمضون مرهقين إلى قراهم بالدراجات، والذين يحملهم العربجية إلى حناطيرهم برقة يفتقدونها حتى مع أبنائهم، ثم بين هذا كله وبين ضراعة الراهبات قائلات يا رب ارحم".

### روافد معرفية

لا تخلو قصائد "أطير عاليًا" من نزعة فلسفية مبعثها تأملات وافية في الحدث العابر للخروج به من المجانية الضيقة إلى آفاق تأويلية أرحب، كما في قصيدة يقول فيها أبو سعدة "سقط رجلٌ من الفضاء/سقطَ بكرسيه المتحرك/لم تكن ثمة طائرة في الأعالي/لم تكن ثمة مظلة بالكرسي/نظرَ حولهُ يائسًا وحزينًا/الذين رأوه قالوا: كم كان بهيًا وجليلاً ومرهقًا/لكن من هرعوا إليه/وجدوهُ يتلاشى/ويختفي وهم ينظرون".

بديهي، أن التعويل على التجربة الحياتية المباشرة ومشاهدات الواقع لا يكفيان وحدهما لصياغة مشهد شعري يتسع لمثل هذه التأملات والتصورات الذهنية.

وهنا يوضح فريد أبوسعدة لـ "العرب" أنه "لا يمكن إغفال الجانب المعرفي كضرورة لازمة لتكوين ثقافة الشاعر، جنبًا إلى جنب مع روافد التجربة الحياتية المباشرة".

ويستعيد الشاعر بواكير تلك الروافد المعرفية التي بلورت تجربة "أطير عاليًا"، بقوله "بدأت بقراءة الكتب القليلة التي وجدتها في بيتنا، تفاسير القرطبي، تاريخ الجبرتي، الأساطير اليونانية، كتاب عن ميكانيكا السيارات، رواية أحدب نوتردام، شجرة البؤس والأيام لطه حسين، وغيرها".

وكانت هذه الكتب هي مائدته الأولى، وأثناء الانكباب على القراءة، تسحره البرامج الإذاعية مثل: لغتنا الجميلة، ولياليّ الشرق، وألف ليلة وليلة، وساعة لقلبك، والمسلسلات الإذاعية مثل، سمارة وعوف الأصيل، وغيرها.

ويشير فريد أبوسعدة، إلى تعرّفه بعد ذلك على مكتبة البلدية، ووقوعه على "الكنز الهائل للكتب"، وصار يقضي بها الساعات الطويلة والإجازات المدرسية، ويقول "قرأت أعمال شوقي (الشاعر أحمد شوقي) ورامي (الشاعر أحمد رامي) وروايات السباعي (الأديب يوسف السباعي) وإحسان عبدالقدوس، واكتشفت أهم اكتشاف وقتها أن الشعر ما زال يُكتب، وأنه ليس وقفًا على ما كتبه الشعراء القدامى ودرسه في المدارس. اكتشفت إبراهيم ناجي وعلي محمود طه وكثيرين، فقلت إذن يمكن".

لم يكتب أبوسعدة قصيدة التفعيلة ولا قصيدة النثر في أول عهده بالكتابة، إنما سبقت قصائدَ البواكير التي تضمنها ديوان "أطير عاليًا" محاولاتٌ في كتابة القصيدة العمودية، وعن تلك المرحلة يقول "بحثت عن كتب تدلني على الطريق، كيف أستوعب فنون العروض والقافية؟ ووجدت ضالتي في كتب العلامة الأب لويس شيخو اليسوعي، فرحت أملأ كراساتي بالبحور وتفاعيلها، بعللها وزحافاتها، والأمثلة والشواهد عليها، كنت أدرس بحماس يفوق حماسي للدروس المدرسية نفسها، ورحت أكتب أبياتًا على غرار ما أحفظ أو أقرأ، محاولا التعبير عن نفسي".

### الصداقة والسياسة

شكلت الصداقات محطة مهمة من محطات نضج تجربة فريد أبوسعدة في سن مبكرة، وكانت محافظة الغربية تعج بالأسماء الأدبية المتحققة والواعدة في ذلك الوقت، وعن أبرز مجايليه وأصدقائه ومدى تأثيرهم في تجربته وبواكيره الشعرية التي تضمنها ديوان "أطير عاليًا".

> الجانب المعرفي لا يمكن إغفاله كضرورة لازمة لتكوين ثقافة الشاعر جنبا إلى جنب مع روافد التجربة الحياتية المباشرة

وأكد لـ "العرب" أنه في العام الثاني الثانوي تعرف على محمد المنسي قنديل وجار النبي الحلو، وكانا يكتبان القصص فكتب قصصًا، وحاولا هما أيضًا كتابة الشعر، ثم تعرفوا على فصيل سبقهم إلى تكوين نادي الأدب في عام 1965، منهم سعيد الكفراوي وجابر عصفور ومحمد صالح ونصر حامد أبوزيد وأحمد الحوتي ورمضان جميل وبكر الحلو.

عن تأثر هذا الجيل بالأحداث السياسية الفارقة، وعلى رأسها هزيمة 1967 وما أعقبها، يشير أبوسعدة إلى أن الفترة من 1965 إلى 1967 كانت البوتقة التي صهرت هذا الفصيل، وكانت أيضًا آخر عهده بالبيت، حيث التحق بكلية الفنون التطبيقية بالقاهرة، فيقول "حضرت مظاهرات 1968 (نادت بالإصلاح والاستعداد لمواجهة إسرائيل والثأر من الهزيمة) مع جابر عصفور، وبدأ عمر جديد وتشكلت رؤى جديدة بالإنصات لكتّاب العاصمة في مقهى ريش والأتيليه وإيزافتش ودار الأدباء والنادي النوبي، وتعرفنا على نجيب محفوظ ونجيب سرور وعبدالحكيم قاسم ويحيى الطاهر عبدالله وأمل دنقل وعفيفي مطر وإبراهيم فتحي وخليل كلفت، وبدأت مرحلة أخرى تحمل معنى النضج والخصوصية في الكتابة".

### انفجارات أنثوية

في ديوان "أطير عاليًا" تأتي الأنثى شاهدة على تأرجح الشاعر وتعلقه بين السماء والأرض، ولا تتخلى الأنثى عن عناقها للشاعر في صعوده، وكذلك أثناء سقوطه وبعد تحطمه.

ويتحدث أبوسعدة في إحدى قصائده "تأثرتُ جدًا من بكائك في جنازتي/نعم/برغم كل وساوسك/وكل إساءاتك/التي وضعتها بحرص الصائغ/إلى جوار الأوسمة/وشهادات التقدير/نعم برغم كل هذا/نسيت كل شيء مع شهقاتك/بل وتمنيت لبرهة/أن أخرج رأسي لأقول: لا عليك".

عن علاقته بالمرأة أو بالأخرى، التي تنعكس بوضوح في أجواء تجربة "أطير عاليًا" ومراحل الصبا والشباب المبكر يحكي أبوسعدة أن العائلة كانت تجتمع كل جمعة عند جدته أمّ أبيه، التي خصص لها والده حجرة في البيت، ومن هنا تعرّف على بنات العائلة وكان محظوظًا لأن البنات يتنافسن في محبته هو "ابن سيد العائلة" وفق تعبيره.

ويقول مختتمًا "عرفتُ مبكرًا الشغف بالبنات، عرفت مباهج التحرشات الصغيرة، عرفت أبجدية الأنوثة الطافرة في إيماءات الجسد، عرفت مراوغة القصيدة وجنون الشعر".

## سؤال الذاكرة

عبدالغني فوزي
شاعر وكاتب من المغرب

❏ كلما سقط شاعر ميتا، تتقافز إلى الذهن العديد من الأسئلة عن هذا القدر الذي يقتلع النبتة الزاخرة بالعطر، وعن مصير هذا الأخير المودع في الشعر. لأنه بمعنى من المعاني، لا بد أن يموت (أيّ الشاعر) مغبونا في الحياة والكتابة. فالوضع الاعتباري للمبدع العربي وللثقافة، وثالثا الحيف الذي يعانيه الشعر في التداول والتواصل، كلها عوامل تجعل الموت باردا وهامشيا أمام أصفاد الحياة.

الشاعر لم يتواصل بما فيه الكفاية، ولم يتداول شعره عبر وسائط محتكرة وتفهم الديمقراطية على طريقتها المقولبة والمصونة. غريب، أن تسأل الآن صفوف الشرائح عن أسماء مثل عبدالله راجع وأحمد المجاطي ومحمود درويش ونزار قباني وسركون بولص... وفي المقابل، لا أحد يعرف هؤلاء بل قد يعرفوا رياضيا أو مشعوذا متأنقا أو عازفا على الكمنجات بكامل اللغط، مع اعتذاري لكمنجات محمود درويش. الشاعر لم يمرّ بالمؤسسات الثقافية إلا على عجل عبر قراءة قصيدة أمام لغو لم يتحرر من حشوه، الشاعر لا يأتي للشاشة إلا عبر لقاءات محتشمة، ولم يتمدّد في الإعلام كواحة وصوت محترم.. أعني أننا لم نتنفس الشاعر كحياة.. فهذا الحيف غالبا ما يتعدّد ويتكاثر بعد موت الشاعر: فلا كتب مركونة تنشر، ولا متاحف تخلد، ولا تقاليد تنكب وتبحث...

ماذا يعني موت الشاعر؟ وهو الذي يحفر امتدادات الحياة في الشعر. ألا نساهم في قتله مرة ثانية حين نتغاضى عن شعره، غير مبالين بأسئلته وحرقته، بل أكثر من ذلك، فخيوط النّاس على دوائرهم تمتد لذاته وتعترض طريقه الطويل أو ربما تتكلم باسمه وتسطو دون سمعه ونظره، فيسقط ويسقط والمسافة غير منتهية الشرخ في شعره الطري.

من حين إلى آخر، بعد أن يسود النسيان والتغييب لأسماء ارتبطت حياة بالشعر، أسماء تسكن باطن الأرض والحياة كامتدادات هذبت الجنون وسارت على قلق... أقول في ظل ذلك أعود متفقدا دواوينهم اليتيمة لأتقرّى ملامحهم وصيغهم الجمالية التي حيكت ونسجت بنبل وفراسة يخطئونها ويمرّغونها في وحلهم الذي لا نظر له إلا في الوحل. وهلم وحلا...

شعراء حملوا حيواتهم في قصائدهم، بل بعضهم أثث قصيدته كمسكن أبدي. والذي يشدنا إليهم حقا هو تلك الحيوات والأنوية الممتدة في الأشياء وحبال الحياة لأنها وليدة تجارب عميقة. لكن اللافت للنظر والمثير للدهشة هو أن هؤلاء بقدر اختفائهم، بقدر سقوطهم من الذاكرة. وهو ما يدفع إلى التساؤل: هل أثثنا وعينا المشترك وثقافتنا بعطاءات الغائبين والراحلين من خلال نفض الغبار عن آثارهم بالتعريف والدراسة؟ يبدو أن العكس هو الحاصل، لأن الكل (أفرادا وجماعات) يعيش مكرها. غير أن شعراءنا المقيمين هناك كما الشعر، أقوياء بالكتابة وفيها كأنهم أعمدة لا يمكن التغافل عنها أو تجاهلها بأيّ حال من الأحوال مهما تكاثر الجوع واشتد العمى، أعمدة ينبغي استحضارها، لا للتمسح بها كما نفعل في نعينا وتكريمنا وندير ظهورنا للصداقات في الحياة والكتابة من أجل الفتات، بل لنتقاسم معها عبء واقع ووجود قائم وجاثم.. وأظن أن الأسماء العميقة في الحياة والكتابة تبقى على كتابة في تلك الأبدية المندغمة بالوجود كأعماق وأفواه تقول ما لم يقله التاريخ والعادة التي تبلّد الحس بمنطقها الرتيب.

أظن أن التوظيف الأيديولوجي والاستهلاكي للشعر، لم يمنح لهذا الأخير شيئا يذكر؛ ماعدا تصفيق الجمهور الذي يسعى إلى الرفع من صوت الشاعر إلى حد الصدح الغافل والصراخ الآني. كما أن التوظيف المناسباتي يغطّي على همس الشعر العميق كما شرايين القبور. فمثلما أننا نضع بعض المنحوتات (إلى جانب صحون الطاوس طبعا)، ونتفاعل معها إنسانيا كلما أرسلنا نظرنا تجاهها، نفس الأمر ينبغي حضوره في تلقينا للشعر كتشكيل يقتضي تقليبه ومداعبته كما علاقاتنا بالأشياء الصغيرة. الشيء الذي يبني الإنسان كوجدان ومخيال.. وهو كفيل بتعميق الإحساس بمفردات الحياة، ومنها الشاعر ككائن يحيا وجوده إشكاليا على أرض تدعى القصيدة.

بكل تأكيد، يبقى في الحياة الامتداد أو القليل المنثور الصعب على الهضم السريع والقضم المشوّه، الامتداد الذي يواصل المسير في تشذيب لأعشاب القلق. لذا وجب اللوذ بالجميل من البشاعات التي تطاردنا أحيانا بمناكب "الأصدقاء"، أما الأعداء فلهم جدارهم طبعا.

# المثقفون العرب والإرهاب

## أن تطحن بين شقي الرحى ولا تجد الخلاص

محمد الحمامصي
كاتب من مصر

❑ المتابع لردود فعل المثقفين حول الأحداث الإرهابية في العالم العربي وما تخلفه من ضحايا وما تحدثه من آلام ومخاوف في النفوس وانعكاسات على حياة الناس ونشاطهم اليومي والكيان الاجتماعي العام ومستقبل العلاقة بين الدولة الوطنية ومواطنيها، وبينهم وبينها، يستشعر أن هناك إغفالا لهذا الدور وتأثيره من جانب الحكومات العربية.

وفي الوقت نفسه يلمس المتابع للأحوال العامة أن هناك غيابا لرؤية حقيقية لدى هؤلاء المثقفين في مكافحة هذا الوباء الذي ابتليت به المنطقة العربية. وهو مرض ما أن يتم القضاء عليه في موقع حتى ينتقل إلى آخر ليزداد انتشارا وتتسع مساحاته على الرغم من الجهود الأمنية والحربية المبذولة عربيا وعالميا.

في هذا الاستطلاع استقصت "العرب" بعض المثقفين عن تقييمهم لردود فعلهم وهل هذه الردود تتناسب مع الدور الذي أعطوه لأنفسهم؟ فكان أيضا أن تباينت آراؤهم.

بداية أسف الشاعر أحمد سويلم للدور الذي ارتضاه المثقف في هذه الفترة العصيبة بموقفه السلبي خارج إطار الأحداث، وقال "حينما حاول رئيس الجمهورية إشراك المثقفين اجتمع بعدد منهم وطلب موافاته شهريا بآرائهم لكي تعينه في مسيرته، فلم يستجب المثقفون ولم يلتزموا ولم يقدموا شيئا ربما لرؤية المثقف التقليدية بأن يكون على "يسار السلطة" دائما رافضا متمردا حتى لو كان هذا التمرد "سلبيا" لا يملك رؤية حقيقية للإصلاح، أو ربما أيضا لظنّ المثقف أنه فقد حلمه ودوره منذ عام 1967 وظل ينتظر من يعيده إليه حتى الآن.

وأظن أن دور المثقف مهم في مجابهة أعداء الوطن ومقاومة الإرهاب بسلاح الكلمة والفكر والإبداع. وربما نرى ذلك على استحياء بين الحين والآخر. وإذا تم لا ترحّب به وسائل الإعلام التي تنشغل ليل نهار بتراثات التنظير والتحليل الممجوجة وإلهاء الناس عن قضاياهم المصيرية.

> هذا المثقف تختلط عليه معرفة عدوه من صديقه، ويختلط عليه متى يتحدث ومتى يصمت، ومتى يفكر للجماهير كي تأخذ حقوقها، والمدهش هنا أن رجل الشارع لديه من الحكمة أكثر مما يتمتع به هذا المثقف

نحن إذن مطالبون أن ندخل إطار الأحداث ونتفاعل معها بحسّ وطني ثقافي، ويكون لنا دور في إعادة تشكيل الوعي بالأخطار التي تحدق بالوطن برؤية حقيقية نافذة -بعيدا عن هذه المواقف السلبية- وأن يتوهج داخلنا الإصرار على إنقاذ هذا الوطن والوصول به إلى مرفأ الأمان والسلام.

### تراشق وتلاسن

الشاعر جمال القصاص يؤكد أنه ليس مطلوبا من المثقف إزاء كوارث ومجازر الإرهاب التي أصبحت تزاحم أنفاسه أن يكون حصيفا ومنطقيا، يحسب موقفه بحسابات المصالح والمع والضد. المثقف ينفعل بالمشهد كما يسمعه ويراه، وتتناقله الفضائيات ووسائل الإعلام، رغم ما يشوب بعضها من عوار. هو يريد أن يطمئنّ بسرعة على ما حدث، وبشكل رسمي مسؤول: كيف وقع، وكم عدد الضحايا والشهداء، وهل أفلت الجناة أم تم القبض عليهم، هل ثمة تقصير وإهمال وسوء تقدير، ثم ما هو الجديد في هذه الطاحونة التي أصبحت تدوس بتروسها المعقدة الأخضر واليابس في هذا العالم؟

تبدو حيرة المثقف أكثر كثافة وحدة حين يتعلق الأمر بوطنه، بماضيه وحاضره ومستقبله. وأمام غيبة هذه الطمأنينة، وما تنطوي عليه من مصارحة ومكاشفة، يعلو منطق الظن والتخمين، والتراشق والتلاسن بين أطياف المثقفين، وتلقى التهم جزافا، إلى حد التخوين والعمالة، وتتحول محاولة فهم ما حدث إلى إرهاب مقنّع باسم الدفاع عن المصالح العليا للبلاد، وهي في الحقيقة مجرد جرس في يد السلطة، كلما فشلت تعلقه في رقاب الآخرين.

إن ما حدث في مجزرة الواحات على بعد 135 كيلومترا من العاصمة القاهرة، بين فصائل منتقاة من الشرطة المصرية ووكر للإرهابيين ليس بعيدا عن ذلك. في الحرب ضد الإرهاب، أنت أمام عدوّ أصبح يمتلك القدرة على التنكر حتى في خطواتك وظلك وأفكارك وأفكار الآخرين، بل خرج أغلب قادته من صلبك وتمرّدوا عليك، وأصبحوا لا يشتهون سوى قتلك والثأر منك، بشتى الطرق. وعليك أن تضع الحلول الناجعة والحاسمة لاجتثاث هذا العدو من جذوره.

### تباين المواقف

كمال فهمي يرى أن ردود فعل المثقف تتباين حسب موقعه وتوجهاته. فهناك فئة من المثقفين تتخذ من النظام الحاكم في الدولة التي تنتمي إليها موقفا عدائيا مسبقا لأسباب مختلفة وهذا الموقف يجعل موقفها من أحداث الإرهاب غير موضوعي ويفتقر إلى الرؤية العلمية أو الفكرية المحايدة، فهم قد يفسرون الإرهاب طبقا لموقعهم أنه ناتج عن غياب العدالة أو وجود الاستبداد، ومنهم من يتّخذ أحيانا موقفا سلبيا أو لامباليا. ومن المثقفين جماعات أيضا تنتمي لتيارات الإسلام السياسي وهذه تتخذ موقفا واضحا مؤيدا لكل عمل ضد الدولة التي يرونها دولة كافرة مطلوب إسقاطها. إلا أنني أرى موقفا متناميا لتيار ثقافي واع يتزايد يوما بعد يوم ويكتسب مساحة أوسع وتأثيرا أكبر يرفض هذه الظاهرة ويحلل أسبابها الحقيقية بعيدا عن العواطف أو الانتماءات الدينية أو المذهبية أو السياسية ويضع الحلول لمواجهتها والقضاء عليها.

تيار الوعي السياسي والتنوير الثقافي في منطقتنا العربية يتزايد يوما بعد يوم وأنا متفائل بأنه سيكون أكثر قوة وفاعلية في مواجهة الإرهاب الذي يجتاح المنطقة بجذوره المحلية وروافده الدولية.

### تجاهل السياسي للمثقف

الروائي السيد نجم يشير إلى أن المثقف يقع بين شقي الرحى في كل المناسبات والأحول المجتمعية، إن خيرا أو شرّا، تلك التي تتمثل في قدر الحرية المتاح للتعبير عن وجهة نظر المثقف، والتي غالبا ما تتعرض للكثير من المشاكل التي منها الاصطدام بالسلطة مباشرة في أغلب الأحيان باعتبارها صاحبة القرار الذي كان على خطأ أو لم يتّخذ أصلا.

وقال إن نقص المعلومات غالبا هو السمة التي يشعر بها المثقف، إن حاول التحليل والتناول العقلاني المتزن. مما قد يوقعه في الاعتماد على خبراته واستنتاجاته الخاصة جدا، أو الاعتماد على معلومات تروّج لها جهات ما لا تتصف بالمصداقية. إن الإرادة السياسية غير متوافرة منذ سنوات طويلة، بشأن التنسيق والتعاون والاستئناس بآراء المثقف مع السياسي، حيث العلاقة بين المثقف والسياسي "صاحب القرار" في حالة من الشك وعدم الأريحية. وربما لا أبالغ ولا أتهم، لا أبالغ أن أقول إن هناك مشكلة ذاتية وخاصة جدا عند المثقف عموما، وهو أنه على الرغم من نقص المعلومات ثم عدم الحنكة التحليلية السياسية التي هي من علوم وممارسات السياسي، وبالرغم من تخصص المثقف الخاص جدا إبداعا أو حتى مهنة كتابية قرائية مثل الصحافة يظن أنه دوما صاحب الرأي الأرجح والأفضل مع قدر غير هين من التعالي. وتلك الحالة التي نعيشها جميعا، سواء تجاهل السياسي للمثقف من باب أنه أكثر حنكة وعلما بدخائل الأمور، في مقابل المثقف المتعالي بما يعرفه من ثقافة عامة أو حتى خاصة، لا نتوقع أن يتقابلا إلا بعد أن تتحقق الديمقراطية في حياتنا اليومية بين الجميع، وليس شعارا يرفع وقت الضرورة وإن لزم الأمر.

### نتاج ثقافة التشدد

الشاعر والمترجم الجزائري جمال جلاصي يقول بما أن للمثقف رؤية استشرافية ولأن الإرهاب هو "نتاج ثقافة" من التشدّد ومعاداة التنوير وتبرير قتل المختلفين واغتيال العقل أعتقد أن ردّة فعل المثقفين والمبدعين عند حصول بعض الأحداث الإرهابية لا يتماشى غالبا مع حجم الكارثة وتبقى ردود أفعالهم ظرفية وتحت تأثير ثقل اللحظة. إن دور المثقف في مواجهة الإرهاب لا يجب أن يكون مرتبطا بلحظة ما، على الرغم من خطورة تلك الهجمات والخسائر التي توقعها في صفوف أفراد الشعب سواء من المدنيين والعسكريين وما تثيره من إرباكات في المجتمع وزعزعة الثقة على أجهزة الدولة وقدرتها على المحافظة على الأمن العام.

ويضيف أنه لابدّ أن يكون عمل المثقفين عملا جبهويًا متواصلا في إطار استراتيجية شاملة لمقاومة الإرهاب، والمثال على ذلك ما قام به المثقفون التونسيون في أعقاب هجمات سوسة الإرهابية من إقامة مؤتمر المثقفين التّونسيّين ضدّ الإرهاب، تحت شعار "تونس لن تركع للإرهاب" والذي شارك فيه أكثر من ألف مثقف بين مبدعين من شتى المجالات وإعلاميين. إن الإرهابي ومشروع الإرهابي لا ترعبهما المدافع ولا يخافان الرصاص، وإنّه تاريخيا في أوروبا المثقفون والمبدعون والمفكرون هم الذين وقفوا أمام النازية والإرهاب ولنا أن نذكر هنا عديد المسرحيين الأوروبيين مثل برتولت بريشت وأوجين يونسكو وغيرهما لأن البلدان بمثقفيها أولا وليست بدباباتها وطائراتها. إن أوّل ضحية لتنامي خطر الإرهاب هم المبدعون لذا عليهم أن ينتبهوا ويعتبروا من تجربة الجزائر التي كان أكثر ضحايا العشرية السوداء فيها هم المبدعون أصحاب الكلمة واللحن والمسرحيون. لا بدّ من مقاومة الإرهاب والتنديد به يوميًا، إعلامياً وإبداعياً.

### التعتيم على المثقفين

الروائي والمترجم عبدالسلام إبراهيم يشدد على أن المثقف هو أول من يتفاعل مع الأحداث التي تحدث في مصر، ويتمثل هذا التفاعل في صورة كتابة أدبية أو استنكار على مواقع التواصل الاجتماعي أو عبر المجتمع الذي يعيش فيه قدر استطاعته. أما بالنسبة للأحداث الإرهابية المتلاحقة فالمثقف يتألم أشد الألم لأن إراقة الدماء أمر مؤلم جدا عليه، وإن كان ذلك غير واضح في مجتمعنا فمرجعه وسائل الإعلام التي لا تستطلع آراء المثقفين ومن ثم يتحجّم دوره الذي هو في الأساس المؤثر والمنطقي في المجتمع. ولن يظهر دور المثقف إلا إذا أتيحت له الفرصة في التعبير عن حزنه وألمه من خلال وسائل الإعلام المختلفة لما يحدث، وبالتالي تتناسب ردوده مع دوره المنوط به في المجتمع.

### تقية وراحة بال

الشاعر مصباح المهدي يرى أن رد فعل المثقف لا يتناسب قياسا بالمنوط به تجاه ما يحدث من موجات إرهابية تحصد أرواح أبرياء بين الحين والآخر ورصد هذا الأمر يتطلب منا دقة وابتعادا عن الانفعال، فمنذ أن تصدّى الأمن والأمن وحده لملف الإرهاب والمثقف كعضو فاعل والثقافة كسلاح فاعل تتباعد وتبتعد إن قصرا أو تقصيرا فقط بين الفينة يلقون باللائمة على الأزهر والأزهريين والخطاب الديني الذي صدعوا أدمغتنا بضرورة تجديده، تلك الدعوة التي تحمل في طياتها نوايا أخرى تخص إخصاء الخطاب الديني لا تجديده، إن المثقف من بعد إدخاله الحظيرة حسب قول فاروق حسني وزير الثقافة الأسبق خرج منها ليدخل الشرنقة، فقد أذل الحرص أعناق الرجال، لزم الصمت تقية وراحة بال.

### بين المطرقة والسندان

عمر صوفي يقول إن الأحداث الدامية تفرض أعباء مضاعفة على المثقف العربي، إذ يطالبه المجتمع بتفعيل دوره ودور الثقافة ومضامينها البناءة لمواجهة التطرف والتعصب، وفي نفس الوقت يجد المثقف تغييبا أو تهميشا من الأنظمة الحاكمة من ناحية وتسفيها من الجماعات الدينية الرسمية وغير الرسمية قد يصل إلى حد التشكيك والتخوين والتكفير من ناحية أخرى. فكأنه بين المطرقة والسندان: السلطتان السياسية والدينية. وكلاهما يسعى لتغييب أو تحييد المثقف صاحب الفكر الحر والرؤية الناقدة البناءة، لذلك نجد استجابة أغلب المثقفين للأحداث الدامية تستند إلى رد الفعل الآني والشجب والتنديد دون القدرة على تفنيد الأسانيد والمنطلقات الفكرية لتلك الجماعات الإرهابية أو الاقتراب من الأسباب الموضوعية السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي ساعدت على تفريخ الفكر المتطرف خاصة في ظل الهوجة الإعلامية الموجهة وتضييق المساحة أمام الفكر الحر. إن دور المثقف محوري إذا أردنا المواجهة الجذرية لتلك الأفكار الظلامية وهو ما يتطلّب تفعيل دور المؤسسات الثقافية والتربوية، وإفساح مساحة أرحب أمام الثقافة والمثقفين لتصدّر المشهد العام في كل مناحي الحياة.

### نخب ومخابرات

رسول محمد رسول يلفت إلى أن نخباً مثقفة ما زالت رهن أجهزة المخابرات التي تدفع المال والذهب لقاء بقاء المثقف في برجه العالي لا يتكلم إلا بإذن هذه الدوائر، ولا ينشر مقاله إلا بإذنها، وهي التي يروج لها ولبرامجها وسياساتها وتقاطعها وأمزجتها وأفراحها وأتراحها وشهواتها وغرائزها مع غيرها حتى لو كانت تنزل الشر في الناس من دون رادع أخلاقي أو إنساني والنماذج كثيرة في هذا المجال.

وقال إن كل هذا يجعلنا نقول إن الكثير من المثقفين العرب هم مغيّبون في أقبية الجُب، الجُب الذي يريده الساسة ورؤساء الدوائر المخابراتية وسماسرتهم وزبائنهم خيمة غنّاء يرتع فيها المثقف العربي قابعاً فيه، سواء كان هذا الجب من مستوى سبع نجوم أو خمس نجوم، هذه الثلة المتنعمة جراء تبعيتها للدوائر المخابراتية أصبحت عبئاً على المشهد الثقافي العربي وما أكثر مجموعاتها راهنا، لا سيما عندما تراها حاضرة في أغلب معارض الكتب والمنتديات والمؤتمرات التي تعقد في عواصم عربية وأخرى غير عربية مموّلة من دول عربية.

### المزايدة والوظيفية

حاتم الجوهري يرجع ردود فعل بعض المثقفين تجاه الأحداث الاجتماعية والسياسية إلى فكرتين هما المزايدة والوظيفية؛ غير أن هناك الجادين الذين يواجهون الأمر ويبحثون وراء الأحداث، فلقد خلق الفيسبوك حالة من المزايدة وتحول للفضفضة وكتابة ما يعنّ للناس، وقد تتقبل هذا من شباب في مقتبل عمره أو من عامة الناس، لكن أن تنتقل الحالة لمن يفترض أنهم أصحاب الوعي والنخبة العارفة، فتلك هي أزمة كبرى.

وأضاف أن المجتمع المصري يعيش حالة من التناقضات، فغياب دور الثقافة كقاطرة معرفية تستكشف مستقبل البلاد وتختبر احتمالاته المستقبلية، أصبحت مجرد بنية وظيفية لتبرير تناقضات المجتمع المصري، فيما قبل سبعينات القرن العشرين وجيل التفسخ والتحلل من الجماعة في الثقافة المصرية، كان هناك فصل واضح بين المبدع صاحب الموهبة وبين المثقف صاحب ملكات الوعي والفرص البديلة لمستودع هوية البلاد، لكن منذ جيل سبعينات القرن الماضي لم تنجح الثقافة المصرية في تقديم جيل رافع للبلاد في تصوره للثقافة، كبديل عن ثقافة العهد الملكي، أو عصر ثورة 1952 وأصبح مفهوم المثقف عند الكثيرين يرتبط بالصوت العالي والمزايدة، دون وضع الأمور في سياقها التاريخي والمواجهة مع الحقائق القاسية.

### المثقفون أدمنوا الشكاية

الروائي صبحي موسى ينتقد المثقفين معتبرا أنه يشعر أن رجل الشارع أكثر حكمة من كثير من المثقفين فيما يخص رد الفعل تجاه الأحداث الإرهابية، حتى وإن كان للإعلام سيطرته على ذهنية الشارع، فالمثقف عقب ثورة يناير أدمن موقع الشكاية والنكاية واللوم، وكأن هذا الفعل يشفي ضميره ويبرئ ساحته من فكرة فشل الثورة، فتعليق الأخطاء على الآخرين سواء العسكر أو الإخوان أو جهل الشارع وبراغماتيته يجعل المثقف طاهر الثوب مبرّأ من كل عيب، هذا المثقف الذي يعاني من ازدواجية البحث اليومي عن أكل العيش مثله في ذلك مثل رجل الشارع، والتفكير المتسامي عن الواقع ورؤية الأمور من خلال فلسفة التاريخ وطبيعة مراحله، ينسى دوره ويتخذ موقف زرقاء اليمامة التي لا تجيد سوى النواح والتحذير، لتصبح متعة الحديث عنده عن الأخطاء أكثر من المكاسب والنجاحات، ويصبح النصف الفارغ من الكوب هو النصف المقدس في مخيلة المثقف، ومن ثم فمع وقوع أيّ حادث إرهابي تطل العديد من الرؤوس بألسن كالمشارط لتمزيق السلطة، ربما بحثا عن إهانة لتعاليها على المثقف، واحتكارها لمنظومة الحكم دونه، وربما حفاظاً على نفسه بوصفه وريثاً لآلهة الحكمة.

وأوضح أن هذا المثقف ينسى دائماً أن الوقت وقت حرب، وأن تمزيق السلطة والمزايدة عليها ليس في صالحه هو نفسه، فإضعاف السلطة وإرباكها لا يصبّ إلا في مصلحة ذئاب الصحراء النائمة على جانبي الوادي والدلتا، والتي تنتظر أقرب فرصة لتنشب مخالبها في وجوه الجميع وصدورهم، المثقف هنا ينسى أن هذه الذئاب تقتات على فكرة نقيضة لوجود المثقف ذاته، وأنها في يوم من الأيام وصلت إلى السلطة عبر آليات الديمقراطية فكادت تطيح بكل شيء لصالح فكرتها هي، المثقف ينسى أن سقوط الدولة لن يكون إلا على رأس الفقراء الذين يهيجهم في بوستاته وكثير من مقالاته، وأن رأسه هو ستكون أول الرؤوس التي ستقطع بوصفه مختلفاً وليس فقط مفكرا. كما يعتبر أن دهشته تزداد حين يرى مثقفين يتربحون ليل نهار من مؤسسات الدولة ويسعون لهدم الدولة، فكل مزايداتهم لا تصب إلا في تهيئة المناخ لنمو الراغبين في هدم الدولة، هذا المثقف تختلط عليه معرفة عدوه من صديقه، ويختلط عليه متى يتحدث ومتى يصمت، ومتى يفكر للجماهير كي تأخذ حقوقها، والمدهش هنا أن رجل الشارع لديه من الحكمة أكثر مما يتمتع به هذا المثقف.

السيد نجم

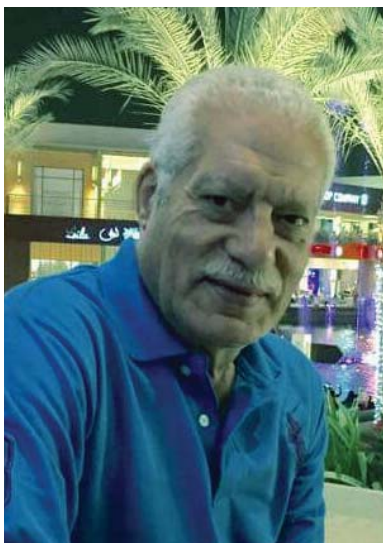

أحمد سويلم

صبحي موسى

رسول محمد رسول

حاتم الجوهري

# تاريخ الصورة في المنطقة العربية

## معرض يرصد تطور الكاميرا والصور الفوتوغرافية

عمار المأمون
كاتب من سوريا

❏ **تعلو لافتات الاحتجاج مدخل متحف الفن المعاصر في برشلونة، الأبواب والنوافذ تحمل شعارات ضد مجلس المدينة وإدارة المتحف التي أعلنت أن الدخول المجاني عبر الموقع الرسميّ، والسبب هو إضراب باعة التذاكر في المتحف واحتجاجهم خارج أبوابه نتيجة التعسف الإداري الممارس ضدهم وتقليص ميزانية المتحف وبالتالي ساعات عملهم من 25 ساعة أسبوعياً حتى 9 ساعات بمعدل 5 يورو للساعة، ويوجه المضربون اللوم للسلطة ونفاقها وخداعها لهم منذ العام الماضي ووعودها الوهمية بتحسين شروط العمال بما يليق بهم.**

> مجموعة الأعمال المعروضة في المتحف تأخذنا في رحلة بصرية في تاريخ الفوتوغرافيا في المنطقة العربية، لا على الصعيد التقني فقط، بل لاكتشاف التحولات الفنية والسياسية والاجتماعية التي رافقت هذه التقنية

يشهد متحف الفن المعاصر في برشلونة وعلى امتداد الطابق الأرضي معرضاً بانورامياً لأعمال المخرج والفوتوغرافي اللبناني أكرم زعتري بعنوان "ضد التصوير- تعليقات على تاريخ المؤسسة العربيّة للصورة"، وفيه ثمانية مشاريع ومشاركات قام بها الزعتري منذ مساهمته بتأسيس المؤسسة العربيّة للصورة في بيروت عام 1997 لنكتشف الجهود الأرشيفية والمفاهيمية والفنيّة التي قام بها والمرتبطة بفن التصوير في المنطقة العربيّة، سواء على صعيد تطور التقنيّة وصناعة الصورة أو عبر الموضوعات المختلفة التي يتناولها في أعماله، فالأعمال تسعى لإعادة قراءة وفهم فن التصوير من جهة ودور الكاميرا واستخدامها ضمن المجتمع في المنطقة العربيّة وما خلقته من تغيرات على صعيد السلوك الاجتماعي فيما يخص من يظهر في الصور أو المصورين أنفسهم.

يحوي المعرض عدة أقسام كلّ منها يتناول مشروعاً وتمتد على مدى عشرين عاماً، أوّلها يعود لعام 1999 بعنوان "المركبة-تصوير لحظات الانتقال في المجتمع الحديث" وفيه استعراض لصور عائليّة تؤرخ لأسر مختلفة أمام السيّارة وتوثيق لرحلاتها المختلفة في هذه "المركبة" بوصفها اختراعاً غيّر طبيعة العلاقات الاجتماعيّة والعلاقة مع المكان، كما تعكس الصور الطبقة الاجتماعية التي تمتلك السيارة وأزياءها وطبيعة الوضعيات التي تأخذها لالتقاط الصورة، وهرمية العلاقات بينها والتي تعكسها الوضعيات أمام الكاميرا والسيارة، كما نشاهد أيضاً صورا مختلفة لحوادث السير والتي تعكس التعامل مع هذه الآلة في حال تحطمها أو تحولها إلى خردة ضمنا لفضاء العام.

يتتبع الزعتري أيضاً المصور "فان ليو" في مصر في النصف الثاني من القرن العشرين وعمله مع المشاهير وأدائهم أمام الكاميرا، إلى جانب الجهود التي قام بها ليو لإعادة تلوين بعض الصور القديمة للمشاهير من عالم الفن والسينما كصور لداليدا ورشدي أباظة، مشيراً إلى أهمية فعل "إعادة الكتابة" الذي يمارسه ليو حسب تعبير الزعتري، بوصفه وسيلة لعصرنة الصور وإعادة إنتاجها ضمن التقنيات الحديثة، أما في "سرديات الأغراض" فنشاهد مجموعة من أفلام النيغاتيف بحجم كبير كل واحدة منها لها حكايتها الخاصة إلا أن مجموعها يقدم لنا رؤية مختلفة مرتبطة بعمل المصورين أنفسهم، إذ نرى بصماتهم وآثار أدواتهم، وكأن كل واحدة منها يختزن داخله تاريخين، الأول مرتبط بما يحويه من صور، والآخر مرتبط بالعمل الفيزيائي والتقني لإظهار هذه الصور التي تتأثر نوعيتها وطبيعتها الفيزيائيّة بعوامل الزمن والتخزين والجهود الأرشيفية التي مورست عليها.

في قسم آخر بعنوان "ثمان وعشرون ليلة و قصيدة" يتبع الزعتري مسيرة المصور اللبناني هاشم المدني 1928–2017 الذي التقاه عام 1999 في صيدا، إذ نشاهد لقاء مصوراً معه وتوثيقاً لأرشيفه وأعماله وأستوديو شهرزاد للتصوير الذي أسسه علم 1952، كما نشاهد مقابلة مع المدني يحدثنا فيها عن الصور التي التقطها لنساء مختلفات والوضعيات التي كنّ يتخذنها أمام الكاميرا، لا نرى من هذه الصور إلا بعضها، نساء شبه عاريات أمام الكاميرا لا تنتمي أجسادهن إلى معايير الجمال الاستهلاكي الحالية، ليشرح المدني بعدها عن حساسية عمله مع العارضات/النساء وكيفية أدائهم في الأستوديو وتعرّيهن، والبعد الاجتماعي لهذه الصور العارية و جواز عرضها من منعه في تلك الفترة وخصوصاً أن عري المرأة لم يكن مباحاً بأيّ شكل.

نشاهد أيضاً سلسلة من الصور بعنوان "ضد التصوير" والتي أنجزها الزعتري عام 2017 وفيها نرى أفلام نيغاتيف بأحجام كبيرة، أشبه بلوحات، يستعرض فيها الزعتري آليات الترميم والإصلاح التي خضعت لها و العوامل التي ساهمت بتشويهها ليبقى لنا منها بقايا صور، فـ"اللوحات" تتيح لنا أن نختبر عن قرب تأثير الزمن وعوامله على أصل الصورة (النيغاتيف)، وهشاشة هذا الأصل أمام العوامل المختلفة والتي نراها أيضاً بحجم كبير في عمل بعنوان "أركيولوجي" وهو صورة نيغاتيف نصفها العلوي مشوّه والسفلي يظهر ما تبقى من جسد رياضيّ، النيغاتيف الأصلي للصورة مأخوذ من أستوديو "أنترانيك أنوشيان" في طرابلس وذلك بعد أن فاض بالمياه، وكأننا أمام بقايا أحفوريّة بصريّة مهددة بالتلاشي إثر كارثة حلّت بها.

مجموعة الأعمال المعروضة في المتحف تأخذنا في رحلة بصريّة في تاريخ الفوتوغرافيا في المنطقة العربيّة، لا على الصعيد التقنيّ فقط، بل لاكتشاف التحولات الفنية والسياسية والاجتماعية التي رافقت هذه التقنية، لنقف أمام صيغة أرشيفية مفاهيميّة ترصد الفوتوغرافيا كعامل في تكوين تاريخ المنطقة وخلق وضعيات اجتماعية وسلوكيات جديدة أمام الكاميرا بوصفها جزءا من "الحداثة" وما ينشأ عنها من أداء، فالصورة تعكس التحولات التي مرّت بها المنطقة والتي قد يغفلها التاريخ الرسميّ، لنرى أنفسنا أمام موضوعات وحكايات تجعل الصورة وثيقة تاريخيّة سواء كان ذلك صعيد المضمون أو أساليب إنتاجها.

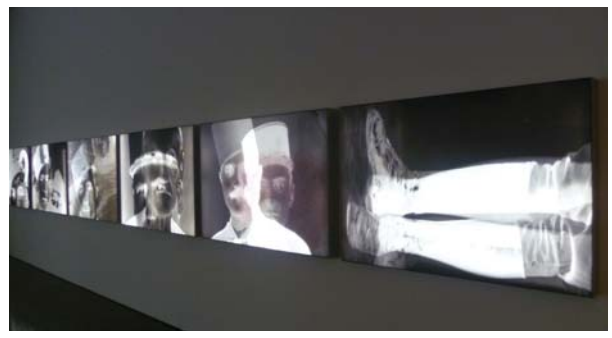

ملامح من المعرض كل منها يشكل مشروعا انجز خلال سنوات

# الفن كموقف سياسي

## معرض فني يستعرض تجربة الناشطة الأميركية مارثا روسلر ضد السلطة في الولايات المتحدة

❏ **برشلونة** – يشهد متحف الفن المعاصر في برشلونة معرضاً للناشطة النسوية والسياسية مارثا روسلر (1943) بعنوان "ليبارك الرب أميركا!"، ومنذ العنوان نقرأ الرسالة السياسية الساخرة التي يحملها المعرض الذي ينتقد السلطة السياسية في الولايات المتحدة منذ سبعينات القرن العشرين، وخصوصاً العنف المرتبط بسيادة الدولة والتمييز العنصري الممارس تجاه النساء والأقليات، فروسلر عُرفت كفنانة أداء ومصورة وكاتبة إلى جانب عملها في الفيديو آرت ذي المضمون السياسي، وهذا ما يركز عليه المعرض الذي يحوي مجموعة من 11 فيديو أنتجتها روسلر منذ سبعينات القرن الماضي حتى عام 2006 والتي تعكس نضالها ضد الهيمنة الإمبريالية والتحكم بالمرأة وجسدها من قبل الدولة ووسائل الإعلام.

تستخدم روسلر في الفيديوهات جسدها كوسيلة للتعبير، سواء عبر التعليق الصوتي أو عبر حضورها نفسها في الفيديو متناولة الأحداث السياسية وما تبثه وسائل الإعلام والأعمال الفنيّة فاضحة الآلية المستخدمة للسيطرة على جسد المرأة وقمع الأقليات ضمن نظام يدّعي تحريرها بحجة ممارسة السيادة الوطنيّة التي تكرّس أدوارا اجتماعيّة للفئات السابقة تخدم رأس المال وتحثّ على الطاعة والانصياع، وتمنع هذه الفئات من ممارسة حقوقها ضمن الفضاءين العام والخاص.

قبل أن ندخل صالة العرض نشاهد تلفازاً يعرض فيديو من إنتاج روسلر بعنوان "ليبارك الرب أميركا!" أنجزتهُ عام 2006، وفيه لعبة لجندي فقد ساقه ويعزف على الترومبيت مؤدياً أغنيةً وطنية، الجندي الميكانيكي يحيل إلى استخدام الجنود بوصفهم وقوداً لآلة الحرب، فالجندي اللعبة فقد أحد أطرافه بحجة الدافع عن الوطن التي تستخدم كمبرّر لحروب أميركا التي ينتقد الفيديو استغلالها للجنود في حروب خارج الولايات المتحدة في سبيل النفط والأموال، وخصوصاً حرب العراق الثانية، أمّا كون دمية الجندي مصنوعة في الصين فهو سخرية من مفهوم الوطنية الذي تستخدمه أميركا لإشعال الحروب التي تحوّلت إلى تجارة دوليّة.

تتنوع بعدها الفيديوهات في المعرض كفيديو بعنوان "حقول الأزهار" المنتج عام 1974 وفيه تسلط روسلر الضوء على العمالة المكسيكية واستغلال المهاجرين غير الشرعيين، وفي فيديو آخر يعود لعام 1984 بعنوان "الأمر أسوأ من أن يكون حقيقية، يمكن أن يكون خدعة" تنتقد روسلر سياسة الولايات المتحدة بالتعامل مع أميركا اللاتينيّة، فالفيديو يحوي صوراً لمقالة منشورة في النيويورك تايمز تعلق عليها روسلر بغضب كونها تتهم نيكاراغوا بمحاولة مهاجمة الولايات المتحدة إذ تخلق الفنانة التناقض بين الصورة والصوت ساخرة من المقال ووهم نزاهة الصحافة متهمة إياها بالعمل لخدمة المصالح السياسية وتوجهات السلطة.

الفيديو المعنون بـ"الهيمنة على الحياة اليومية" يعود لعام 1978 وتنقد فيه الفنانة ممارسات الإعلام للسيطرة على المرأة وتكوين دورها الاجتماعي بوصفها خاضعةً ومطيعة، إذ نشاهد امرأة تحمل طفلها وتتمشى معه في ذات الوقت نرى مقابلة تلفزيونيّة لمديرة أحد المعارض الفنية مع صور لدكتاتور تشيلي بينوتشيه، ضمن هذا الكولاج من الفيديو تحاول روسلر أن تستعرض تقنيات التلاعب الممارسة على المرأة في حياتها اليومية ضمن سياق سياسي يتسلّل إلى حياتها الخاصة ويكوّن آرائها، بصورة تحافظ فيها على وضعيتها الدونية كأداة للإنجاب أو سلعة للتبادل، وهذا ما نراه في فيديو آخر بعنوان "سيمياء المطبخ" وفيه تقدم بارودي لبرنامج الطبخ الشهير "جوليا تشايلد"، إذ تقف روسلر نفسها في مطبخ مسميّة بغضب أدوات الطبخ واحدة تلو الأخرى، احتجاجاً على الصيغة التي مارسها البرنامج في الستينات بجعل المرأة تنتمي للمطبخ فقط، وأنّ وظيفتها الوحيدة هي أن تكون ربة منزل مثاليّة، فالفيديو يعكس الإحباط والغضب الذي تمرّ به روسلر في محاولة لمواجهة تقنيات الإعلام في الهيمنة وضبط سلوك المرأة وهذا ما نراه أيضاً في فيديو آخر تنتقد فيه روسلر المقاييس الجماليّة الوهميّة لجسد المرأة، والتي تنشأ عن أبحاث علمية كاذبة هدفها وضع معايير للجمال وقياسات للجسد تناسب المتخيّل الذكوري وسعي المرأة للانصياع لها ظناً منها أنها ستكون أجمل بصورة تشابه تلك التي تقدّم في مسابقات الجمال التجاريّة وغيرها من أساليب النّمذجة الذكوريّة التي تتبنّاها الصناعة الثقافيّة.

> روسلر تستخدم في الفيديوهات جسدها كوسيلة للتعبير، سواء عبر التعليق الصوتي أو عبر حضورها نفسها في الفيديو متناولة الأحداث السياسية وما تبثه وسائل الإعلام والأعمال الفنية فاضحة الآلية المستخدمة للسيطرة على جسد المرأة وقمع الأقليات ضمن نظام يدعي تحريرها بحجة ممارسة السيادة الوطنية

فيديو يفضح ممارسات الإعلام للهيمنة على المرأة

* ع.م

# «آخر علم يرفرف» من فيتنام إلى العراق

## استدعاء الماضي في السينما والواقع والضحك من قلب المأساة

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

«آخر علم يرفرف» عمل مناهض للحرب

❑ فيلم "آخر علم يرفرف" (Last Flying Flag) هو أحدث أفلام المخرج الأميركي ريتشارد لينكلاتر. وقد عرض الفيلم بمهرجان لندن السينمائي الذي اختتم مؤخرا بعد عرضه العالمي الأول في مهرجان نيويورك. وعنوان الفيلم يوحي بأنه يدور في ميدان القتال، وأنه يتناول "البطولة" في حين أنه في الحقيقة فيلم عن الانكسار، عن الكذب وعن التضحية التي لم يكن لها مبرر ولا فائدة.

هذا فيلم عن الموت، فموضوعه الأساسي يدور في عام 2003 حول رجل من الطبقة الوسطى الأميركية، أبلغته السلطات العسكرية بمقتل ابنه الجندي في العراق في إحدى العمليات العسكرية. وهو يسعى الآن للوصول إلى صديقيه القديمين اللذين زاملاه في قوات مشاة البحرية "المارينز" خلال حرب فيتنام، لكي يشتركا معه في إحضار جثمان ابنه ثم تشييع جنازته.

الموضوع بطبيعته قاتم، لذلك كان التحدي الذي واجهه كاتب السيناريو داري بونيسان والمخرج لينكلاتر يكمن في كيفية صياغة الموضوع بكل ما يتضمنه من مشاعر فياضة وحزن نبيل وبعض التساؤلات الفلسفية في سياق "كوميدي" أو على الأقل مشبع بمزاج كوميدي يمتلئ بالقفشات والتعليقات الساخرة الطريفة ولحظات المرح التي تطغى على مواضع الحزن دون أن يفقد الفيلم رسالته الأصلية التي تتلخص في إدانة الحروب التي تشنها الإدارة الأميركية وتضحي فيها بالشباب تحت مبررات كاذبة.

المخرج ريتشارد لينكلاتر (57 عاما) معروف بتبنيه المذهب الطبيعي في الفن، فهو يبذل عادة أقصى ما يمكنه لإقناع المشاهد بأن ما يشاهده ليس مجرد محاكاة للواقع، بل هو الواقع نفسه. أما كاتب السيناريو داري بونيسان (79 عاما) فقد اقتبس السيناريو عن روايته التي صدرت بالعنوان نفسه عام 2005، وهو هنا يستعيد -على نحو ما- أجواء الفيلم البديع "آخر التفاصيل" (The Last Detail) الذي أخرجه هال أشبي عام 1973 ويعد من كلاسيكيات السينما الحديثة. كان سيناريو "آخر التفاصيل" مقتبسا بدوره عن رواية لبونيسان، وكان لا بد من العودة لمشاهدة هذا الفيلم مجددا حتى يمكن فهم واستيعاب الفيلم الجديد "آخر علم يرفرف".

### آخر التفاصيل

في عنواني الفيلمين توجد كلمة "الأخير" وهو ما يوحي بأننا إزاء فكرة تتصل بالوداع أو بالتوديع، أي أننا إزاء شيء لن يتكرر، أو حدث سيختتم "حالة" إنسانية معينة ويسدل عليها الستار. لكن المعنى يشير إلى الدقة الشديدة في التعامل مع المهمة التي يكلف بها المرء، وكان جاك نيكلسون في "آخر التفاصيل" قد عبر عن غضبه ورفضه لهذا "التفصيل الأخير".

في "آخر التفاصيل" هناك جنديان من جنود المارينز: أولهما أبيض هو بودوسكي (جاك نيكلسون) والثاني أسود هو مالهول (أوتيس يونغ) كلفا باصطحاب جندي ثالث، شاب مبتدئ (18 سنة) هو لاري ميدوز (راندي كويد) الذي حكم عليه بالسجن لمدة ثماني سنوات بسبب سرقة 40 دولارا. الجنديان الأكبر سنا والأكثر خبرة كلفا باصطحابه والسفر معه من نورفولك بولاية فيرجينيا لتسليمه لإدارة السجن في بورتسماوث بولاية نيوهامبشير. وخلال الرحلة التي تمر بنيويورك وواشنطن وبوسطن تتوثق العلاقة بين الجنديين و"لاري" الذي لم يختبر الحياة بعد، فهما يشفقان عليه من قسوة الحياة خلف القضبان بموجب جريمة لم يرتكبها (فهو يروي لهما أنه لم يذنجح حتى في انتشال الأربعين دولارا من صندوق التبرعات الخاص بحملة علاج مرضى شلل الأطفال بل قبض عليه قبل أن يتمكن من الحصول على المبلغ). يقرر الاثنان، وخاصة بودوسكي الذي يميل للمغامرة والتمرد على القواعد العسكرية الصارمة، ولديه نزعة جنون واضحة، ورغبة في الاستمتاع بالحياة تخفي شرخا داخليا قديما، أن يتيحا أمام الشاب فرصة للاستمتاع بالحياة وتذوق ما لم يتذوقه منها من قبل: الخمر، الرقص، الاختلاط بالفتيات، الجنس.. الخ

وبدلا من أن تنتهي المهمة في يومين تمتد لخمسة أيام، لنصبح أمام فيلم من أفلام الطريق، حيث تقع معظم الأحداث خلال الرحلة. وفيه تبرز شخصية بودوسكي التي يؤديها جاك نيكلسون كرجل متطرف في جنونه وحسه العبثي بالحياة ورغبته في دفع الشاب المسكين الذي سيقضي ثماني سنوات من عمره في السجن إلى التمرد والغضب ورفض النظام ولكن دون الهرب بالطبع، فهو إذا نجح في الفرار فإن بودوسكي ورفيقه سيلقيان عقابا شديدا.

كانت أجواء حرب فيتنام وما تركته من آثار نفسية على الجنود الذين شاركوا فيها وملامح مجتمع ما قبل سقوط نيكسون بفعل فضيحة ووترغيت تفرض نفسها بشكل ما على أجواء "آخر التفاصيل" وإن بشكل مستتر، بينما تطغى أجواء حرب العراق على فيلم "آخر علم يرفرف" بشكل مباشر. في الفيلم الأول كان بودوسكي ومالهول في فيتنام لكنهما لا يرغبان قط في الحديث عن تلك التجربة السيئة أو استعادتها، ففي مشهد الحفل يسعى بودوسكي لإغواء فتاة فيأخذ في وصف المشاعر الرومانسية التي يشعر بها جنود البحرية وهم في عرض البحر. وتحاول فتاة أخرى دفع "مالهول" للحديث عن فيتنام، لكنه يكتفي بالقول في سخرية واضحة إن "الإنسان يأمرنا أن نذهب فنذهب".

لم يكتب بونيسان سيناريو "آخر التفاصيل" بل كتبه روبرت تاون (الذي سيكتب فيما بعد سيناريو "الحي الصيني"). لكن بونيسان هو الذي كتب سيناريو "آخر علم يرفرف" الذي تدور أحداثه في عام 2003 بعد غزو العراق مباشرة. هنا يحاول بونيسان أن يستكمل أو يستعيد ما سبق أن حققه من نجاح في "آخر التفاصيل". فهناك الكثير من أوجه الشبه بين الفيلمين. في الفيلم الجديد هناك ثلاث شخصيات قد تكون هي نفس شخصيات الفيلم القديم مع بعض التعديلات، فالأصغر بين الثلاثة وهو الذي يدفع الحدث ويقبض على الحبكة هو "لاري" (يقوم بالدور ستيف كاريل الذي تألق في فيلم "صائد الثعالب" Foxcatcher) ولاري هو الاسم الأول للجندي المقبوض عليه في "آخر التفاصيل" (لاري ميدوز)، لكن لا شيء عن سنوات السجن بالطبع، بل نعرف أنه شارك مع رفيقيه الآخرين في حرب فيتنام والآن أصبحوا جميعا من المارينز المتقاعدين بعد مرور أكثر من 30 عاما على التجربة الفيتنامية. لاري فقد ابنه في حرب العراق، يذهب ليعثر على رفيقيه السابقين: الأبيض هو "سال" (بريان كرانستون) الذي أصبح صاحب مقصف لتناول الخمور، والثاني هو الأسود "ريتشارد ميوللر" (لورنس فيشبيرن) الذي أصبح منذ فترة قسيسا وراعيا لإحدى الكنائس الكاثوليكية، وقد ودّع بالطبع الشراب وامتنع تماما عن حياة العبث منذ أن تزوج من "روث" وهي السيدة التي دفعته كما يقول لرؤية "نور الإيمان". إنه يبدو طاعنا في السن، يعاني من ألم في ساقه ويتوكأ على عصاه.

### فيلم الطريق

كما في "آخر التفاصيل" يتميز "آخر علم يرفرف" بطابع أفلام الطريق، فأبطاله الثلاثة يقطعون أيضا رحلة طويلة بالسيارات والحافلات والقطارات، يتوقفون في مدن مختلفة، يفوتهم القطار حينا بسبب انغماسهم في اللهو، حيث يكون القس قد تخلى عن تزمته واستعاد مع زميليه القديمين روح الدعابة والمرح ولكن من دون أن يتخلى عن وعيه الديني وإحساسه بدوره الخاص. ويخوض الثلاثة مغامرة مشحونة يقابلون خلالها الكثير من المصاعب، نتعرف على جانب من حياتهم، فلاري مثلا فقد زوجته التي رحلت مبكرا، والآن فقد ابنه الوحيد، وسال فشل في زواجه ويعيش وحيدا، أما ريتشارد فهو يقاوم في البداية الذهاب في تلك المهمة إلى أن تدفعه روث دفعا للقيام بما تعتبره "الواجب". يسعى كل من سال وريتشارد طوال الوقت للتخفيف من وقع صدمة الفقدان على صديقهما "لاري"، مع تعليقات كثيرة تصل إلى مواجهات من ممثلي المؤسسة العسكرية وإدانة سياسة التضليل والكذب التي تمارسها الإدارة السياسية بشأن ما يقع في العراق، خاصة عندما يعلم لاري ممن كان زميلا لابنه، أن الابن الشاب لم يقتل في عملية بطولية كما قيل له، بل بموجب "نيران صديقة".

وكما كان بودوسكي في الفيلم السابق يجد أي سبب لتأخير المواجهة التراجيدية في النهاية، يقوم سال هنا بالتذرع بأيّ حجة حتى يمضي الثلاثة في جولة جديدة من استعادة لحظات المرح التي عاشوها في الماضي. ورغم العبث والسخرية التي تصل إلى العدمية، إلا أن الفيلم يبرز الحس الوطني الأميركي عندما يجعل الأبطال الثلاثة كلما واجهوا مأزقا ما يستعيدون هوياتهم القديمة كجنود سابقين في مشاة البحرية (رمز البطولة والولاء الوطني الأميركي) وهو شعور يصبح أكثر كثافة في مشهد الذروة قرب النهاية.

جرعة السياسة هنا أكبر مما كانت في الفيلم القديم، وربما لهذا السبب تحديدا يفشل الفيلم في إبراز الجانب الإنساني في الموضوع وهو ما نجح فيه كثيرا هال أشبي في "آخر التفاصيل". صحيح هناك تعاطف كبير بين الرجال الثلاثة وتجسيد لعبثية سال (المعادل لشخصية جاك نيكلسون في الفيلم القديم)، وصحيح أيضا أن الفيلم يمتلئ بالكثير من المواقف الممتعة الضاحكة من قلب المأساة، لكنه يعاني رغم ذلك من طغيان الصنعة ومن الترهل والتكرار والإطالة بالإضافة إلى تناقض الموقف السياسي، فعلى حين يدين الفيلم ويستنكر خداع المؤسسة للشعب الأميركي إلا أنه في الوقت نفسه يجعل الأب الذي كان غاضبا رافضا الامتثال لقواعد البروتوكول العسكري يقبل في النهاية تكريم "الشهيد" وتشييعه في جنازة عسكرية ولفه بالعلم الأميركي، يرتدي زميلاه ملابس المارينز العسكرية يشاركان في الطقوس الخاصة بالجنازة العسكرية بعد أن كانا رافضين بقوة.

### الإيهام بالواقع

يجتهد ريتشارد لينكلاتر كثيرا في جعل الكاميرا غير محسوسة إلى أقصى درجة، ويعتمد على الحوارات التي يحاول أن يجعلها تبدو تلقائية، وعلى المشاهد الطويلة اتساقا مع الأسلوب الطبيعي المغرق في فكرة الإيهام بالواقع، لكنه رغم نجاحه في تصوير الكثير من المشاهد وتجسيد البيئة الطبيعية التي تدور فيها الأحداث، إلا أنه لم ينجح في إبراز الوجه الإنساني للشخصيات وللموضوع، وهو ما كان يميز الفيلم القديم: هنا يبدو أداء كرانستون في دور سال محاكاة مشوهة لأداء جاك نيكلسون في "آخر التفاصيل" (كان وقتها في الخامسة والثلاثين من عمره)، فكرانستون يبالغ كثيرا في أداء دور العدمي، الساخط، المناهض للدين الذي يناقش زميله القس بطريقة فجة، يرفض المؤسسة الاجتماعية والسياسية، ويسخر من كل التقاليد، تتكرر كثيرا سخرياته وتعليقاته، إلى أن يتناقض رضوخه للمشاعر "الوطنية" في النهاية مع أفكاره الرافضة.

يظل الفيلم رغم هذه الملاحظات أحد الأفلام الهامة التي تخرج من هوليوود بين وقت وآخر، ترفض الحرب، تناهض المؤسسة، تحتج على ممارسات الإدارة السياسية، ضمن حدود "هوليوود الليبرالية" التي لا تصل بالطبع إلى "السينما الثورية".

جنود المارينز الثلاثة في «آخر التفاصيل»

حماقات «سال» داخل الكنيسة في «آخر علم يرفرف»

# السياحة العلاجية في تونس وجهة العالم

## مدن تاريخية تفتح ذراعيها للزوار للتمتع بالمياه المعدنية الحارة

تزداد شهرة تونس في مجال السياحة العلاجية في هذا الوقت من العام وحتى بداية فصل الربيع مع استفادتها من مصادر العلاج الطبيعي المتوفرة لديها، حيث تنتشر العشرات من المراكز الاستشفائية التي توفر للزوار كل احتياجاتهم وتتيح لهم الابتعاد أكثر عن ضغوط الحياة.

❏ **تونس** – روعة السياحة العلاجية في تونس تجسدها المئات من منابع المياه الجوفية المنتشرة في كامل البلاد حيث العيون الحارة والمياه المعدنية، التي باتت عصب المراكز العلاجية وبات الآلاف من الزوار يفضلون الاستمتاع في المنتجعات المقامة حولها.

ويساهم موقع تونس الجغرافي ومناخها المتوسطي في أن تكون موقعا سياحيا جذابا للكثيرين ممن يبحثون عن الراحة والاستجمام بالمياه الحارة ومياه البحر والمياه المعدنية، إلى جانب تمتعهم بشمسها المشرقة على مدار العام وجوها المعتدل وطبيعتها الخلابة.

وليس ذلك فقط، بل باتت وجهة سياحية علاجية للخليجيين والعرب أيضا حيث توفر المراكز كافة احتياجاتهم تحت إشراف طبي متكامل من المختصين في هذا المجال، ولتكون بديلا لهم عن الوجهات الأوروبية التي قد يواجهون فيها صعوبات تتعلق بالبرامج العلاجية.

وتحظى المدن التونسية منذ القدم بحمامات شعبية، ومع مرور الزمن بدأت تظهر المراكز العلاجية المتطورة مدفوعة بدراسات أعدها مختصون في العلاج بالمياه المعدنية ومياه البحر والمياه الحارة التي اشتهرت بفوائدها العلاجية.

> تونس باتت وجهة سياحية علاجية للزوار الخليجيين والعرب والأجانب حيث توفر المراكز الاستشفائية كافة احتياجاتهم تحت إشراف طبي متكامل

والمنتجعات العلاجية بالمياه المعدنية الحارة والطبيعية بفضل العيون والينابيع التي تجمع خصائص استشفائية مميزة مثل التنحيف وآلام الظهر والمفاصل والأمراض المتعلقة بالعين والأنف والحنجرة.

أما العلاج بمياه البحر، الذي يشكل في الوقت الحالي حلا فريدا للكثير من المشاكل الصحية مثل مخلفات الحمل والولادة والتوتر النفسي، فإن نجاح التجربة مضمون بفضل الإمكانيات التي توفرها تلك المنتجعات.

### جولة ترفيهية من نوع خاص

وللراغبين في التطبيب في تونس، فإن لدى الزوار اختيارات متنوعة وفق رغباتهم، حيث تنتشر على كامل البلاد أماكن استشفائية كثيرة من بينها 60 مركزا للعلاج بمياه البحر و40 مركزا للعلاج بالعيون الطبيعية الحارة.

وكل محطة استشفائية لها خاصياتها العلاجية حسب مكونات وتركيبة المياه التي تحتويها، وفق بيانات الديوان الوطني للمياه المعدنية والاستشفاء في تونس عبر موقعه الإلكتروني.

ومن أبرز المنتجعات العلاجية العيون الحارة الموجودة بمدينة قربص التابعة لولاية نابل وعيون في حمام بورقيبة التابعة لولاية جندوبة وأخرى في مدينة جبل الوسط بولاية زغوان، فضلا عن المركز الاستشفائي في مدينة جربة التابعة لولاية مدنين.

وتستغل تلك المراكز الأربعة 50 مركز علاج بالمياه الطبيعية و30 حماما تقليديا وأكثر من 50 مركزا للمعالجة بمياه البحر و18 نبعا جوفيا حارا، فضلا عما يناهز خمسين مركزا للنقاهة.

وقربص المدينة الجبلية الصغيرة التي تبعد عن العاصمة تونس نحو 65 كيلومترا شمالا، وتطل على البحر المتوسط، شهيرة بعيونها المائية إذ تتدفق فيها مياه حارة مليئة بالأملاح المعدنية والكبريت، وينصح بها الأطباء لمعالجة أمراض عضوية كثيرة.

وتتيح المدينة للسياح السباحة حتى في فصل الشتاء بفضل عيون المياه الطبيعية التي تتدفق بدرجة حرارة تقارب الـ75 درجة مئوية وتصب مباشرة في البحر، وهو ما يسمح للزوار بالسباحة والاستمتاع بدفء المياه الممتزجة بملوحة البحر.

ووسط تلك المناظر الطبيعية الجذابة والخدمات العلاجية المميزة يستمتع زوار المدينة الجبلية بخدمات سكانها الذين احترفوا عدة مهن تقليدية كالنقش والزخرفة وإعداد القلادات والتحف، علاوة على تقديم أطيب أنواع الأطعمة والمشروبات.

ويعد المرادي بحمام بورقيبة الوجهة الأمثل لعلاج أمراض العظام والمفاصل عبر الجمع بين فضائل المياه المعدنية العلاجية المتمثلة في المياه الكبريتية والطحالب المعدنية ومزايا المناخ الطبيعي الملائم من شمس وهواء نقي وجاف.

ويحظى الزوار بعناية خاصة حيث يهدف العلاج أساسا إلى تحقيق تحسن ملموس ولأطول فترة ممكنة عبر التقليص من حدة الألم وتطوير الأداء الوظيفي للمريض لتحسين طريقة عيشه، وفي الوقت ذاته التقليص من استهلاك الأدوية المسكنة أو المهدئة للألم وكذلك الالتهابات.

وإذا أتيحت للسياح فرصة زيارة تونس وبالتحديد الجنوب التونسي، فيمكن الذهاب إلى جربة الملقبة بجزيرة الأحلام، التي اختيرت في عام 2014 عاصمة متوسطية للعلاج بمياه البحر.

وفي الجزيرة الصغيرة في البحر المتوسط هناك مركز للاستشفاء بالمياه المعدنية بمواصفات عالية، حيث يعتمد أساسا على تقنيات متطورة تجعله يصنف كأحد أبرز المراكز الاستشفائية في حوض المتوسط والأكبر في القارة الأفريقية حيث بإمكانه استقطاب ألفي زائر يوميا.

ويوفر المركز علاجا للزوار المصابين بأمراض الجلد والضغط النفسي والروماتيزم والأنف والحنجرة والأمراض الصدرية وتقويم الأعضاء والسمنة.

كما يتيح خدمات علاجية خاصة بالأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة والمسنين، حيث يوفر لهم كل التجهيزات والوسائل الكهربائية التي يحتاجونها للاستشفاء.

وتحتل المعالجة بمياه البحر أهمية كبيرة في تونس، وتعد من أهم الروافد السياحية التي تدعم اقتصاد البلاد، وبفضلها تمكنت تونس من احتلال المرتبة الثانية عالميا بعد فرنسا.

ويرجع تاريخ إنجاز أول مركز للعلاج بمياه البحر في تونس إلى عام 1994، ويقع في مدينة سوسة الساحلية.

## أين تذهب

# أماكن سياحية تضفي التشويق على مغامرات القفز بالمظلات

❏ **دبي**– عرف العالم القفز بالمظلات من خلال الجيوش التي تستخدم هذا الأسلوب في عمليات الإنزال، غير أنها تحولت في غضون سنوات إلى رياضة يعشقها المولعون بهذا النوع من المغامرات لتصبح بعد ذلك شكلا من أشكال الفعالية السياحة.

القفز بالمظلة من ارتفاعات شاهقة يعد من الرياضات الخطيرة والممتعة في الوقت ذاته سواء للصغار أو الكبار لا سيما المشاهير منهم باعتبارها مغامرة شيقة يحلم بها كل هواة هذه اللعبة في أصقاع المعمورة.

وتحتاج هذه الرياضة إلى التحلي بالجرأة بشكل لا محدود فهي تمنح من يمارسها الثقة بالنفس لدرجة أنه يشعر بالقدرة على تخطي أيّ مشكلة تعترضه مهما كانت صعوبتها.

ومما لا شك فيه أن القفز بالمظلة يساهم في إزالة التوتر إذا أن الصراخ الذي يطلقه المحلق أثناء الهبوط إلى الأرض يساوي عشرات الجلسات لدى الطبيب النفسي.

ويؤجل البعض الدخول في هذا التحدي إلى حين يكون مستعدا للمغامرة التي ربما لا يخوضها سوى مرة واحدة في حياته، لكن آخرين يعيدون تكرار التجربة لتصبح هواية يمارسونها في كل مرّة يسافرون فيها لقضاء الإجازة.

ولا يختلف عشاق الرياضة على أن الاستمتاع بمشاهدة الأرض من ارتفاعات شاهقة بحريّة الطائر هو جزء من القفز بالمظلة.

وكثيرة هي المدن حول العالم التي تحولت فيها رياضة القفز بالمظلة المعروفة باسم "سكاي ديفينغ" إلى جزء من قائمة برامجها السياحية بهدف تحقيق أمنية كل من يرغب في دخول غمار هذا التحدي المجنون.

وإمارة دبي من بين أبرز الوجهات السياحية العالمية حاليا لمحبي هذه الرياضة بفضل اهتمام المسؤولين فيها، إلى جانب أماكن عديدة رائعة من بينها جزيرتا موريشيوس وهاواي ومدينة سيدني الأسترالية وفوق شلالات فيكتوريا في زامبيا.

ويعد نادي "سكاي دايف دبي"، الذي أسسه الشيخ حمدان بن محمد بن راشد آل مكتوم، أحد أكبر الأندية في مجال القفز بالمظلة في منطقة الشرق الأوسط حيث يقع على شاطئ جزيرة النخلة في الجميرة.

ويستقبل النادي سنويا مئات الآلاف من الهواة يأتون من أماكن مختلفة من العالم لممارسة رياضتهم المفضلة خاصة في فصل الشتاء، نظرا لسوء أحوال الطقس في بلدانهم. ويمكن للزوار الإقامة في فندق "راديسون رويال دبي" لقربه من النادي.

ويستمتع هواة هذه الرياضة في المنطقة الثانية المخصّصة للقفز في دبي والتي هي عبارة عن مخيم الصحراء الواقع بين طريق العين والإمارة ويستغرق التحليق قرابة النصف ساعة يتمتع خلالها المغامر بمشاهد فريدة حيث يمتزج لون السماء الأزرق بلون الصحراء الذهبي.

قفزة العمر

والأجواء ستكون مختلفة في مناطق أخرى من العالم حيث أن القفز بالمظلة في جزيرة موريشيوس على سبيل المثال فيه من المتعة الفريدة التي لا يمكن نسيانها.

وفي هذه الجزيرة الصغيرة السابحة في الجنوب الشرقي للساحل الأفريقي يمكن للمظلي القفز مع ابنه شريطة ألا يقل سنّه عن 12 عاما، وسيتفاجأ المحلقون بالمشاهد الرائعة عندما يرمون من الطائرة.

ويستغرق التحليق قرابة نصف ساعة، وفي الدقائق الخمس الأولى يكون القفز حرا، وبعد ذلك يفتح المغامر مظلته ليحلّق ببطء ويستمتع بمشاهد مناظر الجزيرة الخلابة.

وإذا كان المظليّ من محبّي الطبيعة الخلابة فليس هناك من مغامرة تجعله يحلق بين الفضاء الأزرق والألوان الخضراء الجميلة إلا في جزر هاواي حيث الاستمتاع بمشاهدة رأس الماس وبيرل هاربور والحياة البحرية.

وربما يكون القفز بالمظلة فوق بركان لافا فيلد قد يشعر المغامر بالحر ، لكن التحليق فوق شلالات فيكتوريا في زامبيا، الأكثر ارتفاعا على سطح الأرض، هو أكثر رطوبة أثناء عبوره رواق الفضاء.

والسبب في ذلك لأن الهبوط عند نهر زامبيزي سيجعل المحلق يعيش مغامرة فريدة، وإذا كان محظوظًا سيستمتع بمشهد قوس قزح الدائم قرب الشلالات.

ويصقل السقوط من الطائرة في فولونغوغ سيدني النظر بمشهد ساحل سيدني الجميلة وهي تعانق المياه الفيروزية. وبما أن المظلي يهبط عموديا، سيكون مجبرا على العبور فوق رفرفة الدلافين والحيتان.

## وجهات سياحية شتوية

### سحر المعمار يضفي رونقا على التشيك

❏ العاصمة التشيكية براغ إحدى أهم المدن السياحية في أوروبا فهي تمتاز بالسحر المعماري للمباني المشيدة وفق مختلف المدارس والطرز سواء من الفن الحديث أو الفن الباروكي ومن فن عصر النهضة والقوطي وغيرها.

وتعد براغ من خلال أبراجها المغطاة بالثلوج وشوارعها المتعرجة المدينة المثالية للقصص الخيالية بالنسبة إلى الكثير من السياح في فصل الشتاء نظرا لهدوئها.

### مدن كندية بهدوء أوروبي رومانسي

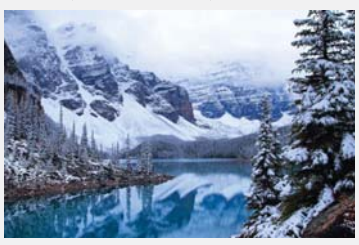

❏ بإمكان للسياح هذا الشتاء تجربة زيارة كندا التي لا تنعم فقط بالثقافة الغربية وإنما بهدوء أوروبي شديد الرومانسية يناسب هذا الوقت من السنة عبر الاستمتاع بمشاهدة الثلوج وهي تكسو العديد من المدن.

وتعد زيارة هذه البلاد فرصة ذهبية للكثيرين لمتابعة الشفق القطبي الشمالي ومشاهدة شلالات نياغرا والتجول في مدينة كيبيك القديمة، بالإضافة إلى زيارة جبال روكي.

### الاستمتاع برفاهية الشتاء في سويسرا

❏ سويسرا بلد الاستمتاع برفاهية فصل الشتاء، كما يتفق على ذلك أغلب من زارها.

فالبلد الأوروبي يجمع المناظر الرائعة التي تمتزج فيها الثلوج بالطبيعة الخلابة حيث تعد من أفضل الأماكن على الأرض بفضل الوجهات المثالية التي تحتويها للترفيه الأنيق.

ويزداد التشويق عند القيام بمغامرات التزلج من أعالي الجبال والتمتع بسحر البحيرات هناك، فضلا عن الاستجمام في منتجعات راقية مثل أنترلاكن وزيرمات.

### النمسا تجمع متعة التزلج بالسباحة

❏ يستمتع زوار مدينة زيلامسي النمساوية المطلة على بحيرة زيل الساحرة بممارسة هوايتي التزلج على الثلوج أو السباحة في البحيرة أو مشاهدة جبال الألب للتسلق أو التجول بين الحدائق والشلالات.

وزيل هي بحيرة رائعة توجد بالقرب من منتزه إليزابيث وتوجد بها العديد من القوارب، كما يمكن اكتشاف العديد من الأشياء فيها ما يتيح للسائحين العرب أو الأجانب التمتع بجمالها الخلاب.

# أحدث صيحات المرايا: حل افتراضي مبرمج للمستخدمات

## مرآة ذكية تعكس إطلالات رقمية مناسبة لكل الأذواق

أعطى عدد من المطورين للمرايا خصائص تقنية جعلت منها مرايا ذكية تساعد مستخدميها على الظهور بإطلالات افتراضية تسهل عليهم اختياراتهم الواقعية في الملبس والاعتناء بالبشرة وما يناسبها من مساحيق، كما أنها تسهل على المرضى تقبل حيواتهم وتذكرهم بالدواء.

❏ **لندن** – طور باحثون مرآة جديدة تتمتع بذكاء ووضوح شديدين، تُخبر النساء كيف تبدو إطلالتهن، وهل هن قبيحات أم جميلات وتزودهن بنصائح وإرشادات عن منتجات تُظهرهن أكثر تألقا وجمالا.

وتوفر مرآة "هاي ميرور بلس+" لكل امرأة إطلالة رقمية ذكية، حيث تقوم بعمل مسح شامل للوجه والبشرة لتحللها وتخبر صاحبتها بصدق عن مستوى ونسبة التجاعيد والبقع الحمراء والسوداء والخطوط الدقيقة في وجهها، وتزودها بخطة علاج وعناية لبشرتها قائمة على معايير ومقاييس دقيقة تُقيّم كل جزء من بشرتها.

وتخزن المرآة أكثر من 14 ألف صورة لبشرة مستخدماتها على مدار الساعة، لتجعلهن يراقبن ما يحدث لبشرتهن من تغيرات، مع ميزة "علبة الجمال الخاصة بي" لتمكنهن من معرفة أي من منتجات العناية المناسبة تماما لبشرتهن وأي منها غير ملائمة بل تضر بشرتهن، ويتم تشفير جميع النتائج، لتتمكن المستخدمة للمرآة وحدها من الدخول عليها عبر صوتها ووجهها.

وتلتقط المرآة المزودة بكاميرا ومصباحين آل أي دي على الجانبين ونظام صوتي يتحدث مع المستخدم، صورة سيلفي للوجه من دون ماكياج، لتحللها ثم تعد تقريرا خلال 90 ثانية يتضمن كل ما تعانيه البشرة من مشاكل، ثم تُحضر لصاحبة الوجه برنامج عناية خاصا بها يتضمن منتجات توصيها بها تناسب احتياجات بشرتها.

> المرآة الذكية تلتقط صورة سيلفي للوجه من دون ماكياج، لتحللها ثم تعد تقريرا خلال 90 ثانية يتضمن كل ما تعانيه البشرة من مشاكل

وتستخدم هذه المرآة الذكية الواقع المعزز لتتيح للمستخدمة تجربة الماكياج افتراضيا، ولكي تشاهد بنفسها كيف سيبدو وجهها قبل أن تتخذ قرار وضع الماكياج على وجهها في الواقع قبيْل خروجها للعمل أو لمناسبة ما.

وبحسب الموقع الإلكتروني الخاص بالمرآة، ليس هذا فحسب، بل تُعلم المرآة المستخدمة طريقة وضع الماكياج خطوة بخطوة بما فيها المصحح "الكونتور" وطريقة رسم الحواجب بما يتناسب مع شكل وجهها.

هذا بالإضافة إلى احتوائها على إضاءة ماكياج محيطية، قائمة على 5 سيناريوهات لمختلف أشكال الإضاءة، لتمكن مستخدمتها من وضع ماكياج مثالي بدلا من الاعتماد على ضوء واحد، فمثلا يشمل إضاءة مكتب في يوم مشرق، ومركز التسوق ومطعم بإضاءة خافتة وغروب الشمس ويوم مشمس في الهواء الطلق، لإعداد كل الاحتمالات التي تُمكنها من وضع ماكياج مناسب لكل احتمال.

وتتميز المرآة أيضا بأنها جهاز لبث الفيديو والموسيقى من يوتيوب وسبوتيفاي، عبر تطبيق مصاحب يتم تحميله على جهاز مستخدماتها.

وتدعم المرآة حتى 6 أشخاص في العائلة، لكل مستخدم بروفايل خاص به منفصل عن الآخر، يتم التحكم فيه عن طريق ريموت كنترول أو بالإيماءات أو بالأوامر الصوتية، بفضل دعمها لشبكات واي فاي اللاسلكية وبلوتوث للاقتران بأجهزة ذكية أخرى.

كما صمم الباحثون مرآة ذكية موجهة خصيصا لمرضى السرطان، لا تعكس صورة الوجه إلا عند الابتسام.

وتأتي مرآة سمايل ميرور في شكل شاشة مزودة بكاميرا في الإطار، حيث يحدد برنامج التعرف على الوجوه ما إذا كان الشخص الذي ينظر إليها يبتسم أم لا، وبعد ذلك ستتحول الشاشة إلى سطح عاكس.

واستلهم المصمم بيرك إلهان فكرة المرآة بعد إجراء محادثة مع مريضة بالسرطان.

### رؤية مختلفة

ووفقا لموقع ساينس أليرت، المتخصص في الأبحاث العلمية والتكنولوجيا، قال إلهان "قالت لي المريضة إنه كان من الصعب عليها النظر في المرآة خلال الأيام الأولى بعد تشخيص حالتها، والاعتراف بإصابتها بالسرطان".

وأوضح "تعبيرات الوجه تؤثر على كيفية شعورنا، وإذا قمنا بتثبيت عضلات الوجه في وضع الابتسام، فإن أدمغتنا تعتقد أن شيئا جيدا حدث ونتيجة لذلك نشعر بالسعادة".

وأضاف إلهان أن فكرة إخبار مريض السرطان بضرورة الابتسام حساسة جدا، ولكن هناك بعض العلوم التي تدعم الفكرة وتاعد على ذلك.

ووجدت دراسة في عام 2012، أن إجبار الأشخاص على الابتسام باستخدام العيدان، يؤدي إلى انخفاض معدل ضربات القلب بعد أداء المهام المثيرة للقلق، مقارنة بالأشخاص الذين قاموا بالمهام نفسها دون ابتسامة.

ولكن إجبار مرضى السرطان على "التفكير الإيجابي"، يمكن أن يكون له تأثير مضرّ بالصحة العقلية. واقترحت محاضرة أجريت في عام 1994 أن مفهوم "التفكير الإيجابي"، يضع عبئا عاطفيا لا مبرر له على مرضى السرطان، ويمنعهم من القدرة على مواجهة الواقع والاستعداد للمستقبل.

ووجدت ورقة بحثية أخرى، عام 1997، أن إجبار المرضى على التفكير الإيجابي يمكن أن يؤدي إلى آثار سلبية، بالإضافة إلى مشاكل نفسية أخرى خاصة عند عدم تحسن حالة المريض، ما قد يدفعه إلى إلقاء اللوم على نفسه لعدم قدرته على التفكير بشكل إيجابي.

وتجدر الإشارة إلى أن إلهان يبيع مرآته الآن بكميات محدودة مقابل 2000 إلى 3000 دولار، ويأمل في خفض الأسعار وبيع كميات من هذه المرآة للمستشفيات.

وشحن مطورون يابانيون المرآة بمهام أخرى، حيث انطلقت سلسلة من متاجر للملابس الجاهزة في اليابان في استخدام مرآة ذكية وعربة متطوّرة للتسوّق، فبمجرد قيام الفرد بالوقوف أمام المرآة حاملا في يده قطعة من الملابس يحصل على مجموعة من الصور لطريقة ارتدائها، إضافة إلى اقتراحات لتنسيقها مع ملابس أخرى.

أما عربة التسوق الذكية فتعطيه معلومات بشأن المخزون المتبقي من الألبسة والقياسات التي تناسبه.

وقالت كاناي هاشيموتو، مديرة العلاقات العامة بالمتاجر، إنّها أول متجر رقمي في اليابان، متابعة "نأمل إعطاء زبائننا تجربة جديدة ومبتكرة في التسوق من خلال دمج أحدث ما توصلت إليه التقنية بالحياة الحقيقية".

وأكدت هاشيموتو أن المعلومات التي يتم توفيرها للزبون مفيدة للغاية وتساعده على اتخاذ القرار المناسب قبل الشراء.

وبحسب اورسولا جيشمان، متحدثة باسم الجمعية الألمانية لصناعة الأثاث، فإن المنازل الذكية المستقبلية لكبار السن توجد بها مرايا مزودة بشاشات تذكر بموعد تناول الدواء بمختلف أنواعه.

## عالم الهواتف

❏ كشف تقرير نشره موقع ماك رومرز المعنيّ بأخبار أبل أن هاتف آيفون إكس ذا اللون الرمادي الفضائي وبسعة 256 غيغابايت، هو الخيار الأكثر تفضيلا من قبل المستخدمين الذي قاموا بالطلب المسبق للهاتف.

ويأتي هاتف آيفون إكس بلونين وبسعتين مختلفين هما الفضي والرمادي الفضائي وبسعة إما 64 أو 256 غيغابايت.

وأظهرت إحصائية أن 39 بالمئة من الطلب المسبق على الهاتف كان لصالح النسخة الرمادية الفضائية ذات سعة 256 غيغابايت، و17 بالمئة للنسخة الفضية سعة 256 غيغابايت. أما النسخة الرمادية الفضائية ذات سعة 64 غيغابايت فبلغت نسبة الطلب عليها 30 بالمئة، وحصلت النسخة الفضية سعة 64 غيغابايت على 14 بالمئة.

وهذا يعني أن النسخة الرمادية الفضائية سعة 256 غيغابايت كانت الخيار الأكثر تفضيلاً لأكثر من ثلثي المستخدمين.

❏ قام كريستيان بيلاتيوك بتثبيت جهاز صغير على ساقه اليمنى ثم بدأ المشي. وأثناء المشي كان هذا الجهاز الذي لا يزيد وزنه عن 200 غرام يقوم بتوليد الكهرباء، وإن كانت بكميات قليلة للغاية.

ويعتبر بيلاتويك ورفاقه من الباحثين في معهد كارلسروه للتكنولوجيا في ألمانيا، جزءا من قطاع واسع من الباحثين في مختلف أنحاء العالم يحاولون إيجاد حلول لتحويل الحركة البشرية إلى طاقة.

ومن بين الأفكار المطروحة في هذا المجال إنتاج رقعة تحتوي على مكبس صغير ويتم لصقها في أي حذاء رياضي. وأثناء المشي يتم الضغط على المكبس الذي ينقل الحركة إلى مولد كهرباء متناهي الصغر لتحويلها إلى كهرباء.

ويعتقد بيلاتويك أن هذه الفكرة قابلة للتسويق ويمكن استخدامها لتوليد كهرباء لتشغيل المعدات الرياضية.

❏ يواجه أصحاب أجهزة هواتف غوغل الجديدة بيكسل 2 وبيكسل 2 إكس آل، العديد من المشكلات منذ إطلاق الهواتف في وقت سابق من هذا الشهر، حيث عانى مالكو النسخة الأكبر من الجهاز بيكسل 2 إكس آل من مشاكل في شاشة العرض واللون الأزرق والعلامات وأزرار الانتقال التي لا تظهر ضمن الشاشة، حيث تواصل الهواتف تصدر العناوين الرئيسية للأخبار ولكن ليس للأسباب التي تأمل بها غوغل.

واكتشف موقع أندرويد سنترال أن الهاتف يمكن أن يعاني من مشاكل الاحتراق، ولم تؤكد غوغل، التي فتحت تحقيقا، ما ورد في التقرير وما إذا كانت مشكلة الهاتف تتعلق فعلا باحتراق الشاشة أم أن الأمر أقل خطورة.

واشتكى بعض مستخدمي هواتف غوغل الجديدة أنهم وبعد أسبوع من الاستخدام احترقت الشاشة.

❏ أعلنت شركة أسنشيال عن خفض سعر هاتفها الذكي أسنشيال فون، الذي تم طرحه منذ شهرين، بمقدار 200 دولار أميركي؛ حيث يبلغ سعره حاليا 499 دولارا أميركيا.

ويمتاز الهاتف الذكي المطور من قبل آندي روبن، مخترع نظام الأندرويد، بالعديد من الوحدات التركيبية الإضافية وشاشة دون حواف تقريبا. وتشتمل باقة التجهيزات التقنية للهاتف الذكي على شاشة 15.7 بوصة ودون حواف تقريبا من الجوانب الثلاث، وتعمل بدقة 1312 2560x بيكسل ومزودة بزجاج الحماية غوريلا غلاس 5.

ويمتاز الهاتف الذكي بجسم مصنوع من التيتانيوم والسيراميك، مع ذاكرة وصول عشوائي سعة 4 غيغابايت وذاكرة داخلية سعة 128 غيغابايت.

بالإضافة إلى وجود كاميرا أمامية بدقة 8 ميجابيكسل مع وحدة كاميرا مزدوجة على الجانب الخلفي بدقة 13 ميغابيكسل.

## نصائح + إرشادات

### طرق زيادة منافذ التوصيل بأجهزة الماك

❏ أشارت مجلة "ماك آند آي" إلى أنه يمكن زيادة منافذ التوصيل بأجهزة الماك الجديدة عن طريق استعمال محول ميلت بورت أو قواعد الإرساء ثندربولت.

وأضافت المجلة الألمانية أنه يمكن للمستخدم كثير التنقل والترحال استعمال محولات ميلت بورت منخفضة التكلفة.

وإذا رغب المستخدم في المزيد من منافذ التوصيل فيمكنه الاعتماد على قواعد الإرساء ثندربولت 3 ذات الحجم الأكبر، والتي تتيح إمكانية توصيل الشاشات وكابل الشبكة والعديد من الأجهزة الطرفية الأخرى.

### معالجة تعذر استعمال بلاي ستيشن 4

❏ أفادت شركة سوني أنه يمكن اللجوء إلى استعمال وضع الأمان عند تعذر استعمال جهاز الألعاب بلاي ستيشن 4 الشهير.

وأوضحت الشركة اليابانية أن هذا الوضع يتيح للمستخدم العديد من الخيارات بدءا من إعادة التشغيل مرورا بتحديثات الأمان وصولا إلى إعادة التثبيت الكامل لبرمجيات جهاز الألعاب.

وأضافت سوني أنه يمكن الوصول إلى وضع الأمان من خلال الضغط على زر التشغيل لمدة 7 ثوان.

### مدلول العلامة «إيه» على بطاقات الذاكرة الخارجية

❏ ذكرت مجلة "كولورفوتو" أن بطاقات الذاكرة الخارجية تشتمل منذ فترة على علامة بها حرف "إيه" متبوعا برقم.

وأوضحت أن هذه العلامة تشير إلى الحدّ الأدنى لعدد مرات الكتابة والقراءة في الثانية الواحدة؛ فمثلا في الفئة إيه1 يكون هناك أي بي إس 500، والتي تشير إلى عدد المدخلات/والمخرجات في الثانية، في حين أن بطاقات الذاكرة من الفئة إيه 2 توفر أي أو بي إس 2000.

وتعتبر هذه المعلومات مهمة للغاية لمستخدمي الهواتف الذكية.

### خطوة قبل بيع أجهزة كمبيوتر أبل

❏ نصحت شركة أبل أصحاب أجهزة ماك بوك أو آي ماك أو أجهزة ماك ميني بضرورة تسجيل الخروج من جميع خدمات أبل الفعالة قبل بيع هذه الأجهزة أو إعطائها للآخرين.

وبالنسبة إلى المستخدم الذي يستعمل خدمة آي تيونز فإنه يتعين عليه، إلى جانب تسجيل الخروج، إزالة الكمبيوتر من قائمة الأجهزة المرخص لها، ويمكن العثور على الخيار الخاص بذلك في إعدادات الحساب بخدمة آي تيونز.

# بذل الجهد خلال التمارين الرياضية يعيد التوازن إلى الهرمونات

## رياضات قوة التحمل تعزز السعادة وتحارب مشاعر الخوف والقلق

ممارسة رياضات قوة التحمل تحفز الجسم لبذل جهد كبير يرفع مستوى التعرق والإفرازات الكيميائية. هذه الإفرازات تخلص الجسم من هرمونات التوتر والقلق والخوف والمشاعر السلبية وتعزز بدلها مشاعر الإيجابية والسعادة والمزاج الجيد. وعلاوة على الفائدة المادية للرياضة في إنقاص الوزن ولفظ السموم يحقق المتدرب بفضلها توازنا نفسيا وروحيا كبيرا.

❑ **برلين** – لا تقتصر فوائد ممارسة الرياضة على التمتع بالرّشاقة واللياقة البدنية فحسب، فهي تعدّ أيضا بمثابة دواء للنّفس والرّوح؛ حيث أنها تحارب التوتر النفسي والاكتئاب وتساعد على الشعور بالهدوء والاسترخاء.

وقال البروفيسور إنجو فروبوزه إن العديد من الدراسات أثبتت أن الرياضة تلعب دورا هاما في محاربة التوتر النفسي وبعض المشاكل النفسية الأخرى، مثل الاكتئاب وصعوبات النوم، ولكن بشرط ممارستها بالشكل الصحيح، واختيار النوع الذي يجلب سعادة للإنسان.

وأضاف الأستاذ بالجامعة الرياضية بمدينة كولن الألمانية أن المجهود الذي يتم بذله أثناء ممارسة الرياضة يعمل على إعادة التوازن إلى هرمونات التوتر مثل الكورتيزول.

من جانبها قالت طبيبة الأمراض الباطنية والطب النفسجسدي كورا فيبر إن ممارسة الرياضة لمدة 45 دقيقة بمعدل 3 مرات أسبوعيا تساعد على التخلص من الاكتئاب؛ حيث أنها تعمل على تحسين الحالة المزاجية.

وأضافت الطبيبة الألمانية أن الرياضة تساعد على التخلص من الخوف أيضا؛ حيث أن الخوف يؤدي إلى الشعور بالتوتر النفسي، والذي يتم التغلب عليه عن طريق الرياضة. ولهذا الغرض تنصح فيبر بممارسة رياضات قوة التحمل مثل المشي السريع والركض.

ومَن لا يرغب في ممارسة رياضات قوة التحمل ينصحه فروبوزه بممارسة تمارين اليوغا؛ حيث أن التركيز على عملية التنفس يتمتع بتأثير تأملي؛ إذ يتم شد وارتخاء العضلات مما يساعد على التخلص من التوتر والشعور بالراحة النفسية.

وأشار البروفيسور الألماني إلى أن ممارسة الرياضة قد تأتي بنتائج عكسية إذا ما جلبت هي نفسها توترا إضافيا، وهذا قد يحدث مثلا عندما تتمّ ممارسة الرياضة بشكل مفرط. لذا ينبغي على مَن يرغب في إحراز تقدم على المستويين النفسي والجسدي أن يختار الرياضة التي تجلب له السعادة، مع مراعاة المواظبة على ممارستها بنحو معتدل وأن يضع حافزا نصب عينيه، ولكن من دون أن يثقل كاهله.

يتم إفراز الهرمونات اللازمة لاحتياجات الجسم أثناء ممارسة التمرينات الرياضية. فيتم تنشيط الغدد لإفراز الكميات اللازمة من الهرمونات لإتمام وظائف الجسم المختلفة وهو ما يؤدي إلى انخفاض مستويات الضغط العصبي وتقوية الجهاز المناعي. ويوصي مدربو اللياقة بتخصيص فترة مناسبة لا تقل عن 20 دقيقة لممارسة التمرينات الرياضية 3 مرات أسبوعيًا.

وأثبت الباحث جورج مامن، من جامعة تورونتو الكندية، في دراسة له نشرت سنة 2013 في "ذي أميريكان جورنال أوف بريفانتيف ميدين" أنّ ممارسة التمارين الرياضية باعتدال تمنع حصول نوبات الاكتئاب على المدى الطويل. وتعتبر هذه الدراسة الأولى من نوعها لأنها تركّز على الدور الذي تؤديه الرياضة في الحفاظ على الصحة النفسية ومنع ظهور الاكتئاب في مراحل متقدّمة من الحياة.

وقد أتت هذه الدراسة في وقت كان فيه الأطباء يبحثون عن بديل للأدوية المكافحة للاكتئاب، وأثبتت أن التمارين الرياضية خير بديل لها. كما أكّدت دراسة لجامعة بيرن السويسرية صدرت في سبتمبر 2014 أنّ التمارين الرياضية لها نفس تأثير الأدوية المضادة للكآبة والمهدّئات على الكآبة نفسها. إذ اتّضح أنّ التدريبات المنتظمة وسيلة فعالة للحدّ من أعراض الاكتئاب فهي بمثابة مكمّل أو حتى بديل عن الدواء في حالة الاكتئاب.

وبحسب باحثي موقع "مايو كلينيك" تحدّ التمارين الرياضية من الكآبة

### الرياضة دواء للجسد والروح

وتمنع حصولها من خلال إفراز مواد كيميائية في الدماغ تمنح الفرد شعوراً جيّداً يحارب الاكتئاب، مثل الأندروفين، والتي تعمل كالمسكنات، مما يعني أنها تقلل من الإحساس بالألم. كما تحدّ التمارين الرياضية من المواد الكيميائية في جهاز المناعة المحفزة لحصول الكآبة. هذا فضلاً عن زيادة درجة حرارة الجسم والتي قد تكون لها آثار مهدّئة.

من جهة أخرى تعمل التمارين الرياضية على تعزيز ثقة الفرد بنفسه من خلال تحقيق أهداف التمارين والتحديات الصغيرة منها والكبيرة وتساعد الفرد على طرد القلق من ذهنه والتخلّص من همومه، فيشعر بالراحة.

ويؤكّد باحثو موقع "واب أم دي" أنّ التمارين الرياضية تخفف من الإجهاد والقلق والاكتئاب، وتعزز احترام الذات والثقة بالذات وتحسّن القدرة على النوم.

وبذلك أثبتت الدراسات الجديدة تفوّق الأنشطة الرياضية والحركية على العقاقير الدوائية في معالجة حالات الاكتئاب الشديد التي تصيب الكثير من الناس وتدوم لفترات طويلة. فقد وجد الباحثون في المركز الطبي بجامعة دوك الأميركية أن ممارسة الأنشطة الرياضية السريعة لأقل من ساعة واحدة كل أسبوع ساعدت في تخفيف أعراض الاكتئاب الرئيسي وتقليل الحاجة إلى استخدام العقاقير الدوائية المضادة للكآبة. ولاحظ هؤلاء بعد متابعة أكثر من 150 شخصا مصابين بالكآبة وشاركوا في برنامج تمرين رياضي مدته 16 أسبوعا، أن من مارسوا الرياضة أظهروا تعافيا ملحوظا من أعراض الاكتئاب تماما كمن تعاطوا الأدوية.

وأشار الخبراء إلى أن نصف ساعة فقط من النشاط الحركي لثلاث مرات أسبوعيا قد يساعد في تحسين الصحة البدنية والنفسية، مؤكدين أن ممارسة الرياضة المفضلة، وخصوصا المشي، تساعد في التخلص من الشعور بالإحباط والكسل والكآبة.

> ممارسة الرياضة لمدة 45 دقيقة بمعدل 3 مرات أسبوعيا تساعد على التخلص من الاكتئاب وتحسين الحالة المزاجية

وتأتي قوة التحمل من ممارسة تمرينات الأيروبيكس ومن كفاءة جهاز القلب والأوعية الدموية، أي قدرة القلب على ضخ الدم إلى جميع أجزاء الجسم. ورغم كون القلب عضلة إلا أنه لا يمكن إخضاعها لتدريب مباشر. ولكنها تحصل على التدريب من خلال مجموعة كبيرة من العضلات الأخرى وخاصة عضلات الساقين. ولهذا السبب تعد بعض التمارين مثل الركض السريع وركوب الدراجة والسباحة والتزلج على الماء مفيدة للغاية.

والحدّ الأدنى للياقة البدنية هو الوصول بمعدل ضربات القلب إلى مئة دقة في الدقيقة والحفاظ على هذا المعدل لمدة ثلاثين دقيقة، أما المثالي فهو محاولة رفع معدّل ضربات القلب على الأقل إلى 60 بالمئة من الحد الأقصى لمعدل النبض، وهو أعلى سرعة لخفقان القلب وهو مازال قادرًا على ضخ الدم إلى جميع أجزاء الجسم. والحد الأقصى لمعدل خفقان القلب هو 220 بعد خصم السن. فإذا كان المتدرب في الأربعين لا بد أن يكون هدفه في التدريب هو الوصول بمعدل خفقان القلب إلى 180 (220–40=180). ويتراوح "تأثير التدريب" عمومًا ما بين 72 و87 بالمئة من الحدّ الأقصى للمعدل الشخصي. والمرونة تأتي من تمارين الاستطالة. وينصح معظم الخبراء بأداء تمارين الإحماء قبل تدريبات الأيروبيكس وتمارين تبريد الجسم/الاستطالة عقبها. وترجع فائدة تمارين الإحماء إلى أنها تساعد في إرخاء العضلات وتسخينها من أجل إعدادها للتدريبات الشاقة. وتمارين تبريد الجسم تساعد في خفض مستويات حمض اللكتيك تدريجيًا ومن ثمة لا يكون هناك شعور بألم في العضلات وصعوبة في تحريكها.

أما القوة فأساسها تدريبات المقاومة الخاصة بالعضلات وتمارين تناسق الجسم والضغط وتمارين عضلات البطن وكذلك حمل الأثقال. والإصرار على تنمية القوة يعتمد بدرجة كبيرة على العمل والأداء، فإذا كانا يعتمدان على القوة البدنية أو الأنشطة الرياضية فإن زيادة القوة ستزيد من مهارة المتدرب.

# الإحباط المرتبط بالحميات الغذائية يمكن تحويله إلى محفز

❑ **واشنطن** – لتحقيق أهداف الحميات الغذائية في إنقاص الوزن يوصي خبراء التغذية والأطباء بضرورة تكرار المحاولة مرارا وتكرارا بعد كل فشل. لكن ومع كل التوصيات هناك أشخاص لا يتابعون نظامهم الغذائي الجديد ويفقدون صبرهم، سريعا، فتعود أوزانهم إلى ما كانت عليه أو قد تتفاقم أكثر. ومن أكثر الأشخاص عرضة لهذه الحالة أصحاب الشخصية المتنافسة.

نشرت شبكة سي إن إن الأميركية تقريرا أفاد أنه بحسب طب النفس يتميز أصحاب الشخصية المتنافسة والتي يطلق عليها علميا الشخصية "أ" بالتزامهم الدقيق بالوقت ودقة تنظيمهم وشخصياتهم التي تحب المنافسة واتّباع القوانين. لكن تعني تلك الصفات أن هؤلاء هم أكثر قابلية للشعور بالإحباط إذا لم يشعروا بتأثير الحميات والبرامج الرياضية التي يتّبعونها بالتزام وجديّة.

وتكمن المشكلة بأنّ برامج خسارة الوزن تفرض تعليمات موحّدة على الجميع مهما اختلفت تركيبتهم النفسية والجسدية، وتَعِد الجميع بالحصول على نتائج جيدة.

وبما أن الأشخاص من ذوي الشخصية "أ" سيتّبعون الحمية بحذافيرها وسيشعرون بالإحباط والتململ إذا لم تظهر الحمية أيّ نتائج، فإنهم قد يفقدون الأمل سريعاً دون أن يعلموا بأن الخلل هو في الحمية وليس موجودا لديهم. لكن، يمكن استغلال تلك الصفات في أصحاب الشخصيات "أ" لتحويل الإحباط المرتبط بالحميات إلى نجاح.

"الحصول على كل شيء أو لا شيء" هي طريقة التفكير الكلاسيكية للشخصيات "أ"، ففي نظرهم إما أن تكون منخرطاً بأمر ما مئة بالمئة أو لا. وإذا كنت لا تشعر بالإحباط أو فقدان الأمل ستمارس الرياضة تحت أيّ ظرف حتى في المناسبات. لكن المشكلة في تلك العقلية هي أنها تعيق صاحبها كثيراً، وتجعل إمكانية الإفراط في تناول الطعام في المرة المقبلة أكبر. لهذا يتعيّن على أصحاب تلك الشخصيات التمتع بمزيد من المرونة.

يُذكر أن تناول القليل من الطعام بشكل إضافي لن يؤذي الحمية ولا يجب أن يُشعر الشخص بفقدان الأمل أو كسر القوانين وفقاً لمبدأ "كل شيء أو لا شيء". وفي المقابل على أصحاب الشخصية المتنافسة أن يعملوا قدر المستطاع لإنجاح الحمية التي تعتبر قوانينها مجرد خطة وليست قانوناً. وينبغي ألا ينسوا أن ممارسة التمرينات إلى درجة إجهاد الجسم تماماً قد يتسبّب بالإنهاك وعدم القدرة على الاستمرار. وفي حال ممارسة تمارين رياضية قاسية ينصح الأخصائيون بممارسة التمرينات لأيام أقل أسبوعياً والاستراحة لأيام أكثر.

وقد تبدو التمارين القاسية والطويلة مخيفة أحياناً. لكن إن كان متّبع النظام الغذائي الصارم من ذوي الشخصية "أ" والتزم ببرنامج لخسارة الوزن قد تبدو له التعليمات القاسية، مهما زادت صعوبتها، بمثابة قواعد لا يمكن كسرها، ويجب اتّباعها بحذافيرها. لكن من الضروري ألا ينهك جسمه إلى درجة عدم القدرة على الإكمال لاحقاً، وعليه بأخذ أياما من الراحة. وأوضح خبراء التغذية البعض من تلك القواعد ومن بينها:

● تذكر أن تترك هامشاً من المرونة في جدول تدريباتك.

● بدلاً من القيام بتمارين قاسية كل يوم يمكنك الاستعاضة عنها بيوم من اليوغا.

● إن لم تتمكن من لعب الـ45 دقيقة من الرياضة التي حددتها لنفسك يمكنك لعب ربع ساعة من تمارين المعدة في المنزل أو في إحدى القاعات الرياضية.

● إذا كنت تتبع حمية صارمة قد تشعر بالتوتر بسبب الخروج مع الأصدقاء. فهل سيغريك الخروج مع أصدقائك لخرق قوانين الحمية؟ هل سيعلق الآخرون على عاداتك الغذائية؟ هل سيكون الطبق الذي طلبته قليل السعرات الحرارية؟ تذكّر أن الحميات يمكن أن تتأقلم مع حاجات الأفراد. مثلاً لا تذهب إلى منزل أصدقائك أو المطعم وأنت تشعر بالجوع، بل تناول جزءاً من وجبتك وفقاً للحمية، ومن ثم تناول شيئاً بسيطاً من اختيارك عندما تكون برفقة أصدقائك.

● إذا كنت ستجتمع مع أصدقائك في أحد المطاعم اختر أصنافاً تتماشى مع الأصناف التي تتماشى مع حميتك، دون التدقيق كثيراً بتفاصيل محددة مثل الصلصة المستخدمة أو طريقة طهي اللحم أو الخضار. ويمكنك طلب إزالة الصلصة إذا كانت ثقيلة أو استبدال البطاطس المقلية بالخضار أو السلطة.

يذكر أن نظرية شخصية "أ" وشخصية "ب" إحدى نظريات علم النفس التحليلي وقد ظهرت في العام 1950 وتعرَف أحياناً بـ"نظرية أندرو غولدسميث" والتي تصف نوعين مختلفين من الشخصيات: الشخصية المتنافسة "أ" والشخصية الهادئة "ب". وعلى الرغم من كل الانتقادات التي وجّهت للنظرية، فإن الكثير من الباحثين لا يزالون مستمرين في استخدام مصطلح الشخصية "أ" والشخصية "ب" لوصف الشخصيات.

نجاح الحمية يتطلب عزيمة لا تستسلم للفشل

> التعليمات القاسية الخاصة ببرنامج خسارة الوزن، مهما زادت صعوبتها، تبدو لذوي الشخصية المتنافسة قواعد لا تكسر

# نساء استثنائيات وهبن المرأة صوتا يسمع ومستقبلا يعاش

## ثلاث مسلمات أحدثن ضجة في عهد الصمت الأنثوي

ثلاث نساء لا يمكن أن يسقطن من ذاكرة التاريخ، لأنهن فتحن الطريق أمام الحركات النسوية للمطالبة بالحرية والمساواة، بأفكارهن المتحررة وبنمط حياتهن الحداثي، وساهمن في تغيير وضع النساء في مجتمعات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، في زمن لم تكن فيه المرأة قادرة على اتخاذ أيّ قرار داخل وسطها الأسري والاجتماعي.

يمينة حمدي
كاتبة من تونس مقيمة في لندن

❑ يسلط كتاب إلكتروني جديد الضوء على المراحل المختلفة لسعي المرأة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى المطالبة بالحرية والمساواة ومقارنتها بأوضاع النساء في بقية دول العالم.

وثمّن الكتاب الذي حمل عنوان "مستقبل الشرق الأوسط" الدور الكبير الذي قامت به ثلاث نساء استثنائيات تمكنّ من تغيير واقع النساء في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، في فترة كان من الصعب على المرأة أن تكون صاحبة رأي أو صانعة قرار في محيطها الأسري والاجتماعي الذي يحكمه الذكور.

وأبرز المؤلفان اللذان شاركا في تحرير فصول هذا الكتاب، وهما هيو مايلز المتخصص في شؤون الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وألاستير نيوتن المحلل السياسي للقضايا العالمية، كيف ساهمت ثلاث نساء في تغيير النظرة الذكورية للمرأة وفتح المجال أمامها للمطالبة بالحرية والمساواة.

### مواطنة من الدرجة الثانية

لم تكن المرأة الغربية خلال القرن التاسع عشر أفضل حالا من نظيرتها العربية، بل كانت تعامل على أنها مواطنة من الدرجة الثانية، وتخضع في الغالب للوصاية الذكورية، باستثناء عدد قليل من نساء النخبة اللائي كن يتمتعن ببعض الحقوق الأساسية، ولكن ذلك لم يحل دون تنامي الوعي النسوي بضرورة المطالبة بحقوقهن وتحسين أوضاعهن، وهكذا بدأت الحركات النسوية في التشكل والظهور.

تزامنت الحركات النسوية في أوروبا مع اندلاع الانتفاضات الشعبية المطالبة بحق التصويت والمشاركة في الحكومات، وقد أدت في العام 1848 إلى اندلاع سلسلة من الثورات الجمهورية، التي هزت جميع المملكات الأوروبية.

وعلى الرغم من انتهاء أغلب تلك الثورات بالفشل، نظرا لعدم إحداثها تغييرات هيكلية، فإنها قد ساهمت في تشكيل وعي مجتمعي جديد، وهيأت الأجواء لانعتاق المرأة وتحررها تدريجيا، وعندما صيغت الدساتير في وقت لاحق، ضغطت النساء لإدراج مفهوم المواطنة والحق في التصويت.

وشهدت الولايات المتحدة الأميركية حركات نسوية مماثلة، كان الهدف منها الضغط من أجل تحقيق "التساوي في المواطنة" وعدم التمييز في الأجور بين الجنسين، وفي العام 1848 انعقد مؤتمر سنيكا فولز، الذي أضفى إلى صياغة مسودة "إعلان المبادئ" للتصدي في وجه التحقير السياسي والاقتصادي والاجتماعي للنساء، وقد نجحت هذه الحملة في إحداث التعديل التاسع عشر في عام 1920 والذي أقر الحق القانوني للمرأة الأميركية بالتصويت في كامل الولايات.

وأحدث إصدار تشارلز داروين لكتابه "أصل الأنواع عام 1859، رجة في جميع أنحاء العالم بتقويضه المعتقدات الدينية التي كانت سائدة وتقليله من شأن المؤسسات الدينية التي كانت تتحكم بشكل مطلق في حياة الناس.

وكان هذا الكتاب بمثابة الرياح التي نفخت أشرعة المثقفين العلمانيين، ممن كان لهم اعتراض على الأنظمة الدينية المسيّرة لحياة الناس في تلك الفترة.

وأثرت مختلف هذه الأحداث بشكل طبيعي على منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وخاصة في ظل التدهور الذي شهدته الإمبراطورية العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وساهمت الأوضاع المتردية في تحفيز العلماء والمفكرين على البحث في الأسباب التي أدّت إلى ركود مجتمعاتهم في الوقت الذي كان فيه الغرب يشهد تقدما تكنولوجيا كبيرا ونموا اقتصاديا، ومن أبرزهم الإصلاحي المصري قاسم أمين الذي نادى بتحرير المرأة وذاعت شهرته عالميا.

### بصمات أنثوية خفية

برزت خلال القرن التاسع عشر ثلاث نساء سبقن عصرهن بمراحل طويلة، وهن لطيفة أوشاكي زوجة مصطفى كمال أتاتورك قائد الحركة التركية الوطنية التي حدثت في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وثريا طرزي زوجة أمان الله خان الذي أصبح أمير أفغانستان عام 1919 قبل أن يحوّلها إلى ملكية في عام 1926، ونيمتاج أريملو الملقبة بـ"تاج الملوك" زوجة شاه إيران الأسبق رضا بهلوي.

لم تكن لهؤلاء النساء إنجازات مادية على أرض الواقع، رغم أن لطيفة تنحدر من عائلة غنية ومشهورة في تركيا، ودرست السياسة والحقوق في جامعة السوربون بباريس، وثريا كانت تجيد التحدث بعدة لغات، بالإضافة إلى حصولها على شهادة فخرية من جامعة أكسفورد، ولكن شخصياتهن أثارت الجدل، وشكلت قوى دفع حقيقية نحو التغيير، فقد كنّ إلى جانب أزواجهن في المراحل الحاسمة على مستوى اتخاذ القرارات السياسية، وقيادة حركات التحديث في مجتمعاتهن.

ومثّل أسلوب حياتهن ولباسهن كسرا غير مسبوق لحاجز المحرَّمات وللقيود الصارمة المفروضة على المرأة في ذلك الوقت، فقد كنّ يرتدين الملابس الغربية بدلا من الحجاب، ويظهرن مع أزواجهن في الاحتفالات الرسمية ويصافحن الرجال، ويتحدَّثن عن حقوق المرأة في المناسبات العامة، ولا يكترثن بقواعد الفصل بين الجنسين التي كانت إلزامية في تلك الحقبة.

وكان مسار حياة الثلاثي مثالا لثورة على السلطة الذكورية المقصية للنساء، وتمردا على واقع القهر واللامساواة بين الجنسين، وكانت لهن أدوار ريادية وهبت بنات جنسهن طاقة من نور، انفتحن من خلالها على عالم من الممكن أن تكون فيه المرأة مواطنة من الدرجة الأولى.

ونجحت النساء الثلاث جزئيا في تغيير النمط الاجتماعي التقليدي السائد في بلدانهن، ففي عام 1929، أدخل أمان الله خان ملك أفغانستان إصلاحات سياسية وتحرّرية، وكرّس قوانين تتعلق بإصلاح التعليم والمجتمع والمساواة في الحقوق بين النساء والرجال، وفي تركيا حرص مصطفى كمال أتاتورك على بناء دولة تأخذ من الأنظمة الغربية شكلها ومضمونها، وأدخل الكثير من القوانين العلمانية التي تساوي بين المرأة والرجل في شؤون الزواج والطلاق والميراث، كما سمح بتبني الأطفال وألغى تعدّد الزوجات، وحظر ارتداء الحجاب ومنح النساء حق الاقتراع عام 1930. أما في إيران، فقد خطا الشاه رضا بهلوي خطوات كبيرة في مجال تحسين أوضاع النساء، حيث أمر في عام 1933 المؤسسات التعليمية وخاصة جامعة طهران بقبول الطلبة من الفتيات، وفي عام 1934 حظر ارتداء الحجاب، غير أن هذه الإصلاحات واجهت ردود فعل عنيفة من قبل رجال الدين المحافظين الذين عارضوها بشدة وثاروا ضدها، بتعلّة أنها تشكل خطرا على الإسلام والمجتمع.

لكن من المؤسف أن مصير النساء الثلاث كان مخيبا للآمال، رغم ما بذلنه من جهود جبارة ليهبن بنات جنسهن صوتا يسمع ومستقبلا يعاش وليقضين على أوجه التخلف في مجتمعاتهن.

ففي عام 1929 شكل رجال الدين المتشددين جبهة قوية ضد أمان الله خان مدعين أنه ينتهك الأعراف الدينية ويعتدي على تقاليد الشعب الأفغاني، الأمر الذي أدى إلى قيام ثورة شعبية انتهت بالإطاحة بالملك الإصلاحي، وبالتالي انهيار مشروعه التحديثي، وتوفيت الملكة ثريا في المنفى في العام 1968، ولكنّ ذلك لم يمنع بروز بعض البوادر الإصلاحية الجديدة في المجتمع الأفغاني، إلا أن ظهور الحركة الإسلامية الدينية المعروفة باسم طالبان التي نشأت في ولاية قندهار الواقعة جنوب غرب أفغانستان على الحدود مع باكستان في عام 1994، أعادت أفغانستان إلى عصور مظلمة بعد أن قيدت المرأة وعاملتها بطريقة مهينة، وأنهت أيّ أمل في إجراء إصلاحات سياسية واجتماعية، فارضة قوانين إسلامية متشددة حتى انهيارها عام 2003، ليعود الأمل وإن كان ضئيلا بحكم تركيبة المجتمع الأفغاني المحافظ، في استعادة شيء من حقوق المرأة المهدورة.

### مصير مخيب للآمال

فيما غادرت الملكة ثريا أفغانستان بسيطة إلى أن توفيت في ظروف غامضة في العام 1975.

وتعتبر الإصلاحات التي قام بها أتاتورك في تركيا الأكثر استدامة بالمقارنة مع ما حصل في إيران وأفغانستان، ورغم محاولة حكومة رجب طيب أردوغان إحياء بعض التقاليد المحافظة المقيدة لحرية المرأة، إلا أن النساء في أنقرة مازلن يتمتعن بحقوق أكبر بكثير من تلك التي تتمتع بها نظيراتهن في بعض الدول الإسلامية الأخرى، فعلى مدى عقود طويلة كان يحق للمرأة التركية التصويت في الانتخابات والحصول على التعليم والحق في الطلاق والحق في الإجهاض، ولكن وفقا للمعايير الحالية للاتحاد الأوروبي، لا يزال أمام أنقرة طريق طويل في مجال حقوق المرأة.

ولئن كانت المرأة التركية بشكل عام، لم تحصل بعد على حقوقها كاملة فإنها في بعض الدول العربية ربما تحتاج إلى عقود طويلة من النضال، كي تحقق ما يصفه البعض بـ"تمكين المرأة"، وهو المصطلح الذي يمثل المظلة الأوسع للتعبير عن طموحات النساء في مشاركة فاعلة في قضاياهن.

ويعكس تدني مشاركة المرأة العربية في سوق العمل وتباينها بين دولة أخرى تشابك الجوانب التشريعية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي تحدد أين وماذا ومتى يمكن للنساء العمل. وتؤدي مختلف هذه الضغوط إلى جعل المرأة عرضة على الأرجح لأن تبقى عاطلة عن العمل، رغم أن المرأة التي يتاح لها الحصول على وظيفة أو الدخول في حقل السياسة تستغل قدرتها على دعم السياسات الخاصة بتطوير أسرتها وتنمية مجتمعها.

وتشير بيانات المنظمة العالمية للعمل إلى أن مساهمة المرأة في سوق العمل في الدول العربية هي الأدنى في العالم، إذ لا تتجاوز 23 بالمئة مقارنة بـ60 بالمئة تقريبا في الدول الأوروبية.

وحين تفقد المرأة فرصة العمل فإن الفقر والتخلف سينتشران في مجتمعها، لأن العمل هو الذي يفتح أمامها أبواب الاستقلال الاقتصادي والاعتماد على النفس، ويتيح لها الفرصة للإنفاق على نفسها وعلى أسرتها، والمساهمة في تحريك عجلة التنمية في بلادها.

الإيرانية أسيرة بين عمامتين

التركية متمسكة بإنجازات أتاتورك

ثريا طرزي زوجة أمان الله خان عكست مسار النمط الاجتماعي التقليدي لأفغانستان

تاج الملوك زوجة الشاه رضا بهلوي فتحت الطريق للإيرانيات للمطالبة بالمساواة

لطيفة أوشاكي زوجة مصطفى كمال أتاتورك غيرت وجه الجمهورية التركية

# تحسن العلاقة الزوجية مرتبط بتحسن صحة القلب

## التوتر الناجم عن المشاكل الزوجية أحد أسباب اعتلال صحة الرجال

أكدت الكثير من الدراسات العلمية على أن الزواج جيد للصحة بشكل عام وأنه يزيد من فرص النجاة في حال معاناة الأفراد من الأسباب التي قد تؤدي إلى إصابتهم بأمراض القلب مثل ارتفاع نسبة الكولسترول في الدم، وفي مقابلٍ ذلك تترك العلاقات الزوجية المتوترة آثارا سلبية على صحة الإنسان أكثر من أيّ علاقة أخرى.

الحالة الزوجية تؤثر على الحالة الصحية

❑ **لندن** – وجدت دراسة بريطانية حديثة أن الرجال المتزوجين الذين يطرأ تحسّن على علاقاتهم بزوجاتهم على مر السنين قد يرون أيضا تغيرا إيجابيا في حالتهم الصحية من شأنه أن يقلل خطر الإصابة بأمراض القلب.

وفحص الباحثون بيانات 620 زوجا لمعرفة رأيهم في علاقتهم بأطفالهم وهم في الثالثة من العمر تقريبا ثم معرفة رأيهم عندما بلغ الأبناء سن التاسعة. وقيّم فريق الدراسة أيضا عوامل الخطر التي قد تؤدي لأمراض القلب كضغط الدم والكولسترول والوزن ومستوى السكر في الدم.

وقال إيان بينيت-بريتون من جامعة بريستول الذي قاد الدراسة "وجدنا تغيرا ضئيلا في عوامل الخطر بالنسبة إلى القلب والأوعية الدموية عند من كانت علاقاتهم جيدة أو سيئة بشكل ثابت".

ووجدت الدراسة ارتباطا بين التحولات في مستوى العلاقة الزوجية والتغيرات في صحة القلب. وقال بينيت-بريتون "وجدنا صلة بين تحسن العلاقات وبين تراجع مستويات البروتين الدهني منخفض الكثافة (الكولسترول الضار) وانخفاض الوزن نسبيا مقارنة بمن ينعمون بعلاقات جيدة على الدوام.. وتدهور العلاقات مرتبط من جهة أخرى بسوء حالة ضغط الدم".

> المتزوجون ربما يكونون بصحة أفضل من العزاب أو المطلقين أو الأرامل وذلك بفضل العلاقة الزوجية نفسها، أو عوامل أخرى مثل ارتفاع دخل الأسرة

وشارك جميع الرجال الذين خضعوا للبحث في دراسة عن الآباء والأبناء بدأت عام 1991. وقيّم الباحثون ضغط دم الآباء ومعدل نبضات القلب وكذلك الوزن والكولسترول ومستويات السكر في الدم بين عامي 2011 و2013 عندما أصبح أبناؤهم في التاسعة عشرة تقريبا.

وقال الباحثون في دورية علم الأوبئة وصحة المجتمع إن رصد التغير في عوامل الخطر قد يستغرق وقتا طويلا وإن التغيرات التي رصدتها الدراسة كانت محدودة. كما ربطت الدراسة بين تحسّن العلاقات الزوجية وانخفاض الوزن. أما العلاقات المتدهورة فقد ارتبطت بسوء حالة ضغط الدم. وقال برايان تشين الباحث في علم النفس بجامعة كارنيغي ميلون في بيتسبرغ والذي لم يشارك في الدراسة إن نتائجها تزيد من الدلائل على أن الحالة الزوجية يمكن أن تؤثر على الحالة الصحية.

إلا أن الحقيقة التي يتفق عليها الخبراء في مجال العلاقات الزوجية، هي أنه مثلما يكون الزواج شركة بين زوجين فإن السعادة أيضاً تعتبر شركة بين الاثنين، فكل واحد يلعب الدور الخاص به في إسعاد الآخر، والنتيجة الحتمية ستكون زواجاً سعيداً، وبالتالي حياة مريحة بعيدة عن التوتر والمشاكل. وتوصلت الدراسة إلى أن الزواج المضطرب المليء بحالات التوتر والنكد قد يزيد من مخاطر الإصابة بالأزمات القلبية، خاصة لدى الرجال.

وكشفت أن التوتر من الأعراض الشائعة التي تتسبب في اعتلال القلب، خاصة عند الرجال، حيث إن التوتر يزيد من معدل إفراز هرمون الكورتيزول الذي بدوره يزيد مستوى الكولسترول الضار في الدم، مما يؤثر بشكل خطير على صحة القلب.

وأثبتت الدراسة أن التوتر الناجم عن المشاكل الزوجية أو الزواج التعيس بشكل عام، هو أحد الأسباب الرئيسية للإصابة بالأمراض المرتبطة بالقلب، خاصة بالنسبة إلى الرجال فوق سن الستين.

وخلصت إلى أن النكد الزوجي يزيد من مخاطر الإصابة بأزمات قلبية مفاجئة، والتي بدورها قد تكون مميتة في بعض الأحيان.

وكشفت الدراسة أن المتزوجين ربما يكونون بصحة أفضل من العزاب أو المطلقين أو الأرامل. ويعود الفضل في ذلك إلى العلاقة الزوجية نفسها، أو عوامل أخرى مثل ارتفاع دخل الأسرة أو وجود تأمين طبي أفضل أو سهولة الحصول على الرعاية، كما أشارت الدراسة إلى فائدة أخرى محتملة للزواج وهي الحدّ من التوتر.

وفحص الباحثون مستويات هرمون يعرف باسم كورتيزول يفرزه الجسم عند التوتر، وشارك فيها 572 رجلا وامرأة من الأصحاء الذين تتراوح أعمارهم بين 21 و55 عاما. وقال تشين إن النتائج التي توصلوا إليها "تقدم رؤية جديدة ومهمة وأولية للطريقة التي تؤثر فيها علاقاتنا الحميمة على الصحة الجسدية".

وأوضح أن الدراسة لم تتوصل إلى كيفية حدوث ذلك بدقة "لكن بإمكاننا التوصل لبعض التخمينات المدروسة استنادا إلى أبحاث سابقة"، مبينا أن الزواج قد يساعد في تحفيز المرء للالتزام بأسلوب حياة صحي، أو تفادي سلوكيات قد تؤدي إلى الإصابة بالأمراض مثل التدخين أو شرب الخمر.

وأشار الباحثون إلى أن مستويات الكورتيزول تصل في العادة إلى ذروتها عندما نستيقظ ثم تنحسر خلال اليوم، وأضافوا أن مستويات الهرمون كانت تنخفض بوتيرة أسرع لدى المتزوجين وهو ما يؤدي إلى فوائد صحية من بينها الحد من خطر الإصابة بأمراض القلب وإطالة العمر بين مرضى السرطان.

ويعود السبب في انخفاض مستويات الكورتيزول في أجسام المتزوجين وتراجعها بسرعة أكبر خلال اليوم، بحسب ما ذكرته الدراسة، إلى كون المتزوجين أكثر رضا عن علاقاتهم ولا يشعرون بالتوتر المرتبط بكون المرء في علاقة عاطفية سيئة أو غير متزوج.

وكشفت الدراسة أن نمط الحياة الصحي قد يتمثل في اعتماد أحد الزوجين على الآخر لتذكيره بمواعيد الدواء ومساعدته عموما في التعامل مع المرض.

وأوضح بول كارتر، المؤلف الرئيس للدراسة من جامعة أستون في برمنغهام، قائلا "من المرجّح أن يقدم وجود الزوجين في المنزل الدعم العاطفي والجسدي على عدد من المستويات".

وحلل الباحثون بيانات المرضى الذين دخلوا المستشفى في إنكلترا بين عامي 2000 و2013، وكان المشاركون في الدراسة إما يعانون من نوبة قلبية أو لديهم عوامل خطر الإصابة بأمراض القلب. وكانت فرص المتزوجين في البقاء على قيد الحياة أعلى منها لدى العزاب عند الإصابة بأمراض مختلفة.

ويرى كارتر أن "طبيعة العلاقة الزوجية مهمة، وهناك الكثير من الأدلة على أن أحداث الحياة المجهدة، مثل الطلاق، ترتبط بأمراض القلب، فقد وجدنا أن معدلات البقاء على قيد الحياة للمرضى المطلّقين الذين يعانون من ارتفاع ضغط الدم أو نوبة قلبية سابقة كانت أقل من المرضى المتزوجين الذين يعانون من نفس الحالة".

وأفادت نتائج الدراسة أن الزواج هو أحد الطرق التي تمكّن المرضى من الحصول على الدعم، للسيطرة بنجاح على عوامل الخطر الخاصة بهم لأمراض القلب، والبقاء على قيد الحياة في نهاية المطاف.

وقال الباحثون إنّ دراستهم بيّنت أن الزوج المحب قد يجبر زوجه على العناية بنفسه بشكل أفضل، وخلصوا إلى أن النساء والرجال في الخمسينات والستينات والسبعينات من أعمارهم والمصابين بارتفاع نسبة الكولسترول في الدم لهم فرصة البقاء على قيد الحياة تزيد بنسبة 16 بالمئة عند نهاية الدراسة التي استغرقت 14 سنة لو كانوا متزوجين.

وينطبق الشيء ذاته على المصابين بداء السكري وارتفاع ضغط الدم، إذ أظهرت الدراسة أن المتزوّجين لهم فرص أفضل في البقاء على قيد الحياة من العازبين.

ولم يتطرق الباحثون إلى ما إذا كانت زيجات المتزوجين سعيدة أم لا، ويقولون إنهم يعتقدون بأن المهم هو وجود شخص خاص ومتميز في حياة الفرد. كما تبدو الصورة أقل وضوحا بالنسبة إلى الأشخاص الذين يقيمون مع بعضهم دون زواج والمنفصلين والمطلقين والأرامل.

## طبق اليوم

### ثمار البحر المقلية

* **المقادير:**

- نصف كيلوغرام من الروبيان متوسّط الحجم، مُقشر ومُنظف.
- نصف كيلوغرام من الكلمار مُنظّف ومُجفّف.
- فصّان من الثوم المهروس للتتبيلة.
- ملعقة صغيرة بابريكا للتتبيلة.
- نصف ملعقة صغيرة من الكمون للتتبيلة.
- نصف ملعقة صغيرة كزبرة يابسة للتتبيلة.
- 3 ملاعق كبيرة عصير الليمون للتتبيلة.
- ملعقة صغيرة ملح.
- ربع ملعقة صغيرة فلفل أسود.
- نصف كوب دقيق للقلي.
- 2 حبات بيض كبيرة الحجم مخفوقة للقلي.
- كوب بقسماط للقلي.
- الزيت للقلي.

* **طريقة الإعداد:**

- يمزج الروبيان والكلمار في وعاء عميق، مع التتبيلة المكونة من الثوم والبابريكا والكمّون والكزبرة والملح والفلفل وعصير الليمون.
- يُترك الروبيان والكلمار، مع التتبيلة، جانبا لمدة نصف الساعة.
- يفرغ الدقيق في طبق، والبقسماط في طبق آخر.
- تغمّس كلّ حبة من الكلمار والروبيان في البيض ثم الدقيق، وتُقلى مباشرة في زيت ساخن حتى تصبح ذهبية اللون.
- تقدم ثمار البحر المقلية مع الصلصة.

## موضة

### عرض أزياء للموضة المحتشمة في لندن

❑ عرضت سبع مصممات مجموعاتهن في لندن ضمن عرض أزياء خصص للموضة المحتشمة، قال المنظمون إنه يهدف إلى إضفاء البهجة بما لا يتعارض مع ارتداء الحجاب. المصممات السبع من عمان والمغرب وبريطانيا وإندونيسيا. ووضعت هذه التصميمات للنساء الراغبات في ارتداء أزياء عصرية مع ستر أجسادهن.

وقالت المصممة المغربية مريم بوسيكوك "هذه المجموعة التي قدمتها في عرض الموضة المحتشمة هي مجموعة من القفاطين المغربية التي تواكب الموضة وتواكب العصر والاتجاهات الحديثة.. فاشتغلت على أقمشة شفافة بتطريز يدوي".

سلطت الأضواء في العرض على الأميركية حليمة عدن وهي أول عارضة أزياء ترتدي حجابا على الممشى في أسابيع الموضة في نيويورك وميلانو.

وتصدرت اللاجئة السابقة عناوين الصحف باعتبارها أول متسابقة ترتدي الحجاب والبوركيني الرياضي وتشارك في مسابقة ملكة جمال مينيسوتا بالولايات المتحدة الأميركية. ونجحت هذه الخطوة الجريئة في نقل مسيرتها المهنية إلى آفاق جديدة.

وقالت المصممة أمل الرئيسي من عمان إن العرض أتاح فرصة للمصممين العرب لترك بصماتهم على الصعيد العالمي إذ أن الموضة المحتشمة تشهد رواجا عالميا.

# حب التملك بين الفطرة والممارسة

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❑ التملّك من السمات التي طبعت القوانين الاجتماعية والأعراف الشعبية وخاصة في المجتمعات التي تطغى فيها النزعة الذكورية ويسود فيها معنى "القوامة"، ذلك أن الرجل مسكون بغريزة حبّ التملك لكلّ شيء بمن في ذلك المرأة، سواء كانت أمّا أو زوجة أو ابنة أو حتى زميلة في العمل أو صديقة، والتي من المفروض أن تكون شريكة فاعلة في الحياة الأسرية والاجتماعية عموما، لا مملوكة وفاقدة للحرية ومكبّلة عن كل محاولة للفعل الواعي والمثمر، وإن حدث وفعلت فلن يتمّ ذلك إلا تحت الوصاية الذكورية.

ولكنّ المنطق والممارسة والتجربة، كلها أمور تشرعن طرح السؤال التالي: هل حبّ التملك حكر على الرجل دون المرأة أو أنها أيضا مهووسة بحب السيطرة والأنانية، خاصة في ظل ما تمتّعت به من حرية ومساواة اجتماعية؟

منطقيا حب التملك شعور إنساني جامع لا يختص به الرجل دون المرأة ولكنّ التراكمات الاجتماعية عبر العصور أسندت للرجل –موضوعيا بحكم بنيته الجسدية– واجب الحماية والقوامة، فتحولت المجتمعات تلقائيا إلى تغليب الذكورة وإعلاء شأن الرجل الذي تبوأ بل استأثر بكل أنواع القيادة النفسية والمادية والذهنية.

ولكن أمام التطور الفكري والعلمي والتقني والحضاري عموما ترهّل مصطلح القوامة والقدرة لدى الرجل حين اكتسحت المرأة جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية وأصبحت مساهمة فاعلة في دورة الإنتاج وصنع الثروة والتصرّف فيها. هذا الوضع لم يفقد الرجل سطوته وعشقه لمفهوم "السيّد" بل سعى إلى تجاوز الوضع الموضوعي ليمارس عنفا نفسيا وجسديا ليبرهن للمرأة أنها ملك له ولا يمكن أن تكون ندّا.

المرأة بدورها سعت إلى بسط سطوتها وتجسيد سيطرتها على العائلة وعلى رأسها الرجل، لشعورها بأنها ندّ موضوعي لا يقل أهمية عن الرجل. هذا الشعور راكمته وسائل الإعلام التقليدية والحديثة وبالخصوص وسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت صوت من لا صوت لها، تسمح بالتفاعل في الاتجاهين الإيجابي والسلبي معا.

ولكن المرأة –دون تعميم طبعا– لم تحسن استيعاب الحقوق التي ناضلت من أجلها وتحصلت عليها في ظل التطور الطبيعي للمجتمعات، ولم تقدم لها هدية. فسعت دون وعي حقيقي بمفهوم المساواة التي تعني أساسا التشارك الفاعل والمثمر، إلى قلب المعادلة من مضطهدة إلى مسيطرة، وقد مكنتها طبيعة التركيبة الأسرية الحديثة التي تجاوزت ثباتها واستقرارها لتعيش حركية دائمة ومتجددة، من أخذ زمام المبادرة بل افتكاكها من الرجل لتمارس بدورها التسلّط بمفهومه المادي والمعنوي والنفسي خاصة، فتتملكها طبيعة حب التملك.

هذه المعطيات في الاتجاهين الذكوري والأنثوي ساهمت بكل تأكيد في احتدام الصراع المعلن أحيانا والمتخفي أحيانا أخرى، فعند اقتناع الجنسين بضرورة التسلط وبسط الهيمنة المادية والنفسية فلا مجال للتنازل وإرخاء الحبل لتستمر الحياة بتحمّل أحد الطرفين تبعات التملّك، ينشب الخلاف ويحتدّ فيذكي ظاهرة العنف الذي تتصاعد وتيرته شيئا فشيئا، فالعنف اللفظي أصبح أمرا مألوفا في عائلاتنا حتى غدا سمة تسم العلاقات الأسرية في الاتجاهين الأفقي والعمودي، والأدهى والأمرّ أن الأبناء بدورهم تطبّعوا بهذه الطباع سواء في ما بينهم أو في علاقاتهم بالوالدين وأفراد العائلة الموسعة، وقد كان لذلك تبعات حتى في الوسط المدرسي الذي لم يسلم بدوره من هذا العنف رغم طابعه التعليمي والتربوي والتثقيفي.

تطالعنا مواضيع العنف المادي؛ الأسري والاجتماعي والمدرسي على أعمدة الصحف المكتوبة والإلكترونية وفي مواقع التواصل الاجتماعي وعلى شاشات التلفزيون في شكل برامج حوارية يُستدعى فيها ضحايا العنف ومرتكبوه معا.

فالعنف –تحت ضغط غرائز التملّك– لم يعد ممارسات استثنائية بل ظاهرة لافتة للنظر تسببت في انهيار العلاقات داخل الأسر وفي المجتمع، فارتفعت نسب الطلاق مثلا إلى حدود مخيفة والتي يكون ضحيتها الأبناء أساسا.

وإذا سلمنا جدلا بأن حبّ التملك من الغرائز الفطرية في الإنسان فهذا لا يعني أن ينقلب الأمر إلى أنانية وحبّ للذات قد يصير مع الوقت مرضا لا شفاء منه.

على الرجل كما على المرأة أن يتجاوزا الأنانية والانتهازية وذلك بوعيهما بإنسانيتهما دون اعتبار للجنس وفوارقه الجسدية والذهنية والتي أثبتت التجارب العلمية زيفها. عليهما أن يعتبرا أن الحياة التي تجمعهما تحت سقف واحد ليست حلبة للصراع أو السيطرة أو العنف بل هي ساحة تشارك فعلي في صياغة طبيعة التعايش السلمي مع الحفاظ طبعا على الفوارق والاختلافات في بنية التفكير والمرجعيات.

من واجب الأسرة الأوكد أن تعلم أبناءها لغة الحوار البناء والمثمر، ونبذ كل أشكال العنف، والاعتراف بالاختلاف بين أفراد الأسرة دون سعي إلى محو شخصية أحد ما بفعل ممارسة التسلط عليه تحت أيّ مبرر. بهذا المفهوم التشاركي للعيش الأسري والاجتماعي يصبح مفهوم "حبّ التملك" لا معنى له.

# الأندية التونسية تحول أحلامها القارية إلى كابوس مزعج

## منتخب نسور قرطاج يخشى هبوط المعنويات قبل التحليق نحو روسيا

عاشت كرة القدم التونسية على وقع سقوط مذل في الأيام القليلة الماضية على المستوى القاري، فبعد خروج الترجي والصفاقسي من مسابقتي دوري الأبطال وكأس الاتحاد الأفريقيين، التحق بركب الفاشلين كلّ من النجم الساحلي بعد كبوة مدوية أمام الأهلي المصري، في حين غادر الأفريقي على يد فريق مغمور على المستوى القاري.

حارس النجم ومنتخب تونس خارج الخدمة في دوري الأبطال

مراد بالحاج عمارة
صحافي تونسي

**❑ تونس** – **اغتيلت أحلام الأندية التونسية في استعادة توهجها القاري في ظرف وجيز وتحولت كل الأماني إلى كابوس مزعج لا سيما بعد السقوط المدوي للنجم الساحلي والأفريقي في مسابقتي دوري أبطال أفريقيا وكأس الكونفيدرالية، في ليلة حزينة وقاسية على عشاق كرة القدم في البلاد. وتضاعفت آمال التونسيين في استعادة الزعامة القارية بعد نجاح أنديتها الأربعة الكبرى الترجي والنجم والصفاقسي والأفريقي في تجاوز دور المجموعات ببطولتي دوري الأبطال وكأس الكونفيدرالية.**

ولم تكتف الفرق الأربعة بالتأهل لدور الثمانية وحسب بل احتل كل فريق صدارة مجموعته. وعبر الاتحاد التونسي للعبة وقتها عن فخره بالإنجاز التاريخي للأندية الأربعة، واحتفى بها في حفل تكريم متمنيا تأكيد الزعامة القارية بعدما أصبحت تونس البلد الوحيد الذي نجح كل ممثليه في بلوغ دور الثمانية. لكن مع انطلاق الأدوار الإقصائية بدأت الآمال تتراجع بعد خروج الترجي أكثر الأندية المرشحة للمنافسة بجدية على اللقب من دور الثمانية بدوري أبطال أفريقيا، وتوقفت مسيرة الصفاقسي صاحب الرقم القياسي في عدد مرات التتويج باللقب عند باب دور الثمانية بالكونفيدرالية.

وكان الترجي الذي وضع على رأس أولوياته التتويج بدوري أبطال أفريقيا وعزز صفوفه بلاعبين دوليين تعادل خارج ملعبه أمام الأهلي المصري 2-2 في جولة الذهاب بدور الثمانية لأهم مسابقات الأندية القارية قبل أن ينهار على أرضه 2-1 وتذهب أحلامه أدراج الرياح وسط غضب جماهيره. ولم يكن حال الصفاقسي أفضل بعد إخفاقه في تخطي عقبة الفتح الرباطي المغربي عندما خسر أمامه بركلات الترجيح، بعد أن فاز كل منهما على أرضه بهدف دون رد، ليودّع ثاني أبرز بطولة للأندية في أفريقيا.

وبعد الخيبة التي رافقت إخفاق الترجي والصفاقسي علق الشارع الرياضي التونسي آماله على النجم والأفريقي في قيادة قاطرة الكرة التونسية نحو القمة القارية. وزادت جرعة التفاؤل بعد فوز النجم الساحلي 2-1 على الأهلي المصري وعودة الأفريقي بتعادل ثمين 1-1 من خارج ملعبه أمام سوبر سبورت يونايتد من جنوب أفريقيا في ذهاب نصف النهائي في البطولتين، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن وزاد خروج الفريقين الطين بلة وأشعل غضب الجماهير التونسية.

### حلم وكابوس

كل شيء انهار دفعة واحدة وتحول الحلم إلى كابوس في ليلة مظلمة عاشتها الكرة التونسية بعد السقوط الحر للفريقين. وفي ملعب برج العرب على مشارف مدينة الإسكندرية الساحلية تاه النجم الساحلي وانهار بشكل درامي أمام مضيفه الأهلي المصري لتهتز شباكه 6 مرات ويخسر 6-2. ولم يكن أكثر المتشائمين يتوقع الخسارة المذلة للفريق الذي نجح قبل عشرة أعوام في انتزاع اللقب الوحيد لأغلى مسابقات الأندية القارية على أرض مصر، وانهياره دون مقاومة ليتكبد الهزيمة الأسوأ في تاريخه.

وبدا أن أحدا لم يفهم ما حصل، وقال رضا شرف الدين رئيس النجم الساحلي "لا أجد أي تبرير لما حصل.. أنا عن نفسي كرئيس للنادي عملت على توفير كل سبل النجاح للفريق". وعبّر عن شعوره بخيبة أمل ومرارة كبيرة، متابعا "بهذه المناسبة أريد أن أعتذر لجماهير النجم وجماهير كرة القدم التونسية عموما، لأننا لم نعرف كيف ندخل في قلوبهم الفرحة.. وهو ما أثّر في نفسي كثيرا".

وأضاف "سنترك الأمور تهدأ ومن ثم سوف نقيّم تقييما دقيقا ما حصل وسيحاسب كل طرف على مسؤوليته، لأنني لا أفهم هل نفخنا أكثر من اللزوم في صورة لاعبينا أم أن هناك أشياء أخرى تبرّر ما وصلنا إليه؟".

وخرجت جماهير الأفريقي تجر أذيال الخيبة بعد سقوط فريقها بثلاثة أهداف لهدف أمام سوبر سبورت يونايتد في إياب قبل نهائي الكونفيدرالية، ليودع البطولة بعد خسارته 4-2 في مجموع المباراتين.

ووجه المشجعون المصدومون من المستوى السيء لفريقهم إهانات للاعبين والمدرب الإيطالي ماركو سيموني، وحطموا مقاعد مدرجات ملعب رادس وحافلة النادي. وكان التعبير عن الغضب هو العامل المشترك بين عناوين الصحف التونسية عقب الخروج المذل للنجم الساحلي من بطولة دوري أبطال أفريقيا لكرة القدم أمام الأهلي المصري والذي تزامن مع السقوط المدوي للنادي الأفريقي التونسي في كأس الاتحاد الأفريقي (كأس الكونفيدرالية) وسط جماهيره.



ويعتبر فشل الأندية التونسية وخروجها من المنافسات الأفريقية بهذه النتائج بأنها "فضيحة" خاصة هزيمة النجم المذلة، لذلك لا بد من تحميل المسؤولية الأولى كاملة للاعبي الفريق ومدربه والإطار الفني بأكمله في تلك الهزيمة الثقيلة. إن لاعبي النجم ودون استثناء تسببوا لفريقهم في فضيحة تاريخية بكل ما تحمله العبارة من معنى، وبالتالي يجب محاسبة كل من تسبب "في هذه المهزلة التي شوهت سمعة الفريق وسمعة كرة القدم التونسية لأن هذه الهزيمة ستسجل في تاريخ تونس.

فمردود كل لاعبي الفريق في المقابلة أمام الأهلي المصري كان مخيبا للآمال ولا يرتقي لفريق في مستوى النجم الساحلي. لم نشرف جمهور الفريق ولا جميع التونسيين. وأمام كل هذا بدأت إدارة النادي في إجراء، عملية تقييم شاملة للفريق لفهم أسباب الهزيمة المدوية، ويمكن وصف سقوط الفرق التونسية بـ"الفاجعة". فبعد الإخفاق المزلزل للأندية في المسابقات القارية، يبقى أمل التأهل إلى نهائيات كأس العالم فرصة الكرة التونسية الوحيدة لعلاج بعض جراحها الغائرة.

### آمال معلقة

بعد إخفاق الأندية في المشوار القاري مازالت الجماهير التونسية تعلق آمالها على منتخب نسور قرطاج والذي تفصله مباراة واحدة على العبور إلى كأس العالم. لكن رغم التفاؤل الكبير الذي يحدو كل المحيطين والمتابعين للمنتخب التونسي لا سيما أنه بعد المردود الجيّد في الجولات الأخيرة من تصفيات المونديال سادت حالة من الذعر والخوف أجواء كرة القدم التونسية وتحوّلت الفرحة إلى هاجس مخيف قد يلقي بظلاله على آخر لقاءات رجال المدرب نبيل معلول أمام منتخب ليبي سيلعب المباراة وهو في حلّ من كل ضغط.

وكان منتخب تونس قد تفوق على مصر وانتزع المركز الأول على العرب وأفريقيا في تصنيف شهر أكتوبر للاتحاد الدولي لكرة القدم "فيفا". واحتل منتخب تونس المركز الـ28 عالميا بينما جاء الفراعنة في المركز الـ30 بإجمالي 814 نقطة. وحل المنتخب السنغالي في المركز الثالث بـ815 نقطة، بينما جمهورية الكونغو الديمقراطية في المركز الرابع والمنتخب النيجيري في المركز الخامس على المستوى الأفريقي. وجاء المنتخب المغربي في المركز السابع أفريقيا والـ48 عالميا أما المنتخب الجزائري فتراجع إلى المركز 12 أفريقيا و67 عالميا. وفي هذا السياق قرر مدرب منتخب تونس نبيل معلول دعوة اللاعبين الناشطين في الدوري المحلي إلى معسكر تدريبي مفاجئ بعد فشل الأندية على المستوى القاري. وتنتظر المنتخب التونسي مباراة حاسمة أمام ضيفه منتخب ليبيا في الجولة الأخيرة ضمن منافسات المجموعة الأولى من التصفيات الأفريقية المؤهلة لمونديال لروسيا 2018.

ودفع السقوط المدوي للفرق المدرب نبيل معلول إلى إقامة معسكر تدريبي عاجل. ويضم المعسكر 24 لاعبا ينشطون في الدوري المحلي. كما سيبدأ اللاعبون معسكرا ثانيا بين يومي 30 أكتوبر والـ4 من نوفمبر على أن ينضم اللاعبون المحترفون في مرحلة لاحقة للمعسكر استعدادا لمباراة ليبيا. وقال معلول إن المنتخب ينتظره موعد هام جدا ضد المنتخب الليبي والهدف الأسمى هو الوصول إلى روسيا والتركيز على المباراة يوم الـ11 من نوفمبر.

وأضاف المدرب التونسي في تصريحات صحافية "نتمنى أن تعوض فرقنا التونسية خيبة الأمل في المسابقات الأفريقية، ومن الأكيد أن الحالة النفسية للاعبين ستكون صعبة لذلك سنركز خلال المعسكر الحالي على حالتهم الذهنية". وكانت الصحافة التونسية هاجمت بشدة فريقي النجم والأفريقي ووصفت هزيمتيهما بـ"الفضيحة"؟ وألقت الخسارتان بظلالها بقوة على تحضيرات المنتخب الذي يضم عددا كبيرا من لاعبي النجم الساحلي بواقع خمسة لاعبين والترجي بواقع تسعة لاعبين. وقال معلول "نحن نتمنى أن لا تكون لهزائم الأندية آثارا سلبية على نفسية اللاعبين". وتتصدر تونس ترتيب المجموعة الأولى بـ13 نقطة وتحتاج إلى نقطة للتأهل للمرة الخامسة إلى المونديال، بينما يحتل منتخب الكونغو الديمقراطية المركز الثاني بعشر نقاط وغينيا الثالثة بثلاث نقاط وخلفها ليبيا بفارق الأهداف. ويقف منتخب تونس على أعتاب التأهل لنهائيات كأس العالم في روسيا الصيف المقبل، لكن سيكون عليه الحذر لتجنب مصير الأندية.

من ناحية أخرى وقبل أيام من المباراة المنتظرة للمنتخب الليبي الذي سينزل فيها ضيفا على نسور قرطاج في ختام جولات تصفيات كأس العالم روسيا 2018 قرر الاتحاد الليبي الاستغناء عن المدرب جلال الدامجة وإعطاء الفرصة وقتيا للمساعد عمر المريمي لقيادة الفريق ضد المنتخب التونسي في انتظار التعاقد وإعادة التجربة مع المدرب البرازيلي كارلوس بكيتا الذي يعد الأقرب لقيادة منتخب ليبيا في قادم المواعيد.

وبعد المردود المحتشم الذي ظهرت عليه الأندية التونسية في ختام المشوار القاري كانت نقطة الضوء الوحيدة والتي أنارت كرة القدم التونسية هو تألق اللاعب علي معلول الذي يحترف في صفوف الأهلي المصري. وأكد معلول، ظهير أيسر النادي الأهلي، أنه لم يكن السبب الرئيسي في إقصاء الأندية التونسية من مسابقة دوري أبطال أفريقيا، متمنيا الاحتراف بأحد الأندية الأوروبية في المستقبل.

وساهم معلول في تأهل الأهلي إلى نهائي أفريقيا ضد الوداد المغربي بعد تجاوز عقبتي الترجي والنجم الساحلي التونسيين في الدور ربع ونصف النهائي من المسابقة، بعدما أحرز هدفين وصنع مثلهما. وقال صاحب الـ27 عاما "أحمد الله على أدائي مع الأهلي مؤخرا بفضل الإصرار، وأحاول دائما تشريف كرة القدم التونسية، وأتمنى أن نعوض خيبة الأندية التونسية مع المنتخب بالتأهل لكأس العالم".

وأضاف معلول "لم أكن السبب الرئيسي في إقصاء الترجي والنجم من المسابقة، كل الفرق تنافس على حظوظها مثل الأهلي الذي يتمتع بجماهيرية كبيرة". وأكد "غير صحيح ما يقال إن حسام البدري لا يحب اللاعبين التونسيين، الجميع يعرف نظرة المدرب تجاه لاعبيه، ودائما أنا موجود في خدمة الفريق، ويجب التضحية والتعب للحفاظ على المشاركة".

> نبيل معلول يقول إن المنتخب ينتظره موعد هام جدا ضد المنتخب الليبي والهدف الأسمى هو الوصول إلى روسيا والتركيز على المباراة يوم الـ11 من نوفمبر

وكشف لاعب الصفاقسي التونسي السابق عن مستقبله داخل القلعة الحمراء "أبذل قصارى جهدي من أجل الاحتراف في أحد الفرق الأوروبية، وأتمنى أن يوفقني الله في تلك المرحلة خلال الفترة المقبلة". وأفاد معلول "عشت أوقاتا صعبة جدا بعد هذا الهدف، وقلت لنفسي إن أمامي 45 دقيقة لإظهار شخصيتي الحقيقية من أجل إنهاء الجدل الذي أثير حولي". وأوضح اللاعب "أثيرت حولي اتهامات كبيرة بالتساهل أمام الفرق التونسية، هذا ليس من أخلاقي أو لا من أخلاق أيّ لاعب كرة، والحمد لله وُفقت في مباراة الترجي". وأنهى معلول حديثه مؤكدا أن الأهلي يتمتع بجماهيرية كبيرة ولديه ثقافة الفوز بهذه البطولة الأفريقية، متمنيا التتويج باللقب لأول مرة بعد غياب أربعة أعوام منذ 2013، وللمرة التاسعة في تاريخ القلعة الحمراء.

# السيتي يحقق فوزه الثامن على التوالي ويعزز صدارته للدوري الإنكليزي

## البديل مارسيال يقود مانشستر يونايتد للفوز على توتنهام

عزز فريق مانشستر سيتي موقعه في صدارة الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم عبر الفوز على مضيفه وست بروميتش ألبيون 3-2 السبت في المرحلة العاشرة.

❑ **لندن** – واصل مانشستر يونايتد مطاردته لسيتي بعدما حقق انتصارا صعبا وتغلب على ضيفه توتنهام 1 – صفر السبت، في حين حقق مانشستر سيتي المطلوب بانتصاره على مضيفه وست بروميتش ألبيون 2-3 في المرحلة العاشرة من الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم ليضمن الصدارة منفردا.

وفي باقي المباريات فاز ليفربول على ضيفه هيديرسفيلد تاون 3 – صفر، وأرسنال على ضيفه سوانسي سيتي 1-2، وستوك سيتي على مضيفه واتفورد 1 – صفر، وتعادل كريستال بالاس مع ضيفه ويستهام يونايتد 2-2.

وعلى ملعب ذا هاوثورنس حقق مانشستر سيتي فوزه الثامن على التوالي، وتغلب على مضيفه وست بروميتش بثلاثة أهداف مقابل هدفين.

وتقدم الألماني الشاب ليروي سان بهدف للسيتي في الدقيقة العاشرة ثم تعادل جاي رودريغيز لوست بروميتش في الدقيقة الـ13.

> خسارة توتنهام أمام يونايتد السبت، هي الخسارة الحادية والعشرون في 26 زيارة إلى أولد ترافورد في حقبة الدوري الممتاز، وهو أسوأ رصيد له في مباريات خارج الأرض أمام أي منافس

وأضاف البرازيلي فرناندينيو الهدف الثاني للسيتي في الدقيقة الـ15 ليختتم رحيم ستيرلينغ التسجيل في الدقيقة 65، قبل أن يسجل فيديريكو سيرايوكو الهدف الثاني لوست بروميتش في الوقت بدل الضائع.

ورفع السيتي رصيده في الصدارة إلى 28 نقطة من تسعة انتصارات وتعادل وحيد متفوقا بفارق خمس نقاط على مانشستر يونايتد صاحب المركز الثاني.

وفي مقابلة أخرى تعافى ليفربول من تبعات إهدار المصري محمد صلاح لركلة جزاء وفاز 3 – صفر على ضيفه هدرسفيلد في الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم اليوم السبت أيضا.

ونفذ صلاح، المنضم إلى ليفربول قادما من روما قبل انطلاق الموسم الجاري، أول ركلة جزاء مع ناديه الجديد بعدما أبدى مدربه يورغن كلوب إعجابه بنجاح اللاعب في إحراز ركلة جزاء حاسمة في تأهل مصر لكأس العالم لأول مرة منذ 1990 في وقت سابق هذا الشهر، لكن يوناس لوسل حارس هدرسفيلد أوقف تسديدة صلاح في الدقيقة 42.

واستغل دانييل ستوريدغ خطأ دفاعيا ومنح التقدم لأصحاب الأرض بعد خمس دقائق من بداية الشوط الثاني، ليهز مهاجم منتخب إنكلترا الشباك للمرة 100 مع ناديه.

وأضاف روبرتو فيرمينو، الذي احتسبت له ركلة الجزاء بعد تعرضه للدفع داخل المنطقة، الهدف الثاني بضربة رأس في الدقيقة الـ58.

وتلقى الهولندي جورجينيو فينالدم تمريرة من صلاح داخل المنطقة ومهد الكرة لنفسه، ثم أطلق تسديدة هائلة ليسجل الهدف الثالث قبل ربع ساعة من نهاية الوقت الأصلي.

وأصبح رصيد ليفربول 16 نقطة من عشر مباريات وتقدم إلى المركز السادس، لكنه يتأخر بفارق 12 نقطة عن مانشستر سيتي المتصدر.

وعلى إستاد الإمارات نجح أرسنال في تحويل تأخره بهدف أمام ضيفه سوانسي سيتي إلى الفوز بهدفين، وتقدم سام كليوكاس بهدف لسوانسي في الدقيقة الـ22 ثم رد البوسني سياد كولاسيناك بهدف التعادل لأرسنال في الدقيقة الـ51، وتكفل الويلزي آرون رامزي بهدف الفوز في الدقيقة الـ58.

ورفع الفوز رصيد أرسنال إلى 19 نقطة في المركز الرابع وتجمد رصيد سوانسي عند ثماني نقاط في المركز السابع عشر.

وقاد دارين فليتشر فريقه ستوك سيتي للفوز على مضيفه واتفورد بهدف دون رد سجله في الدقيقة الـ16، ورفع الفوز رصيد ستوك إلى 11 نقطة في المركز الرابع عشر وتجمد رصيد واتفورد عند 15 نقطة في المركز السابع.

وتعادل كريستال بالاس بصعوبة شديدة مع ضيفه ويستهام 2-2 ليرفع رصيده إلى أربع نقاط في المركز الأخير، مقابل تسع نقاط لويستهام في المركز السادس عشر.

وتقدم المكسيكي خافيير هيرنانديز بهدف لويستهام في الدقيقة الـ31 وأضاف الغاني أندريه أيو الهدف الثاني في الدقيقة الـ43، فيما سجل لوكا ميليفوجيفيتش الهدف الأول لكريستال بالاس في الدقيقة الـ58 من ضربة جزاء وخطف ويلفريد زاها هدف التعادل القاتل لأصحاب الأرض في الدقيقة الـ97.

وفي لقاء متقدم من نفس الجولة سجل البديل أنطوني مارسيال هدفا في الدقيقة الـ81 قاد به مانشستر يونايتد للفوز 1-صفر على ضيفه توتنهام هوتسبير السبت أيضا، ليواصل الضغط على جاره مانشستر سيتي متصدر الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم.

وبعد الخسارة الصادمة أمام هدرسفيلد تاون في الجولة الماضية أراد فريق المدرب جوزيه مورينيو تجنب تعثر جديد، وتعين عليه القتال أمام توتنهام المنتشي بالفوز 1-4 على ليفربول الأسبوع الماضي.

وتساوى الفريقان في رصيد النقاط قبل القمة في أولد ترافورد السبت، لكن بفضل هدف الفرنسي مارسيال رفع يونايتد رصيده إلى 23 نقطة، وترك البديلان جيسي لينغارد ومارسيال بصمة حاسمة في الرمق الأخير من القمة التي أقيمت في ظل تساقط الأمطار.

### انتصار العادة

وفي غياب هاري كين المصاب في عضلات الفخذ الخلفية تركز لعب توتنهام في وسط الملعب، لكن المهاجم الكوري الجنوبي سون هيونغ-مين أعطى بعض الخطورة، لذا لم يشعر توتنهام بالاحتياج لهدّاف المسابقة برصيد ثمانية أهداف.

وخسر توتنهام بذلك 21 مرة في 26 زيارة إلى أولد ترافورد في حقبة الدوري الممتاز، وهو أسوأ رصيد له في مباريات خارج الأرض أمام أيّ منافس في الدوري الممتاز.

واختبر ماركوس راشفورد حارس توتنهام هوغو لوريس مبكرا من ركلة حرة من مسافة 25 مترا، لكن تعامل معها الحارس الفرنسي باقتدار. وكانت الفرص نادرة ولم يتعرض مرمى ديفيد دي خيا لتهديد حتى سدّد إيريك داير كرة تصدى لها الحارس الإسباني من الوضع طائرا قبل ثلاث دقائق على نهاية الشوط الأول.

وانطلق يونايتد بقوة في الشوط الثاني ومنع لوريس محاولات من هنريخ مخيتاريان وروميلو لوكاكو، وكان بإمكان توتنهام افتتاح التسجيل في الدقيقة الـ76 عندما مرّر كريستيان إريكسن كرة إلى ديلي آلي، لكن لاعب وسط إنكلترا سدّد بجوار القائم، ومرّر لينغارد كرة عرضية إلى لوكاكو حوّلها برأسه، لكن الكرة ارتطمت بالقائم.

وجاء الفوز من تمريرة طويلة من دي خيا حوّلها لوكاكو برأسه في طريق مارسيال الذي وضع الكرة بإتقان في شباك لوريس.

# سنة ممتعة في إيطاليا

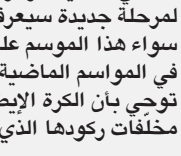

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ بدأت تظهر بعض المؤشرات الإيجابية والواعدة في الدوري الإيطالي، ربما هي بداية صحوة "مارد" كان في السابق قبلة أبرز نجوم اللعبة ومثار الإعجاب والاهتمام من جميع المولعين بكرة القدم في شتّى أصقاع العالم.

ويبدو هذا الموسم في الدوري الإيطالي واعدا إلى أبعد الحدود، والجولات السابقة من هذا الدوري قدمت "أطباقا كروية شهية" كان نتاجها إلى حد الآن تجمعا خماسيا في كوكبة الصدارة، ما يوحي دون شك أن سطوة "السيدة العجوز" التي استمرت طيلة السنوات القليلة الماضية قد تنتهي هذا الموسم.

فما قدّمته فرق نابولي وإنتر ميلان ولاتسيو وكذلك جمعية روما دفع بالبعض إلى القول إن البساط بدأ يسحب من تحت قدمي "سيدة إيطاليا"، أي فريق يوفنتوس، الذي وجد نفسه على غير عادته يحتل المركز الثالث بعد عشر جولات كاملة من المنافسات القوية والممتعة.

هي عشر جولات قدّمت خلالها فرق الصدارة وخاصة نابولي المتصدر والإنتر ثاني الترتيب عروضا هجومية قوية، قدم أيضا خلالها الفريق الثاني في روما، أي نادي لاتسيو، أوراق اعتماده التي تخوّل له دخول سباق المنافسة المحتدم والطويل دون خوف أو وجل، أما نادي روما فإنه لم يشذ عن قاعدته طيلة المواسم الماضية وظهر أيضا بمستوى مقبول يجعله بلا شك يواصل الحلم بالوصول يوما ما إلى معانقة لقب "السكوديتو" من جديد.

هي معطيات ومؤشرات وأرقام تؤسس لمرحلة جديدة سيعرفها الدوري الإيطالي سواء هذا الموسم على وجه الخصوص أو في المواسم الماضية، وربما هي مؤشرات توحي بأن الكرة الإيطالية بدأت تتعافى من مخلّفات ركودها الذي دام أكثر من عشرة أعوام. الأمر الواقع حاليا يدلّ على أن هذه الفرق الذي تزاحم اليوفي هذا الموسم بدأت تستفيق من غفوتها وتتخلّص من مخلفات الماضي الصعب ورواسبه، فالمشاكل المالية التي عانت منها أغلب الأندية، باستثناء اليوفي، وجدت بعض الحلول، خاصة بعد أن فتح الباب أمام رؤوس الأموال والمستثمرين الأجانب لامتلاك هذه الأندية على غرار ما هو معمول به في دوريات أخرى قوية مثل الدوري الإنكليزي والدوري الإسباني.

هذا الواقع الجديد الذي بدأت ملامحه تظهر منذ سنوات قليلة ربما بدأ يثمر ويعطي أكله، فأغلب هذه الفرق الإيطالية نجحت بنسبة كبيرة في تجاوز مشاكلها المالية الصعبة، خاصة وأن هؤلاء الملاك الجدد وعدوا بضخّ أموال طائلة من أجل فتح آفاق جديدة وإعادة تشكيل المشهد الكروي في "الكالشيو" الإيطالي، فكانت المحصّلة خلال هذا الموسم جيدة إلى حد الآن.

هي خمسة فرق مبدئيا يبدو التنافس بينها قويا للغاية، ولا أحد يمكن أن يتكهّن بما قد يحصل في قادم الجولات، فمع التراجع النسبي في مستوى اليوفي وتحسن أرقام وإحصائيات فرق نابولي والإنتر وروما ولاتسيو بات جميع المولعين بالدوري الإيطالي ينتظر مع إطلالة كل جولة مباريات قوية وواعدة من شأنها أن تعيد إلى الأذهان ذكريات السنوات الخوالي، عندما كانت الفرق الإيطالية تفرض سيطرتها وسطوتها بالطول والعرض على المسابقات الأوروبية.

هناك متعة بلا شك، وثمة أيضا غموض وتشويق كبيران يميزان مباريات "الكالشيو" هذه الأيام، إذ لا أحد يمكن أن يتنبأ بنتائج المواجهات التي تجمع بين الفرق الخمسة التي تحلم بالحصول على اللقب الغالي بعد ستة مواسم كانت خلالها "السيدة العجوز" ملكة متوجة على الدوام دون منافس جدي.

ومن المؤكد أن المنتخب الإيطالي سيكون من أبرز المستفيدين من هذه الصحوة المتأخرة، فما تقدّمه أغلب الفرق في موسم المونديال سيساعد على ظهور جيل جديد من اللاعبين الموهوبين في إيطاليا، وإن كتب لمنتخب "الأتزوري" النجاة من فخ الملحق التأهيلي لمونديال روسيا ضد السويد، فإنه قد يكون "الحصان الأسود" في البطولة العالمية، ألم يفعلها سابقا في مونديالي 1982 و2006؟ ألم يكن حينها بعيدا عن كل الترشيحات، لكنه قلب الطاولة وتوج باللقب بفضل لاعبين برزوا بشكل كبير في منافسات الدوري المحلي؟

هذا الموسم يبدو مغريا للغاية وأكثر متعة من سابقيه، فحتى نسبة الأهداف المسجّلة عرفت تحسنا ملحوظا مقارنة بالمواسم الماضية، هناك بلا شك ريح قوية هبّت في إيطاليا فغيّرت ولو نسبيا الرسوم والأفكار التدريبية، ودفعت بالجيل الحالي من الفنيين الصاعدين إلى انتهاج أساليب تحث على الفكر الهجومي أكثر من ذي قبل، فحضرت المتعة وبدا عشاق هذا الدوري راضين إلى حد الآن عمّا تحقق.

من المؤكّد أيضا أنه لو تواصلت هذه المتعة والإثارة إلى نهاية الموسم ووصل إلى مرحلة الحسم من خلال ترشيح هذا الخماسي الجاهز للظفر باللقب، فإن المكاسب ستكون جمة للكرة الإيطالية، إذ أن تجاوز حالة الركود والرتابة التي ميزت "الكالشيو" خلال المواسم الست الأخيرة من شأنه أن يجعل الأعين الخارجية تتركز أكثر على المنافسات المحتدمة والمشوقة في هذا الدوري.

لكن الأهم من ذلك أن هذا الدوري قد يستعيد رونقه و"جبروته" وسحره، فذكريات الماضي القريب تؤكد أن "الكالشيو" كان قبلة نجوم الصف في عالم "الفاتنة" قبل أن تسبب الأزمات المالية في هجرتهم للدوريات الأخرى، أما اليوم وبعد استعادة الهدوء وعودة المتعة المفقودة فإن الدوري الإيطالي سيكون أكثر إغراء، وهو يتأهب من جديد لاستقطاب أبرز اللاعبين في العالم مرة أخرى.

# هينغيس تودع ملاعب التنس بخسارة

❑ **سنغافورة** - أنهت لاعبة التنس السويسرية مارتينا هينغيس مسيرتها في الملاعب بهزيمة في الدور قبل النهائي لزوجي السيدات في البطولة الختامية في سنغافورة السبت، وكانت هينغيس أعلنت الخميس الماضي اعتزالها منافسات اللعبة بعد البطولة الختامية للموسم الحالي.

وخسرت هينغيس (37 عاما) في آخر مباراة لها مع زميلتها التايوانية تشان يونغ-جان أمام الزوجي المكون من تيميا بابوش وأندريا هلافاتسكوفا بنتيجة 4-6 و6-7، لتسدل الستار على مسيرة رياضية حافلة حققت خلالها 25 لقبا في البطولات الأربع الكبرى منها خمسة ألقاب فردية و20 لقبا في منافسات الزوجي.

وكانت هينغيس وتشان وهما الزوجي المصنف أولا في البطولة تأملان في بلوغ الدور النهائي لتحصل هينغيس على فرصة لحصد لقبها الرابع بعد فوزين سابقين مع الروسية آنا كورنيكوفا وانتصار ثالث مع الهندية سانيا ميرزا، لكنهما فشلتا في التغلب على المجرية بابوش والتشيكية هلافاتسكوفا.

وتفوّقت بابوش وهلافاتسكوفا في المجموعة الأولى التي شهدت أداء قويا من الطرفين، وفي المجموعة الثانية سقطت بابوش على الأرض عندما كانت النتيجة 5-5 وأصيبت بالتواء في الكاحل الأيسر ما تطلب توقف المباراة لفترة طويلة لتلقّي العلاج قبل أن يستمر تفوقهما لتفوزا بالمواجهة.

وبصرف النظر عن الهزيمة فإن هينغيس ستودّع الملاعب بإنجاز كبير، بعدما تأكدت أنها ستنهي العام الحالي على رأس قائمة التصنيف الدولية للزوجي مع زميلتها تشان بعد أن حصدتا معا تسعة ألقاب خلال عام 2017، منها لقب بطولة أميركا المفتوحة.

وقالت هينغيس للصحافيين بعد المباراة "لن أفتقد النهوض من النوم والتوجه للتدريب كما فعلت طوال سنوات.. كما أنني لن أفتقد في البداية الاضطرار للإجابة على أسئلة الصحافيين، أعني أنه أمر جيد عندما تكون فائزا، لكن الأمر ربما لا يكون ممتعا اليوم".

وأردفت اللاعبة السويسرية قائلة "لكن كما سبق وقلت إنه ليس وداعا، آمل أن أظل جزءا من اللعبة، لقد وضعنا بالفعل بعض الخطط للمستقبل أنا وتشان".

لن تقول وداعا

# تعريف جديد بثقافات العالم على موائد مصرية

مطعم في العاصمة المصرية القاهرة يمزج عبق توابل إيران والهند، بروائح الطعام التركي، ليشكل تعريفا جديدا بثقافات بعض عواصم العالم من خلال وجبات تقدمها طاهية مصرية وشقيقها.

توابل ومذاقات مختلفة

❏ **القاهرة** – تقود لافتة صغيرة على جدار إحدى البنايات في أحد ممرات شارع صفية زغلول بمنطقة غاردن سيتي، وسط العاصمة المصرية القاهرة، مكتوب عليها "مشروع مطعم"، إلى المشروع الشبابي الذي افتتحته كاترين رأفت، وشقيقها ألبير قبل عام تقريبا، ويعمل معهما شخص ثالث، إلا أنهم بدأوا مؤخرا تقديم أطعمة عواصم شرقية وأوروبية أسبوعيا، معتمدين على محبي الاكتشافات الجديدة من الأطعمة، من رواد المكان المصريين والأجانب.

وقالت رأفت (26 عاما) مديرة المشروع، إن فكرة الأكلات المستوردة بدأت بأطعمة هندية تناولتها في رحلاتها خارج مصر قبل شهور، وقررت نقلها إلى مشروعها الوليد وبعدها جربت أطعمة إيطالية وإيرانية.

وأضافت رأفت أنها بعد العودة إلى البلاد بدأت في البحث عن طرق إعداد الأكلات الهندية عبر الإنترنت، وشاهدت عشرات الفيديوهات لطرق الطهي، ثم شرعت في التنفيذ المنزلي أولا لتقييم التجربة.

وأوضحت أن سبب اختيارها للاسم، أنه مشروع شبابي تمويله صغير؛ مقارنة بمطاعم كبيرة في المنطقة، مضيفة "كنا نخشى عدم نجاحه، وأيضا من باب تغيير الطريقة التقليدية لاختيار أسماء المطاعم".

وتابعت "بعد أن أتقنت طرق إعداد بعض الوجبات الهندية بدأنا في الإعلان عنها عبر صفحة المشروع على موقع فيسبوك، ووجدنا تفاعلا كبيرا مع المنشور، وتقدم العشرات لحجز أماكن بالمطعم، وطلبوا أكلات من التي تم الإعلان عنها".

وأضافت "بعد تجربة الطعام الهندي، اقترح أحد الأصدقاء تجربة الطعام الإيراني، ونصحني بتقديمه في مشروعي، وبالفعل وجدته ذا مذاق خاص جدا".

ولم يكن بوسع المطعم الذي لا تتجاوز مساحته بضعة أمتار تحمل تقديم الوجبات المصرية، بجوار أكلات إيرانية وهندية، فقرر القائمون على المشروع تخصيص أيام من كل أسبوع لأكلات بلد معين.

وأوضحت رأفت أن الهدف من تقديم أطعمة البلدان الشرقية تحديدا، ليس فقط الربح، إنما يتعدى ذلك للتعريف بثقافات بعض الشعوب ومحاولة التقريب بينها وبين المصريين من خلال الطعام.

وبحسب رأفت، فإن الطعام الإيراني لا يختلف كثيرا عن نظيره المصري، إلا أن الإيرانيين يضيفون مسحوق الزعفران إلى كل أطعمتهم تقريبا، إضافة إلى الكركم.

أما أشهر أكلة قدمتها الطاهية المصرية لرواد مشروعها فكانت طبق "الفسنجون"، وهو عبارة عن كرات لحم الدجاج ممزوجة مع "صوص" (عصير) الرمان، وصوص "عين الجمل" (الجوز).

وتذكر الفتاة العشرينية أنها لم تكن تتوقع أن عين الجمل إذا مزج مع الرمان وبعض التوابل سيعطي هذا الطعم المبهر، إلا أن التجربة أظهرت ذلك، ويجاور "الفسنجون" الأرز المطهيّ بالزعفران والكركم.

وكانت رأفت وشقيقها في بداية الأمر يتخوفان من تقديم الأطعمة الإيرانية؛ وأكدت أن "ما حدث كان عكس ذلك"، فبمجرد الإعلان عن وجود أكلات إيرانية بالمطعم توالت الحجوزات، واضطروا إلى رفض عدد من الراغبين في الحضور لعدم وجود أماكن.

وما شغل رواد "مشروع مطعم" ليس الطعام الإيراني فقط، فالتركي أيضا لاقى استحسان المتابعين، الذين تقدموا لحجز مقاعد للأيام التي ستقدم فيها أكلات تركية.

وأوضحت أن التجربة التركية كانت أكثر صعوبة، لوجود تشابه كبير بين المطبخ المصري ونظيره التركي، فغالبية الأكلات المصرية الشهيرة مأخوذة عن التركي، لذا كان عليها البحث عبر الإنترنت عن أكلات لا يعرفها المصريون لجذب انتباههم بها.

ولا يقتصر التميّز في المشروع على تقديم أكلات أجنبية فقط؛ فالمطعم يحتضن بعض المواهب الغنائية، والشعراء والعازفين؛ سواء كانوا هواة أو محترفين، وينظم لهم لقاءات يقدمون من خلالها فنونهم للزبائن.

وقالت إن لهذه الفكرة هدفين؛ الأول مساعدة هذه الفرق في الترويج لفنها، والثاني راحة الزبائن واستماعهم للموسيقى.

# قرية إيطالية تبيع منازلها مقابل كوب من القهوة

❏ **جانجي (إيطاليا)** – يتكلف المنزل في قرية جانجي الإيطالية نفس تكلفة كوب من القهوة، ولم تستطع اجيديا دي بينديكتس تصديق عينيها عندما رأت ذلك.

وقالت بينديكتس لزوجها "كيف يمكن ذلك؟ علينا أن نرى ذلك بأنفسنا".

ولذلك، قرر الزوجان البلجيكيان عام 2014 السفر إلى البلدة الصغيرة الواقعة في صقلية بين مدينتي كاتانيا وباليرمو، حيث يتكلف المنزل يورو واحدا (1.20 دولار).

وتقع جانجي بعيدا عن صخب باليرمو، حيث تبتعد عنها مسافة ساعتين بالسيارة.

وقد تم بناء البلدة، التي بها 6700 نسمة، على قمة تل، وتتمتع بمنظر رائع.

ويبدو أن الزمن توقف في وقت ما في فترة القرون الوسطى وسط البلدة القديمة، حيث توجد متاهة من الطرق الصغيرة والكنائس التي لا حصر لها.

وتحاط البلدة بمنطقة تسلق رائعة، ومناظر جميلة لجبل اتنا. ولكنّ المرء لا يستطيع أن يعيش في المنطقة بسبب المناظر فقط أو الشوارع الهادئة، لذلك ترك الكثير من الشباب البلدة.

وكان عمدة البلدة السابق جيوسيبي فيراريلو اقترح بيع بعض المنازل المتداعية في البلدة بسعر كوب من القهوة مقابل أن يقوم المشترون بالموافقة على تجديد المنازل خلال ثلاث سنوات.

كما يتعين على المشترين أيضا تقديم سند بقيمة 5000 يورو، حيث يستردون هذا المبلغ بمجرد انتهاء أعمال التجديد.

وقال عمدة البلدة الجديد باولو ميجليازو "الهدف هو تحديث وسط البلدة التاريخي، وإعادة توزيع السكان ودعم أصحاب المهن اليدوية المحليين".

وقد تم بيع نحو 100 منزل بهذه الطريقة، كما تم تدشين مشاريع مماثلة في توسكاني ولاتسيو.

ويعد الإيطالي اليساندرو شيليبراسي وكيل العقارات المسؤول عن بيع المنازل، إلى جانب شريكه سانتو بيفاكوا.

ويمكن أن ترى في الصفحة الرئيسية للقرية 30 منزلا مطروحة للبيع، مما يعطي انطباعا مبدئيا بشأن أنواع المساكن المتاحة للبيع، ولكن من الأفضل كثيرا استقلال سيارة شيليبراسي والتجول في شوارع البلدة.

وقالت بينديكتس (69 عاما) "في المنازل التي تبلغ تكلفتها يورو واحدا، كل شيء يتداعى، يجب القيام بالكثير من العمل".

وعرض شيليبراسي على الزوجين منزلا، في حاجة للتجديد، ولكن حالته كانت جيدة.

وقرر الزوجان البلجيكيان شراء المنزل، واستثمرا 75 ألف يورو في المنزل.

وكانت لورا ماريا الينور رادوليسو (30 عاما) قد جاءت من ألمانيا لجانجي بهدف شراء منزل بقيمة يورو واحد. ولكنها لم تكن صفقة جيدة مثلما بدت. وقالت "من الخارج، المنازل التي تتكلف يورو واحدا تبدو جيدة، ولكن عليك في الحقيقة أن تبني كل شيء من نقطة الصفر".

وقامت رادوليسو، التي تعمل فنانةً ومصممة، برسم خطط التجديد بنفسها. وتعتزم تصميم ورشة عمل في الطابق الأرضي. كما سوف يتم تركيب نظام تدفئة وسوف يتم استبدال نصف السلالم.

وقالت إنه عندما يتم الانتهاء من تجديد المنزل ويصبح جاهزا، يمكن أن تتخيل مغادرة ألمانيا وجعل إقامتها في صقلية، مضيفة "لقد عثرت على منزلي الروحي".

**كرم سفير اليونسكو للسلام وعازف العود العراقي نصير شمة فلاحة عراقية بعد مشاهدته لفيديو أظهر إتقانها لعملها ووفاءها لأرضها ووطنها. وقال شمة «سأذهب للتشرف بمعرفة الفلاحة حليمة مطشر بأول زيارة للعراق الشهر القادم وأقبل يديها ونكرمها باسم الجمال الذي تحمله والخير الذي يخرج من كفيها»**

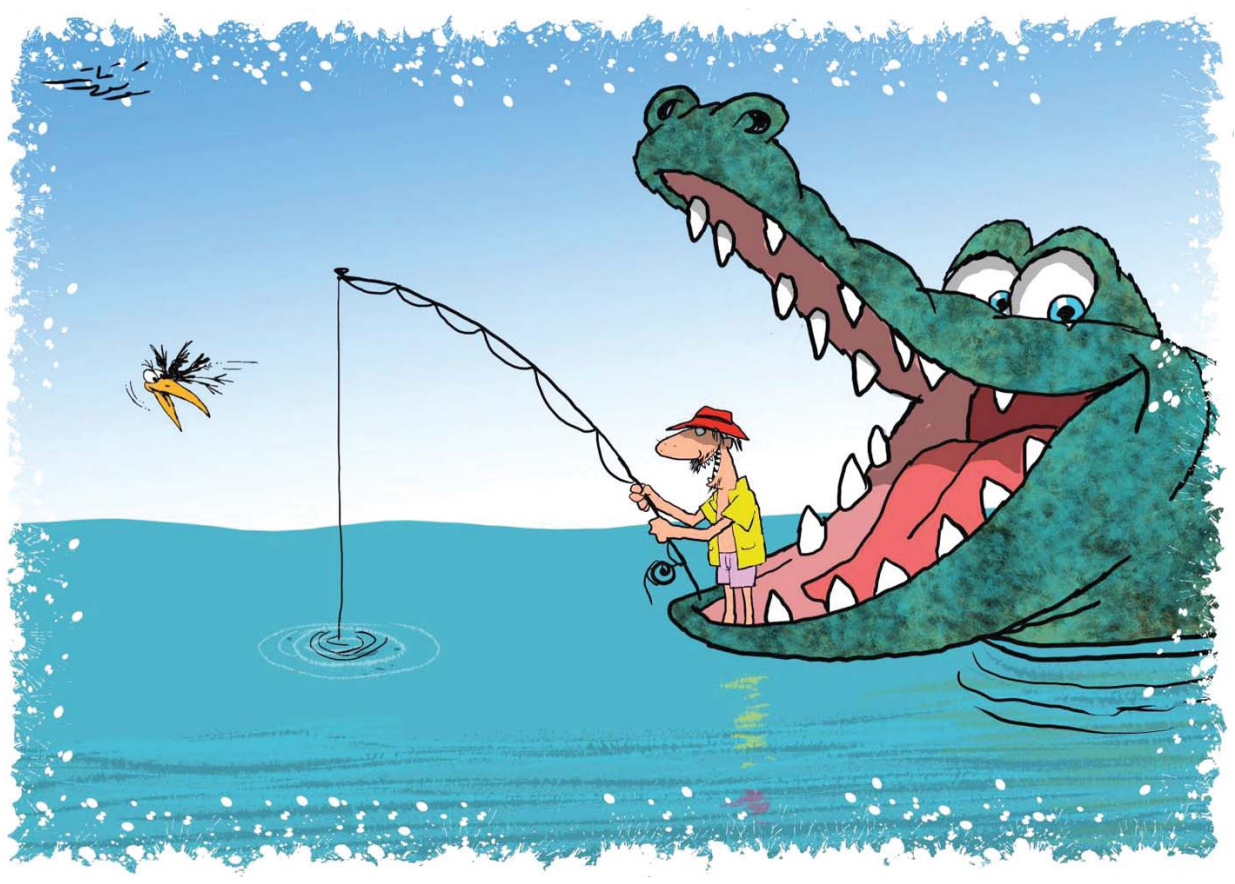

# ألمان يرغبون في مرافقة حيواناتهم في القبور

❏ **برلين** – رصدت الرابطة الاتحادية لمتعهدي دفن الحيوانات في ألمانيا تزايدا في رغبة الألمان في أن يكون مثواهم الأخير بجوار حيواناتهم.

وقال مارتن شتروك، رئيس الرابطة إن هناك تزايدا في عدد الأشخاص الذين يوصون بدفن جثامينهم بعد وفاتهم بجوار مقابر حيواناتهم، مضيفا أن هناك حاليا بالفعل مقابر فيها توابيت لأفراد وحيوانات دُفنوا جنبا إلى جنب. وتابع "الكلاب والقطط والهامستر من أهم المرافقين في المثوى الأخير".

وبحسب بيانات الرابطة، توجد حاليا في ألمانيا 150 مقبرة مخصصة لدفن الحيوانات، من بينها 30 مقبرة تمت إقامتها خلال الأعوام الثلاثة الماضية.

ويشهد نشاط دفن الحيوانات في ألمانيا بسبب تزايد رغبة الألمان في تخصيص مدافن لائقة بحيواناتهم، ازدهارا حاليا، حيث تبلغ أرباحه السنوية نحو 20 مليون يورو.

ووفقا لبيانات الرابطة، ينفق سنويا في ألمانيا نحو 1.3 مليون كلب وقط، ويتم دفن نحو 50 بالمئة منها في مقابر خاصة.

ويبلغ عدد الحيوانات التي تُدفن في مدافن مخصصة لها حاليا نحو 10 آلاف حيوان، كما يتراوح عدد الحيوانات التي يفضل أصحابها حرقها بعد النفوق بين 80 و90 ألف حيوان.

## صباح العرب

عدلي صادق

# بؤس المدارس وخيبة المعلمين

❏ لعل ما ينكشف في كل لحظة من تردي مستوى اللغة العربية، في كتابات الناشئة والكثير من الكبار الذين يُفترض أنهم قد تلقوا تعليما جامعيا، يمثل واحدة من الحقائق الصادمة التي تتبدى على شاشات الكمبيوترات والهواتف. ففي النصوص العربية التي يدونها أصحابها عند محاولة التعبير بالفصحى أصبح لافتا أن المدونات المغاربية، عبر الإنترنت، أفضل بكثير من تلك المشرقية، علما بأن الناس في المغرب العربي، كانوا ولا زالوا يمتلكون قدرات معتبرة، في التعبير بلغة أجنبية، هي إحدى لغات العلوم والحضارة الحديثة الغالبة، ما يعني أن المدرسة المغاربية حافظت على مستواها التعليمي ولم تتصدع.

لقد أصبحنا، في المشرق العربي، أحوج من إخوتنا في الأقطار المغاربيّة إلى ما يسمى لجان الدفاع عن اللغة العربية، لا سيما ونحن نشاهد المتعلمين يخطئون في الإملاء وفي أبسط الكلمات، حتى أصبح مألوفا أن نقرأ كلمة "أرجو" بإضافة ألف بعد الواو، على الرغم من التكرار اليومي للكلمة التي لا تغيب عن ناظر من يقرأون.

كنت قد تعرفت في الجزائر على واحد من أبرز المنافحين عن اللغة العربية، وهو الدبلوماسي السابق والروائي والمحقق في التاريخ عثمان سعدي. كان مدخل علاقتي بالرجل أن زوجته فلسطينية. وسعدي ابن إحدى أبرز القبائل الأمازيغية وهي "النمامشة". لم يكن مسعى سعدي مقطوع الصلة بالتاريخ. فالأمازيغ المسلمون، في الأوراس، هم الذين حافظوا على لغة القرآن الكريم، طوال فترة الاستعمار الفرنسي، وقت أن كان الجزائريون في مدن الساحل، في متناول المستعمر الطامع في البلاد، ويريد قتل اللغة العربية على لسانهم واحتواءهم ثقافيا. وعلى الرغم من أن القائمين على إعادة تعريب اللسان، بعد استقلال البلاد، اعتمدوا في بدايات المحاولة صيغا ومفردات بلغة الضاد الثقيلة القديمة، التي كانت سببا في بطء العودة إلى اللسان العربي، إلا أن المدرسة الجزائرية تداركت ذلك بعدئذ. أما في تونس وفي المملكة المغربية، فلم تكن ثمة مصاعب، بحكم وجود الكادر على مر أجيال. فالوجود الفرنسي كان في البلدين محض حماية أو سيطرة سياسية، وليس احتلالا عسكريا مباشرا، ذا مقاصد للإحلال الثقافي، الهادف إلى إبقاء الجزائر فرنسية.

كان الفرنسيون في زمن احتلالهم قد أسسوا في جامعة باريس ما سموّه أكاديمية بربرية لتعميق النزعة العرقية ودق الأسافين، وتأسيس قطاع شعبي يواليهم. لكن الجزائر المستقلة أفشلت مسعاهم. في المشرق العربي، تتكسر اللغة العربية، وهذا انعكاس لخيبة المعلمين وبؤس المدارس.